الجامعة الإسلامية-غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم تفسير القرآن وعلومه

تفسير القرآن

بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران

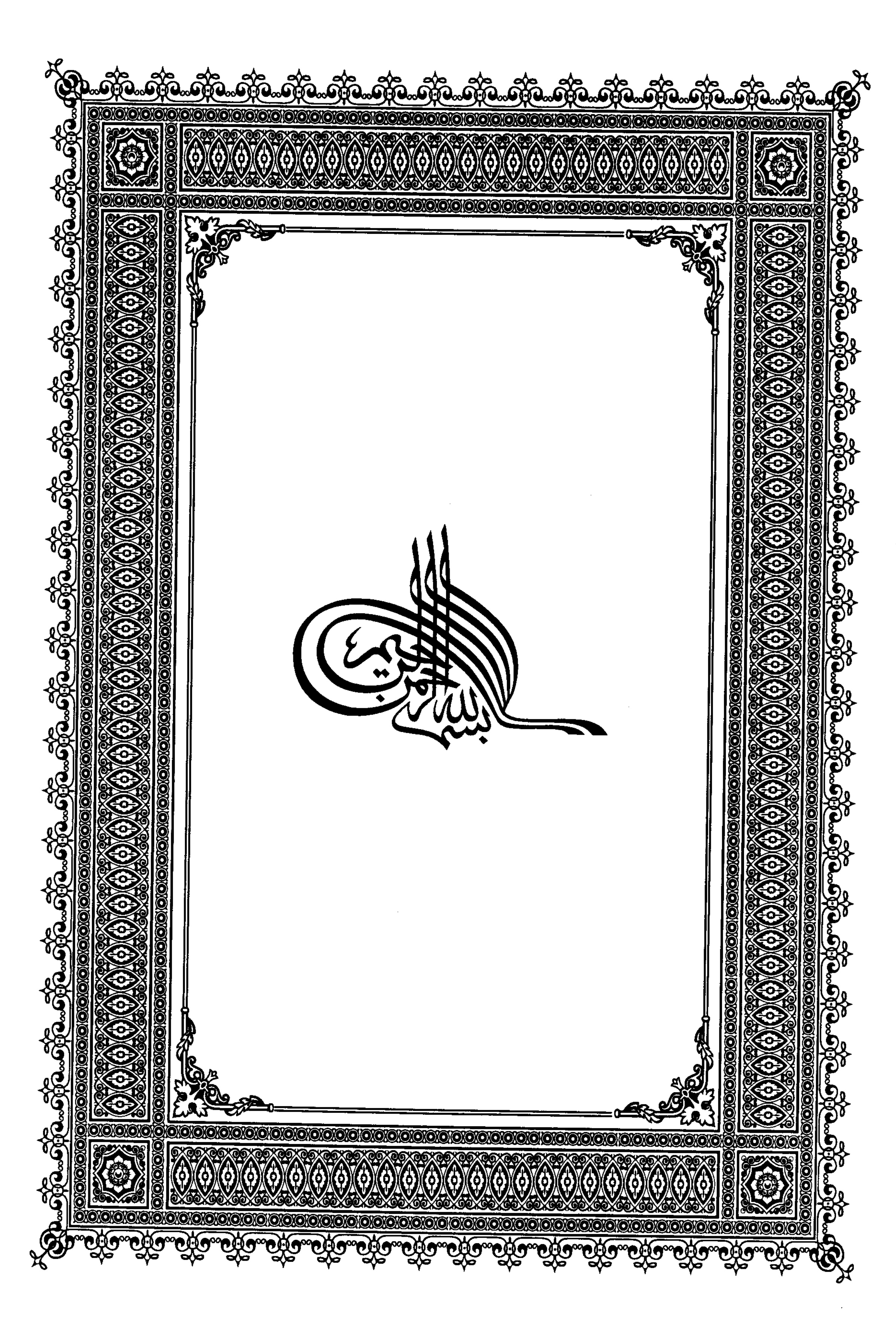
إعداد الباحث
عبد الله علي الملاحي

ضبط و إشراف
د. مروان محمد أبوراس

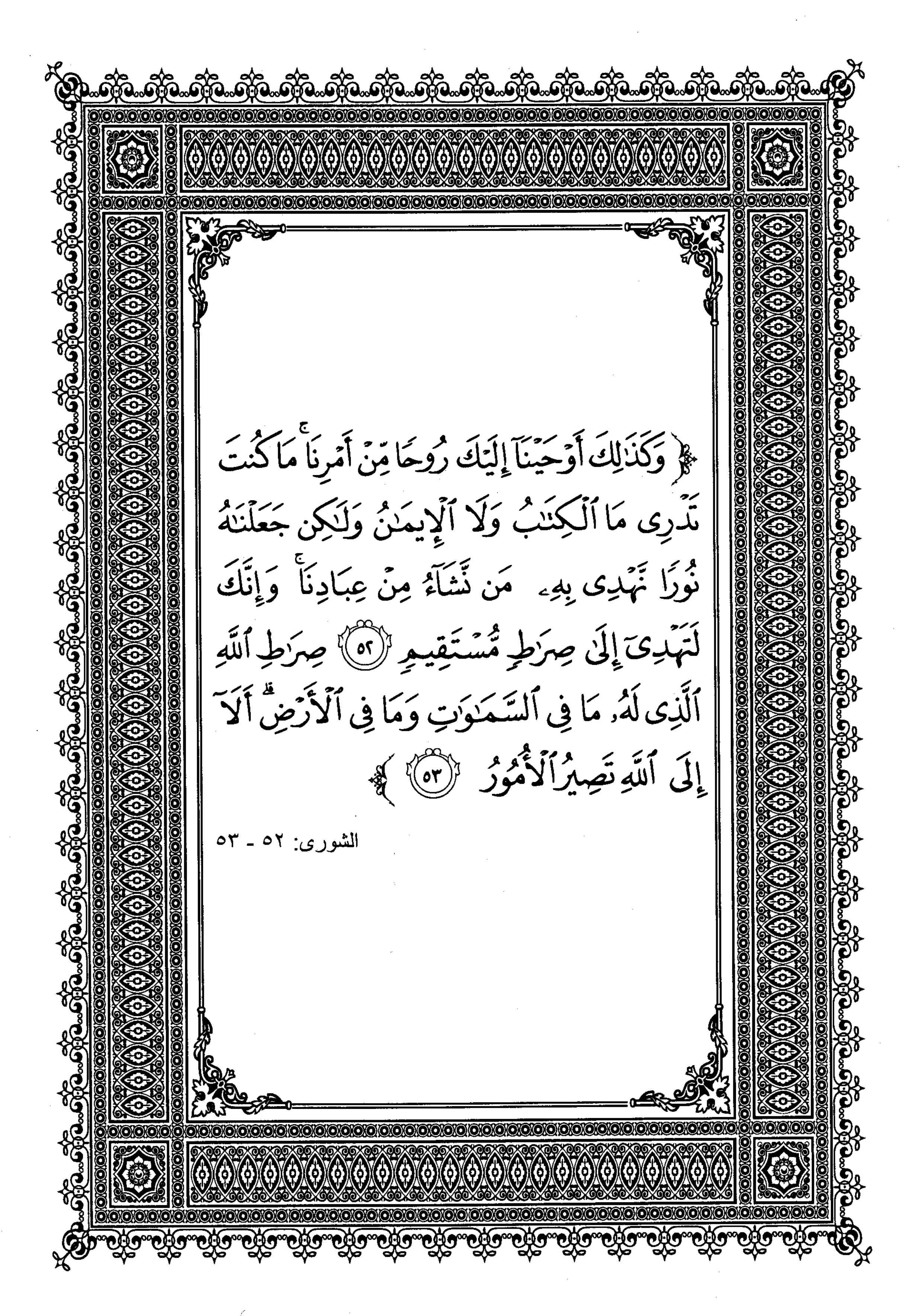
الجزء الأول

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين ـ غزة

هذا البحث هو رسالة ماجستير صادرة عن كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة تمت المناقشة في ربيع الآخر ١٤٢٣هـ - يوليو ٢٠٠٢م



بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

الشورى: ٥٢ ـ ٥٣



بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الجزء الأول

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

يسعدني ويشرفني أن أكون سبباً في إخراج هذا الموضوع الرباني العظيم إلى حيز الوجود، ليكون إضافة نوعية وبياناً لميزةٍ عظيمة لهذا القرآن العظيم، وما أجمل وما أحلى أن يشتغل المسلم بكتاب رب العالمين، يستخرج درره، ويكتشف أسراره، ويتعرف على بعض عجائبه التي لا تنقضي، وذلك من عظيم التدبر الذي أمر الله سبحانه به حيث قال: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » ص ٢٩، من أجل ذلك نزل هذا الكتاب العظيم، لم ينزل ليعلق على الجدران أو يقرأ على المقابر والأموات، أو لتقام به مراسم العزاء، وإنما نزل للتدبر والتفكر، وقد حذر ربنا سبحانه من عدم التفكر فيه حتى لو قرء لأي غرض لأن يبقى هو القرآن العظيم الذي يجب أن يشتغل العقل والقلب في كل سورة وآية وعبارة وكلمة وحرف فكل في موضعه لا يغني ولا يسد عنه غيره قال سبحانه: « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » النساء ٨٢، والقلب الذي لا يتدبر القرآن ويتشربُ بكليته قلب مغلق مريض متصلد – والعياذ بالله « ... الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » ، وقد بين الله سبحانه صورة من صور تعامل الكافرين مع هذا الكلام الرباني المعجز حيث إن عقولهم مقفلة، وقلوبهم متحجرة، فقد قال سبحانه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد ٢٤، وبالجملة فقد بين وصفهم للقرآن بشكل دقيق حيث قال: «الذين جعلوا القرآن عضين»

الحجر ٩١، «وعضين» فرق متفرقة في وصفه فقال بعضهم سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم كهانة ....، فالقرآن جاء هداية وصلاحاً وشفاءً، وتعليماً، وإرشادا، وتقويماً، وتوجيهاً، وتذكيراً، ونصحاً، وغير ذلك الكثير من المعاني والفوائد والتوجيهات، ولكنهم قوم لا يفقهون، « ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا » الإسراء ٤١، وحتى في القراءة أغلقوا مفاتيح الفهم، فأغلق الله عليهم أدوات الاستيعاب « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو على أدبارهم نفوراً، نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ...» الإسراء ٤٥ – ٤٧ .

حكاية هذا الموضوع:-

لقد من الله عليّ عند دراستي للدكتوراه في جامعة محمد الخامس بالرباط على يد الشيخ التهامي الراجي الهاشمي وهو عالم من علماء المغرب في القراءات القرآنية أن أحضر بعض محاضرات القراءات، وأتعلم بعض هذا العلم العظيم من علوم كتاب الله تعالى، والحق أنه لم تكن لي اهتمامات معمقة بهذا الموضوع قبل ذلك، غير أن أموراً أبجدية لم تكن تخفى على دارس التفسير كانت معلومة لدي ومنها على سبيل المثال: تواتر القراءات وتساويها في قوة الثبوت وقطعيته، ولما عشت القراءات مع شيخي الجديد في مدرجات كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الدراسات الإسلامية بدأت أدرك شيئاً جديداً أحدثُ به في نفسي أولاً وأقول أليست هذه القراءات كلها قرآناً نزل من السماء على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – يعبد الله بها وبدرجة واحدة؟ إذاً لماذا جاءت؟ وما فائدة ذلك على

المعاني؟ وهل أضافت شيئاً جديداً؟ ولماذا لم يتعرض كثير من المفسرين للربط بينها في تفسيراتهم؟، وهنا وقع في قلبي أنه لا بد من بحث هذا الموضوع وبشكل متخصص وعميق، وفور عودتي إلى عملي في قسم التفسير في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة حفظها الله، بدأت أبحث ذلك مع الزملاء الأكارم، وشرحت ذلك في محاضرات علمية أمام الطلبة والمتخصصين وأثبتُ أن القراءات لها فائدة من ثلاث:

الأولى: إما أن تأتي القراءة مؤكدة لمعنى موجود في قراءة أخرى وتضفي عليه المزيد من القوة، وتزيد التأكيد على ضرورة الاهتمام به، ومثال ذلك شائع لدى الجميع حيث قوله تعالى في سورة الحجرات: « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » والقراءة الأخرى « فتثبتوا» والتثبت تبين وزيادة، ففيها التأكيد على البيان والتأكد من الخبر.

الثانية: أن تكون القراءة شارحة لقراءة أخرى ومبينة لما فيها ما لم يظهر إلا بالقراءة الأخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: « ... فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ... » قُرأت (وَرِق) بكسر الراء وتسكينها والوَرِق المكسورة هي الفضة عموماً، والورْق بالسكون هي المضروبة أي التي عليها شكل العملة ويبدو أنها كانت عليها صورة ملك زمانهم القديم، بذلك يتضح من القراءتين أن فضتهم نوعان: نوع عادي غير مضروب ونوع مضروب وبذلك تم العثور عليهم ومعرفة زمانهم من الناس الحاضرين في زمن بعثهم.

الثالثة: أن تأتي القراءة بمعنى جديد غير موجود أصلاً في القراءة الأخرى مثال ذلك: قوله تعالى: « ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » البقرة ١٠٦، فقد قرئت « نُنسِها » وقرئت « نَنسَأها » والفرق بينهما واضح حيث إن معنى نُنسِها أي نجعلك تنساها، أما نَنسَأها أي نؤخرها في النزول، وهما طريقتان

في نزول القرآن على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم- تخفيفاً عليه وعلى الأمة، وبعد اتضاح الصورة بدأنا إعطاء الطلبة دراسة هذا الموضوع مجزأ برسائل ماجستير فلقي إقبالا كبيراً ولله الحمد عند الطلبة النجباء وعند الأساتذة الزملاء، حتى أوشك طلبتنا أن يتموا شرح القرآن كله بهذه الطريقة العلمية الجميلة، وإنني في هذا المقام الطاهر والمبارك أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع إخواني الزملاء الأعزاء أساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين الحبيبة وعمادة الكلية الراشدة، وإدارة الجامعة الغالية على كل قلب مؤمن محب للحق وأهله، وكذلك طلبة العلم الذين أظهروا جهداً فريداً في تتبعهم لهذا الموضوع ومحاولة استقصائه، وإنني أدعو جميع المهتمين والمتتبعين أن يزودونا بآرائهم وتوجيهاتهم إذا ما وجدوا شيئاً مهما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر، وذلك عبر العناوين الموجودة في صدر هذا الكتاب.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك العمل في ميزان حسنات كل من ساهم في إخراجه إلى النور، وأن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال إنه سميع مجيب (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

د . مروان محمد أبو راس

أستاذ في قسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة سابقاً

رئيس رابطة علماء فلسطين . غزة - حالياً

دمشق في يوم الاثنين ١ / ربيع الأول / ١٤٣١ هـ

١٥ / مارس / ٢٠١٠ م

للمراسلة وارسال الملاحظات
نرجو التواصل مع
كلية أصول الدين - الجامعة الاسلامية - بغزة
أو عنوان
abuaasem2010@gmail.com



شكر وتقدير

امتثالا لقوله تعالى: (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه) لقمان.١٢، وانطلاقا من قول الرسول - ﷺ -: (لا يشكرُ اللَّه مَنْ لا يشكرُ الناسَ).[١]

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، وعظيم الثناء والامتنان إلى المربي الفاضل، أستاذي ومعلمي، فضيلة الدكتور: مروان محمد أبو راس حفظه الله الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، منذ اللحظة الأولى، حتى خرج بهذا الحال، وبذل الكثير من وقته انصحي وإرشادي من أجل إثراء هذه الرسالة وإخراجها في أحسن صورة حتى خرجت إلى حيز الوجود واضحة المعالم مبينة الأهداف، فأشكره على صبره وتحمله لي طيلة فترة الإشراف، وأسأل الله -ﷺ-أن يثيبه على عمله وأن يحفظه من كل سوء.

كماوأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من أستاذيَّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل

عميد كلية أصول الدين حفظه الله

وفضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة

الأستاذ المساعد في كلية أصول الدين حفظه الله

الذين تفضلا مشكورين بدراسة هذا البحث والتنقيب عن نواقصه وإرشادي لإكماله، والبحث عن أخطائه وهدايتي لتصويبه؛ لإخراجه في أفضل صورة ممكنة، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

١- سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله-ﷺ- باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك -ح ١٩٥٤ - ج٤ ص٣٣٩. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ومسند الإمام أحمد ج٢ ص٢٩٥، ٣٠٢، ٣٨٨.





مقدمة الباحث

أولاً: توطئة:

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالرعاية والاهتمام هو علم التفسير لكلام القوي القدير، على الوجه المعتبر، القريب من الأثر. يقول المولى: -ﷻ- (الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تلاوَته أُولَئكَ يُؤْمنُونَ به وَمَنْ يَكْفُرْ به فَأُولَئكَ هُمُ الْخَاسرُونَ) البقرة ١٢١.

ويقول-ﷺ -: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه.)[٢]

ولهذا فإن باب: تفسير القرآن لا يمكن أن يغلق، لأن القرآن رسالة حية حتى قيام الساعة، ولا يزال المسلمون يُقبلون على القرآن يتلونه ويتدبرونه، ويفسرونه ويطبقونه، ويتحركون به ويعيشون في ظلاله.

وهذا معناه أن تظهر تفاسير للقرآن في كل فترة، وأن يضيف العلماء أبعاداً جديدة إلى التفسير، وأن يقدموا مناهج وأسسا جديدة، يضيفونها إلى مناهج التفسير السابقة.

٢ - رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني: تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز - كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلّمه ج٩ ص٧٤ - رقم ٥٠٢٧ - دار المعرفة - بيروت.

ومن هنا كانت هذه الدراسة الموسومة بـ«تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران» لتعطيَ بعداً جديداً وتفتح باباً من أبواب التفسير من خلال تفسير القرآن بالقراءات القرآنية.

ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. إن موضوع تفسير القرآن بالقراءات القرآنية هو موضوع جديد لم يتم الحديث عنه بشكل مستقل وإن كانت أصوله موجودة في كتب التفسير والقراءات.
٢. القرآن هو كلام الله المعجز له وجوه متعددة في الإعجاز.
٣. إقبال المسلمين على تعلم التجويد وأحكام التلاوة وتعلم القراءات المختلفة.
٤. أهمية التفسير في حياة الناس.
٥. تأثير القراءات على الاستنباطات الفقهية.

ثالثاً: أهداف البحث:

١. إبراز ارتباط القراءات القرآنية بعضها ببعض من الناحية التفسيرية.
٢. إبراز أهمية القراءات في التفسير.
٣. التعرف على وجوه الإعجاز من خلال القراءات القرآنية. فأردت من خلال هذه الدراسة بيان وجه جديد من وجوه الإعجاز في القرآن وهو الإعجاز في الإيجاز بمعنى أن كل قراءة تقوم مقام آية مستقلة، وهذا ما ثبت لدي في التمهيد للرسالة.
٤. وضع لبنة جديدة ولون جديد من ألوان التفسير بشكل مستقل ، وهو

تفسير القران بالقراءات القرآنية.

٥. تشجيع المسلمين عموماً وخريجي الجامعات خصوصاً للإقبال علي حفظ القراءات ودراستها وفهمها.

٦. إثراء المكتبة الإسلامية بما هو جديد لينتفع به المسلمون.

رابعاً: منهج البحث:

١. التمهيد للموضوع من خلال الحديث عن القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز ووضع مقدمات للتفسير أبرزت من خلالها معني التفسير والتأويل والفرق بينهما وعلاقة القراءات بالتفسير، ومعني الأحرف السبعة وفوائدها وعلاقتها بالقراءات، ومعني القراءات وأقسامها لتكون مدخلا للموضوع.

٢. بيان أثر القراءات على المعاني من خلال بيان الأثر البلاغي، والأثر البياني، والأثر النحوي، والأثر الفقهي للقراءات القرآنية.

٣. وضع تفسير للآيات من سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران من خلال الجمع بين القراءات القرآنية الصحيحة في الكلمة الواحدة والتي لها علاقة بالمعاني، ولقد اعتمدت على منهج واحد في التفسير وهو:

أ - كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة ومشكلة برواية حفص عن عاصم.

ب - بيان القراءات المختلفة في الآية بالرجوع لكتب القراءات المشهورة.

ت - بيان المعنى اللغوي للقراءات الغريبة بالرجوع لكتب اللغة وقواميسها.

ث - تفسير الآية تفسيرا مجملا، مع الالتزام بالقواعد المقررة في التفسير وهي:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بالسنة.

- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
- تفسير القرآن بمقتضى اللغة والسياق والشرع في إطار ضوابط المفسرين المعروفة.

ج - بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية وكنت أحاول من خلال هذا المقطع من الفصل أن أبين الجمع بين القراءات وذلك بالرجوع إلى كتب أخرى تناولت الموضوع وأجتهد للوصول إلى الصواب ما استطعت.

٤. عزو الآيات إلى سورها ، وذكر اسم السورة ورقم الآية.
٥. ذكر الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالتفسير وتخريجها حسب الأصول والحكم عليها .
٦. الرجوع إلى كتب القراءات والاحتجاج لها من مظانها .
٧. الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة .
٨. بيان معاني المفردات الغريبة في الحاشية.
٩. الرجوع إلى أمهات كتب اللغة وقواميسها كلما لزم الأمر.
١٠. الترجمة للأعلام غير المشهورين من مظانها .

خامسا: الجهود السابقة:

١. بعد البحث والتدقيق لم يصل إلى علمي أن أحدًا تطرق لبيان تفسير القرآن من خلال القراءات القرآنية المختلفة والتي لها علاقة بالمعاني بشكل مستقل.
٢. تعرض الكثير من المفسرين للقراءات وتوجيهها ولكن من دون الربط بين المعاني إلا أحياناً .
٣. تعرض الكثير من العلماء في كتبهم لتوجيه القراءات والاحتجاج لها

ومن ذلك:

كتاب الحجة في القراءات السبع / أبو علي الفارسي.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع / مكي بن أبي طالب.
- حجة القراءات / ابن زنجلة.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
- الكشاف / الزمخشري ...

وغيرها من الكتب إلا أنهم كانوا يُعنَون بتوجيه كل قراءة على حدة وأحيانا كانوا يجمعون بين القراءات ويوفقِون بينها، وأحيانا يختارون قراءة على الأخرى أو يردُّون بعض القراءات على الرغم من تواترها.

❖ أسماء الرسائل التي كتبت حول الموضوع حسب ما ورد عن مركز فيصل الإسلامي بالرياض وغيره:

- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام.

رسالة دكتوراه / أم القرى ١٤١٣هـ.

- القراءات مصدرا للتفسير عند ابن عطية في المحرر الوجيز.

رسالة ماجستير / الإسكندرية ١٩٨٩ م.

- مكانة القراءات من خلال منهج القراء في التفسير.

رسالة ماجستير / محمد الخامس ١٩٩٥ م.

- القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير ابن حيان النحوي في سورة البقرة.

رسالة دكتوراه / محمد الخامس.

- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية.

د. فضل حسن عباس.

- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النَّحوية.

د. عبد العال سالم مكرم.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما التمهيد:

فقد أبرزت من خلاله أن القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني.

وأما الفصل الأول والذي جاء بعنوان: مقدمات للتفسير:

فقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

❖ المبحث الأول: التفسير و التأويل و فيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى التفسير لغة و اصطلاحاً.
- المطلب الثاني: معنى التأويل لغة و اصطلاحاً.
- المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير.

❖ المبحث الثاني: الأحرف السبعة و فيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.
- المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

❖ المبحث الثالث: القراءات القرآنية و فيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القراءة القرآنية لغة واصطلاحاً.

- المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
- المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها .
- المطلب الرابع: التعريف بالقرّاء العشرة ورواتهم.

وأما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان: أثر القراءات في المعاني:

فقد اشتمل على أربعة مباحث:

❖ المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات.

❖ المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات.

❖ المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات.

❖ المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات.

وأما الفصل الثالث والذي جاء بعنوان: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران:

فقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

❖ المبحث الأول: تفسير سورة الفاتحة.

❖ المبحث الثاني: تفسير سورة البقرة.

❖ المبحث الثالث: تفسير سورة آل عمران.

الخاتمة:

و تشتمل على أهم النتائج و التوصيات.

الفهارس و المراجع:

و تشتمل على:

١. فهرس آيات القراءات القرآنية.

٢. فهرس الأحاديث النبوية.

٣. فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤. فهرس المراجع و المصادر.

٥. فهرس المواضيع.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

التمهيد

القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز

إن الإعجاز القرآني من أهم القضايا وأكثرها حساسية لأنه يتعلق بكتاب الله عز وجل ولذا اهتم به العلماء قديما وحديثا، فتحدثوا عن وجوه الإعجاز فأحسنوا، وعددوا فأكثروا، وفصلوا فبينوا، فمنهم من أوصل وجوه الإعجاز إلى خمسة وثلاثين وجهاً كما فعل الحافظ جلال الدين السيوطي[٣] حيث ذكر أن بعضهم قد أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين وجها.[٤]

قال الدكتور / فضل حسن عباس: «وإذا كان المسلمون والمنصفون من غيرهم مجمعين على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وهو المعجزة العظمى لسيدنا رسول الله - ﷺ - أقول إذا كان هؤلاء وأولئك متفقين على هذا، ومتفقين كذلك على أن بيان القرآن وبلاغته ونَظْمِه من أعظم وجوه إعجازه وأهمها، فلقد اختلفوا فيما وراء ذلك:

فرأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب، وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة فهناك الإعجاز البياني والإعجاز التشريعي والخُلقي، وهناك الإعجاز العلمي .. إلى غير ما هنالك من وجوه الإعجاز، والقائلون بتعدد هذه الوجوه يُجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمها؛ ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى،

---

٣ - عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين الخضيري ، الإمام جلال الدين السيوطي، المصري ، الشافعي إمام حافظ مؤرخ محدث مفسر أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف في فنون متنوعة. توفي سنة ٩١١ هـ ﴿ انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – العلامة مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة – ج٥ ص٤٣٤ – دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: كشف الظنون ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب / أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: ج٨ ص٥١ – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٣٩٩هـ ، وحيث يأتي سأكتفي بقولي: شذرات الذهب ﴾.

٤ - انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي: ج١ ص٥ – دار الكتب العلمية / تحقيق أحمد شمس الدين – ط١ – سنة ١٩٨٨م.

وأما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي مفرقة في القرآن الكريم.[٥]

ولقد اعتبر الرمّاني[٦] أن وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات، ذكر منها البلاغة وفصّل فيها فقال: «والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلازم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان. ثم قال: الإيجاز تقليل من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يُعَبَّر عنه بألفاظٍ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز.[٧]

وبالوقوف عند القراءات القرآنية والتأمل فيها نجد أنها تمثل وجها من وجوه الإعجاز وذلك من خلال أن كل قراءة تسد مسد آية مستقلة.

قال ابن الجزري[٨] عند حديثه عن فوائد القراءات: «ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز ؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية ؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل».[٩]

وقال السيوطي مبينا فوائد القراءات: «ومنها المبالغة في إعجازه بإيجازه

---

٥ – إعجاز القرآن الكريم – د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس: ص ٢٩ باختصار – عمان – الأردن – المكتبة الوطنية ١٩٩١م.

٦ – علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، كان إماما في العربية، علامة في الأدب، وكان معتزلي المذهب، له مصنفات كثيرة منها: التفسير والحدود الأكبر وشرح سيبويه، توفي سنة ٣٨٤هـ ﴿انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي – ج٢ ص١٨٠ – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت ﴾ وحيث يأتي سأكتفي بقولي: بغية الوعاة.

٧ – النكت في إعجاز القرآن – ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز – أبو الحسن الرماني: تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام – ص ٧٥، ٧٦ باختصار – دار المعارف بمصر – ط٣.

٨ – محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري ، أبو الخير، ألف في التفسير والحديث والفقه والعربية له كتب كثيرة، منها كتاب النشر في القراءات العشر وهو من أجل مؤلفاته، وغاية النهاية في طبقات القراء، وغيرهما توفي سنة ٨٣٣ هـ ﴿ انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٢٤٧ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢هـ ﴾ وحيث يأتي سأكتفي بقولي: غاية النهاية.

٩ – النشر في القراءات لعشر – محمد بن محمد بن محمد الجزري: ج١ ص٥٢ ، تصحيح: علي محمد الضباع –دار الفكر . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: النشر.

إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات».[١٠]

وقال الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره: « وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن».[١١]

ولقد اعتبر الشيخ الزرقاني تعدد القراءات ضربا من ضروب البلاغة إذ قال: «والخلاصة: أن تعدد القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله -ﷺ- فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا أن القرآن يُعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويُعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويُعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرا. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه.[١٢]

ولقد صرح الدكتور عبد الرحمن الجمل - حفظه الله - بأن اختلاف القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز حيث قال تحت عنوان القراءات

١٠ - الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي: ج١ ص٢٢٧ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث.

١١ - تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: المجلد الأول ج١ ص٥٦ ـ دار سحنون للنشر ـ تونس - ١٩٩٧م.

١٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني: ص١١١ - تحقيق الشيخ أمين سليم الكردي المكتبة التدمرية - دار إحياء التراث العربي - ط٢ - ١٤١٩هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي مناهل العرفان.

القرآنية لون من ألوان الإعجاز:

« فقد يقال إن القراءات المتواترة والتي هي جزء من الأحرف السبعة لا يتضح فيها معنى التيسير؛ وذلك لسهولة القراءة بها على أي قراءة من القراءتين أو القراءات وذلك نحو قوله تعالى (تجري تحتها الأنهار) التوبة ١٠٠، (تجري من تحتها الأنهار) بزيادة من، وقوله تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) البقرة ١٤٩ ، بالياء على الغيب، (وما الله بغافل عما تعملون) بالتاء على الخطاب . ويجاب عن ذلك بأن اختلاف القراءات القرآنية يرجع إلى سببين:

أولهما : ما كان مرجعه اختلاف اللغات العربية، والذي لأجله نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، تيسيرا على الناس، كالاختلافات في تحقيق الهمز وتسهيله، والإمالة والفتح وغير ذلك.

ثانيهما : ما كان راجعا إلى خاصية في القرآن نفسه، وهي الإعجاز.

فالقراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز ووجه من وجوهه في هذا الكتاب العظيم، فهي تثري المعاني وتزيدها، وذلك نحو الاختلاف في قراءة قوله تعالى (ولو يرى الذين ظلموا ...) البقرة ١٦٥ ، فقد قرأها نافع وابن عامر ويعقوب وعيسى – أي ابن وردان - بخلاف عنه – أي عن أبي جعفر[١٣] – بالخطاب، هكذا (ولو ترى ...) وقرأها الباقون ومنهم حفص بالغيب، هكذا (ولو يرى ...) على أن (الذين ظلموا) فاعل. أما القراءة الأولى فالخطاب فيها للنبي -ﷺ- والمراد تنبيه غيره، و(الذين ظلموا) مفعول به، فيلاحظ اختلاف المعنى على كل قراءة اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تناقض وتضاد. فكل قراءة تثري معنى الآية بالمعاني العظيمة والكثيرة، وكل قراءة تسد مسد آية مستقلة.[(١٤)]

١٣ – ستأتي الترجمة عنهم بتفصيل.

١٤ – انظر منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره / الدكتور عبد الرحمن يوسف الجمل ص٩٧ . رسالة ماجستير

ومن هنا كانت هذه الرسالة المتواضعة من أجل إبراز هذا الجانب المعجز للقراءات القرآنية وأثرها على التفسير من خلال تفسير لسور الفاتحة والبقرة وآل عمران بالقراءات القرآنية العشر راجيا من المولى -عَزَّوَجَلَّ- السداد والتوفيق، والإخلاص في القول والعمل.



الفصل الأول
مقدمات للتفسير

❖ المبحث الأول: التفسير والتأويل وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى التفسير لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: معنى التأويل لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير.

❖ المبحث الثاني: الأحرف السبعة وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.
- المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

❖ المبحث الثالث: القراءات القرآنية وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
- المطلب الثالث: نشأة القراءات وأقسامها وحكم الاحتجاج بها.
- المطلب الرابع: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم.



الفصل الأول: مقدمات للتفسير

بعد أن ذكرنا في التمهيد أهمية القراءات القرآنية وكيف أنها تعتبر وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن، كان لابد من ذكر بعض المقدمات قبل الخوض في التفسير، لما لهذه المقدمات من أهمية كبرى تتعلق بموضوعنا وهو تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول: التفسير والتأويل

المطلب الأول: معنى التفسير لغةً واصطلاحاً:

أ- التفسير لغةً:

مصدر على وزن تفعيل فعله الماضي فسّر وهو مضعف بالتشديد.

قال ابن فارس[١٥]: «الفسْر: كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول فسَرت الشيء، وفسّرته. والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه». [١٦]

وقال الراغب الأصفهاني[١٧]: «الفسْر: إظهار المعنى المعقول. والتفسير في المبالغة كالفسْر».[١٨]

وقال ابن منظور[١٩]: «الفسْر: البيان، فسَر الشيء يفسِره بالكسر، ويفسُره

١٥ - أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسين، كان إماما في علوم شتى خصوصا في اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، توفي بالري سنة ٣٩٠هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٣ ص١٣٢﴾.

١٦ - معجم مقاييس اللغة / لأبي الحسين أحمد بن فارس ج٤ ص٥٠٤ – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت.

١٧ - الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، أو الأصبهاني، أديب، اشتهر بالتفسير واللغة، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة وغيرهما. قال السيوطي : كان في أوائل المائة الخامسة﴿ انظر: بغية الوعاة ج٢ ص٢٩٧ ، ومقدمة كتاب مفردات ألفاظ القرآن - العلامة الراغب الأصفهاني: تحقيق صفوان عدنان داوودي - ص١ – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ، وانظر: كشف الظنون ﴾ج١ ص٣٦.

١٨ - مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦ .

١٩ - محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور، أبو الفضل الأنصاري الأفريقي المصري، ولي قضاء

بالضم فسْراً، وفسّره: أبانه، والفسْر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل.

والتفسرة: البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على العليل... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته.[20]

مما سبق يتضح أن المعنى الأصلي لمادة فسر هو: البيان والكشف والإيضاح والإظهار.

ب- التفسير اصطلاحاً:

لقد اختلف العلماء في تحديد المعنى الاصطلاحي للتفسير:

قال الزركشي[21]: «التفسير علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها.[22]

وقال أبو حيان[23]: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك.[24]

طرابلس، صاحب لسان العرب في اللغة، توفي سنة ٧١١هـ ﴿ انظر: بغية الوعاة – ج١ ص٢٤٨﴾ .

٢٠ – لسان العرب ج٦ ص٣٤١٢ –٣٤١٣ باختصار – مكتبة ابن تيمية – دار المعارف – القاهرة.

٢١ – محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله المصري الزركشي الشافعي، كان فقيهاً، أصولياً، مفسراً، له مؤلفات نافعة، منها: البرهان في علوم القرآن. توفي سنة ٧٩٤هـ ﴿ انظر: طبقات المفسرين – الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي: ج٢ ص١٦٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٠٣هـ﴾ .

٢٢ – البرهان في علوم القرآن – الإمام بدر الدين الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ج٢ ص١٤٨ – دار التراث – القاهرة .

٢٣ – محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو عبد الله، ولد بغرناطة، نشأ محبا للعلم متتلمذا على العلماء، يجلس إليهم ويأخذ عنهم، رحل لطلب العلم، برع في عدة علوم في القراءات والنحو واللغة والتفسير وترك العديد من المؤلفات منها : تفسيره البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٥هـ انظر: غاية النهاية في طبقات القراء – شمس الدين بن الجزري: ج٢ ص٢٨٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٣ – ١٤٠٢هـ . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: غاية النهاية ، ومقدمة كتاب تفسير أبي حيان ٢٧/١.

٢٤ – البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ١ /١٢١ –– تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٣هـ .

والتعريف الأقرب للصواب، والذي أميل إليه، والموافق للأصل اللغوي هو تعريف الزرقاني:

«التفسير علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[٢٥]

المطلب الثاني: معنى التأويل لغةً واصطلاحاً:

أ- التأويل لغةً:

التأويل: مصدر على وزن تفعيل، فعله الماضي أَوّل وهو رباعي مضعف.

قال ابن فارس: «أوّل: الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه ... آل يؤول: أي رجع. الإيالة: السياسة لأن مرجع الرعية إلى راعيها، آل الرجل: أهل بيته لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله، تأويل الكلام: هو عاقبته وما يؤول إليه.[٢٦]

وقال الراغب الأصفهاني: «التأويل من الأَوْل، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المَوئِل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً أو فعلاً.

ففي العلم نحو قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) آل عمران ٧.

وفي الفعل نحو قوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله) الأعراف ٥٣، أي بيانه الأوّل: السياسة التي تراعى مآلها.[٢٧]

وقال ابن منظور: «الأوْل: الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع، أوّل إليه الشيء: رجعه، أُلت عن الشيء: ارتددت، أوّل الكلام وتأوّله: دبره وقدره،

٢٥ - مناهل العرفان ص٣٣٤.

٢٦ - معجم مقاييس اللغة ج١ ص١٥٨ — ١٦٢ باختصار.

٢٧ - مفردات ألفاظ القرآن ص٩٩.

أوّله وتأوّله: فسّره

الإيالة: السياسة..آل الملك رعيته يؤولها أولا وإيالة: ساسهم وأحسن سياستهم.[٢٨]

من خلال ما سبق نرى أن المعنى الجامع للأول هو:

الرد والرجوع إلى الأصل، بمعنى أن تأويل الكلام هو رد معانيه وإرجاعها إلى أصلها الذي تحمل عليه وتنتهي إليه.

ب- التأويل اصطلاحا:

اختلف العلماء في تحديد المعنى الاصطلاحي للتأويل:

قال الدكتور محمد حسين الذهبي: «التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد[٢٩] من قوله: (إن العلماء يعلمون تأويله)

يعني القرآن، وما يعنيه ابن جرير الطبري[٣٠] بقوله في تفسيره (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) وبقوله (اختلف أهل التأويل في هذه الآية) ونحو ذلك، فإن مراده التفسير.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به ...

أما التأويل عند المتأخرين من المتفقهة، والمتكلمة، والمحدثة والمتصوفة:

٢٨ - لسان العرب ١ /١٧١-١٧٣.

٢٩ - مجاهد بن جبر،أبو الحجاج، المكي أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين، قرأ على ابن عباس بضعا وعشرين ختمة، ويقال ثلاثين عرضة، ومن جملتها سأله عن كل آية فيم كانت، توفي سنة ١٠٣ هـ، وقيل سنة أربع، وقيل سنة ٢ ﴿ انظر: غاية النهاية ج٢ ص٤١ ﴾

٣٠ - محمد بن جرير بن يزيد، الإمام أبو جعفر الطبري الأملي البغدادي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف الكثيرة والمشهورة منها: التفسير المشهور جامع البيان عن تأويل آي القرآن، والتاريخ، وغيرهما، توفي سنة ٣١٠هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص١٠٦، وشذرات الذهب ج٢ ص٣٦١ ﴾

التأويل عند هؤلاء جميعا: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.(٣١)

وقال الدكتور صلاح الخالدي: «هو علم يتم به حسن فهم القرآن وإزالة اللبس والإشكال عن بعض آياته وذلك بردها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى التي لا لبس فيها ولا إشكال.(٣٢)

والتعريف الأقرب للصواب – والذي أميل إليه هو التعريف الذي رجحه أستاذي الدكتور مروان أبو راس -حفظه الله- والموافق للأصل اللغوي وهو: محاولة رد الألفاظ في القرآن الكريم إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

الفرق بين التفسير والتأويل والراجح منها:

لقد ذكر العلماء أقوالا كثيرة في الفرق بين التفسير والتأويل ذكرها صاحب كتاب التفسير والمفسرون، حيث قال: اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما اختلافاً نتجت عنه أقوال كثيرة: منها أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، وقيل: التفسير أعم من التأويل، وقيل التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية..إلى غير ذلك من أقوال الراجح منها هو:

أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.(٣٣)

المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير:-

إن للقراءات القرآنية تعلقا شديدا بالتفسير باعتبار أن القراءات القرآنية

٣١- التفسير والمفسرون- د. محمد حسين الذهبي ج١ ص١٩-٢٠ بتصرف. مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٣٢ – التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / صلاح عبد الفتاح الخالدي ص١٤ – دار النفائس – الأردن – ط١ – ١٤١٨هـ.

٣٣ – انظر المصدر السابق ص٢٠ -٢٣.

هي جزء من القرآن، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.

وطالما أن القراءات القرآنية تعتبر أداة من أدوات التفسير، فهي من باب تفسير القرآن بالقرآن. وطالما أن تفسير القرآن بالقرآن هو من أشرف أنواع التفسير وأجلها. فيكون تفسير القرآن بالقراءات القرآنية من أشرف أنواع التفسير وأجلها.

قال ابن كثير[34]: «فإن قال قائل فما أحسن التفسير؟ فالجواب إن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر.[35]

ولقد اعتبر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[36] أن تفسير القرآن بالقراءات القرآنية هو من تفسير القرآن بالقرآن والذي يعتبر من أشرف أنواع التفسير وأجلها فقال في معرض حديثه عن مقصوده من تأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله - ﷻ - من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية، سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءة الشاذة، وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان

٣٤ - عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي صاحب التصانيف الكثيرة منها تفسيره المشهور المسمى تفسير القرآن العظيم، وكتاب البداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٦ ص٢٣١، ومقدمة كتاب البداية والنهاية ١/س – تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٤ – سنة ١٠٤٨هـ﴾.

٣٥ - تفسير القرآن العظيم والمعروف بتفسير ابن كثير – لأبي الفداء إسماعيل بن كثير: قدم له عبد القادر الأرناؤوط – ج١ ص١٩ – دار الفيحاء – دمشق – دار السلام – الرياض – ط١ – سنة ١٤١٤هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: تفسير ابن كثير.

٣٦ - محمد الأمين بن محمد المختار، ولد بالقطر المسمى شنقيط، وهو الجزء الشرقي من دولة موريتانيا الإسلامية الآن، نشأ في بيت علم، حفظ القرآن في بيت أخواله، دَرَّسَ في المسجد النبوي الشريف، من مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، توفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر ترجمته في مقدمة تفسيره: أضواء البيان لتلميذه: عطية محمد سالم ج١ ص٩-٢٦ دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – سنة ١٩٩٦م. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: أضواء البيان.

بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف[٣٧] ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.[٣٨]

وكذلك نجد أن الدكتور محمد حسين الذهبي قد اعتبر القراءات القرآنية وجها من أوجه تفسير القرآن بالقرآن حيث قال: «ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل بعض القراءات على غيرها ..إلى أن قال ...ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ما روي عن مجاهد أنه قال: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه[٣٩].

ولهذا نجد أن كثيراً من المفسرين قد صرّحوا في مقدمة تفاسيرهم أن علم القراءات من العلوم التي ينبغي للمفسر أن يكون على علم بها.

فنجد أن أبا حيان يذكر في مقدمة تفسيره عند حديثه عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

«الوجه السابع: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات».[٤٠]

وكذلك ذكر الألوسي[٤١] في مقدمة تفسيره فيما يحتاجه التفسير: « ..السابع: علم القراءات لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض».[٤٢]

---

٣٧ - ستأتي الترجمة لهم مفصلة.

٣٨ - أضواء البيان ج١ ص٣٠ .

٣٩ - التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبي: ج١ ص٤٢-٤٣ - مكتبة وهبة - القاهرة - ط٥ - سنة ١٤١٣هـ.

٤٠ - تفسير البحر المحيط ج١ ص١٠٨.

٤١ - محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، له تصانيف كثيرة أشهرها تفسيره: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ ﴿ انظر: الأعلام - للزركلي ج٧ ص١٧٦﴾ .

٤٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين الألوسي: ج١ ص٦ - دار إحياء التراث العربي -بيروت - وحيث يأتي سأكتفي بقولي: روح المعاني.

وليس معنى هذا أن كل ما يتعلق بعلم القراءات له علاقة بالتفسير، فهناك جانب من علم القراءات ليس له علاقة بالتفسير وجانب له علاقة بالتفسير.

قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: «أرى أن للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة.

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والجهر والهمس ...ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها ...وهذا غرض مهم جداً لكنه لا تعلق له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي...وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل (مالك يوم الدين) الفاتحة ٤ ، (ملك يوم الدين) و (نُنْشِرُها) البقرة ٢٥٩، (نُنْشِزُها) ...وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراء في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة ...وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالبا فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن ...»[٤٣]

ولقد أبرز ابن الجزري العلاقة بين التفسير والقراءات عندما تطرق لبيان بعض الحكم المستفادة من اختلاف القراءات فقال: «وأما على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة فإنه يتوجه على أنحاء ووجوه مع السلامة من التضاد والتناقض كما سيأتي إيضاحه في حقيقة اختلاف هذه السبعة:

١. فمنها ما يكون لبيان حكم مجمع عليها كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره (وله أخ أو أخت من أم)[٤٤] النساء ١٢ ، فإن هذه القراءة تبين

٤٣ - التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٥٦.

٤٤ - وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في القراءات الأربع عشرة.

أن المراد بالأخوة هنا هو الأخوة للأم وهذا أمر مجمع عليه، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشركة، وهي زوج وأم أو جدة واثنان من أخوة الأم وواحد أو أكثر من اخوة الأب والأم، فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الأخوة لأنهم من أم واحدة وهو مذهب الشافعي[٤٥] ومالك[٤٦] وغيرهما. وقال جماعة من الصحابة وغيرهم يجعل الثلث لإخوة الأم ولا شيء لإخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة، وهو مذهب أبي حنيفة[٤٧] وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل[٤٨] وداود الظاهري[٤٩] وغيرهم.

٢. ومنها ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه كقراءة (أو تحرير رقبة مؤمنة)[٥٠] المائدة ٨٩، في كفارة اليمين فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره ولم يشترطه أبو حنيفة.

٣. ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة (يطْهرن)[٥١] البقرة ٢٢٢، (يطّهّرن) بالتخفيف والتشديد ينبغي الجمع بينهما وهو

٤٥ – محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ينتهي نسبه إلى قصي بن كلاب، أبو عبد الله الشافعي، الغزي المولد، أحد أئمة الإسلام توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٩٥، شذرات الذهب ج٢ ص٩﴾.

٤٦ – الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، ابن أنس الصحابي الجليل خادم الرسول صلى الله عليه وسلم، له كتاب الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهبي: تحقيق – شعيب الأرناؤوط – ج٨ ص٤٨ – مؤسسة الرسالة – ط٦ – سنة ١٤٠٩هـ، البداية والنهاية ج١٠ ص١٨٠، شذرات الذهب ج١ ص٢٨٩﴾.

٤٧ – النعمان بن ثابت بن زويطي التيمي مولاهم الكوفي، فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، وأحد الأئمة الأربع أصحاب المذاهب المتنوعة، وهو أقدمهم وفاة، لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك، قيل وغيره مات سنة ١٥٠هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٠ ص١١٠، سير أعلام النبلاء ج٦ ص٣٩٠، شذرات الذهب ج١ ص٢٢٧﴾.

٤٨ – أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأربع، صاحب المسند، توفي سنة ٢٤١هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٠ ص٣٤٠، سير أعلام النبلاء ج١١ ص١٧٧﴾.

٤٩ – داود بن علي، الأصبهاني ثم البغدادي، الفقيه الظاهر إمام أهل الظاهر، كان من المتعصبين للشافعي، وصنف مناقبه، مات سنة ٢٧٠هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١١ ص٥١، تذكرة الحفاظ – الإمام شمس الدين محمد الذهبي: ج٢ ص٥٧٢، دار الفكر – بيروت، شذرات الذهب ج٢ ص١٥٨﴾.

٥٠ – وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في القراءات الأربع عشرة.

٥١ – قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف (يطّهّرن) والباقون (يطْهُرن).

أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال.

4. ومنها ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة (وأرجلَكم)[52] المائدة ٦ ، بالخفض والنصب فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل فبيَّنَهُما النبي-ﷺ - فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره ...

5. ومنها ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله)[53] الجمعة ٩، فإن قراءة (فاسعوا) يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه.

6. ومنها ما يكون مفسراً لما لعله لا يعرف مثل قراءة (كالصوف المنفوش)[54] القارعة ٥ .

7. ومنها ما يكون حجة لأهل الحق ودفعاً لأهل الزيغ كقراءة (وملكاً كبيرا)[55] الإنسان ٢٠ ، بكسر اللام وردت عن ابن كثير[56] وغيره وهي أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة.

8. ومنها ما يكون حجة بترجيح لقول بعض العلماء كقراءة (أو لمستم النساء)[57] النساء ٤٣ ، إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى (فلمسوه بأيديهم) الأنعام ٧ ، أي مسوه.

٥٢ - قرأ حمزة (والأرحامِ) بالكسر وقرأ الباقون (والأرحامَ) بالفتح. انظر: النشر ج٢ ص٢٤٧ .

٥٣ - وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في الأربع عشرة.

٥٤ - وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في الأربع عشرة.

٥٥ - وهي قراءة شاذة لم تثبت عن ابن كثير ضمن القراءات الصحيحة المنسوبة إليه.

٥٦ - ستأتي ترجمته عند ذكر القراء العشرة ص٢٦.

٥٧ - قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف (لمستم) وقرأ الباقون بالألف (لامستم).

٩. ومنها ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة (والأرحامِ)[٥٨] المائدة ٦ .

١٠. بالخفض، (ولِيُجْزَي قوماً)[٥٩] الجاثية ١٤ ، على ما لم يسم فاعله مع النصب».[٦٠]

٥٨ - قرأ حمزة (والأرحامِ) بالكسر وقرأ الباقون (والأرحامَ) بالفتح.

٥٩ - وهي قراءة عشرية صحيحة قرأ بها أبو جعفر يزيد بن القعقاع. انظر النشر ج٢ ص٣٧٢

٦٠ - النشر ج١ ص٢٨-٢٩ باختصار

المبحث الثاني: الأحرف السبعة

المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

لقد تعددت الروايات في نزول القرآن على سبعة أحرف، وتنوعت مصادرها، فهي مروية في أمهات كتب السنة منها الكتب الستة ومسند الإمام احمد ومصنف ابن أبي شيبة ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني وغيرها.

ولقد استفاضت هذه الأحاديث واشتهرت وتعددت أسانيدها وكثر من رواها من الصحابة بما يمتنع معه تواطؤهم على الكذب.

قال ابن الجزري: "وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم ابن سلام[٦١] - رحمه الله -على أن هذا الحديث تواتر عن النبي-ﷺ- قلت: وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام،..[٦٢]

فمن هذه الأحاديث:

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس - رض الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -(أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.)[٦٣]

٢- روى البخاري ومسلم – واللفظ للبخاري – أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي-ﷺ-فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة،

٦١ – القاسم بن سلام، أبو عبيد الخرساني الأنصاري مولاهم البغدادي، الإمام الكبير الحافظ العلامة أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، توفي سنة ٢٢٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص١٧﴾.

٦٢ – النشر ج١ ص٢١.

٦٣ – انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج٩ ص٢٣ رقم ٤٩٩١ –دار المعرفة/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ج١ ص٥٦١ رقم٢٧٢ –رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – سنة ١٩٨٠م.

لم يقرئنيها رسول الله-ﷺ-فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله-ﷺ-فقلت له كذبت، فوالله إن رسول الله-ﷺ-أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها : فانطلقت به إلى رسول الله-ﷺ فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله-ﷺ- : أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها قال رسول الله-ﷺ-هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله-ﷺ-: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله-ﷺ-كذلك أنزلت: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه.)[٦٤]

٣- روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه: (أن النبي-ﷺ-كان عند أضاة[٦٥] بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك.

ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤا عليه أصابوا.)[٦٦]

---

٦٤ - انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج٩ ص٢٣ رقم٤٩٩٢ ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ج١ ص٥٦٠ رقم ٢٧٠.

٦٥ - الأضاة: الماء المستنقع، كالغدير.

٦٦ - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ج ١ ص٥٦١-٥٦٢ رقم ٢٧٤.

٤- روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لقي رسول الله-ﷺ-جبريل فقال: (يا جبريل: إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال الترمذي: حسن صحيح.)[٦٧]

المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها:

أ- في اللغة:

قال الفيروزآبادي[٦٨]: «الحرف من كل شيء: طرفه، وشفيره، وحدّه، ومن الجبل: أعلاه المحدد.[٦٩]

وقال الراغب الأصبهاني: «حرف الشيء: طرفه، وجمعه أحرف وحروف، يقال حرف السيف وحرف السفينة، وحرف الجبل.[٧٠]

وقال ابن منظور: «الحرف من حروف الهجاء معروف واحد حروف التهجي. والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كـ عن وعلى.. وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا، تقول هذا حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود ... والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[٧١]،

٦٧ – سنن الترمذي كتاب القراءات عن رسول الله ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ج ٤ ص٤٣٤ رقم ٢٩٥٣ –دار الفكر / تحقيق صدقي محمد العطار ومحمد عرفان حسونة –طبعة سنة ١٩٩٤م.

٦٨ – محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، الإمام الهمام قاضي القضاة مجد الدين، أبو طاهر الفيروزآبادي، ابن شيخ الإسلام سراج الدين يعقوب، شافعي المذهب، له تصانيف متعددة منها: القاموس المحيط، توفي سنة ٨١٧هـ ﴿انظر: انظر ترجمته في مقدمة القاموس المحيط – للعلامة أبي الوفاء الهوريني: إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي – ج١ ص٦١ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – سنة ١٤١٧هـ ، شذرات الذهب ج٧ ص١٢٦ ﴾.

٦٩ – القاموس المحيط ج٢ ص١٠٦٦.

٧٠ – مفردات ألفاظ القرآن ص٢٢٨.

٧١ – سبق تخريجه في ص١٤.

أراد بالحرف اللغة.. وحرف الشيء: ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه كأنه ينظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها. وفي التنزيل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الحج١١، أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل هو أن يعبده على السراء دون الضراء.[٧٢]

ب- في الاصطلاح:

لقد جاءت أحاديث الأحرف السبعة مجملة لم تبين المقصود منها، ولهذا نجد أن العلماء قد اختلفوا في المراد منها وتشعبت أقوالهم:

فنجد أن القرطبي[٧٣] يقول: «وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا.[٧٤]

وأما السيوطي فقد ذكر أنه اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا ذكر منها خمسة وثلاثون.. ثم قال: «قال ابن حبان[٧٥] فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة وتحتمل غيرها. قال المرسي[٧٦]: هذه الوجوه أكثرها متداخلة، ولا أدري مستندها، ولا عمن نقلت ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر

٧٢ - لسان العرب ج٢ ص٨٣٧-٨٤٠ باختصار.

٧٣ - محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، شمس الدين أبو عبد الله القرطبي المالكي، صاحب التفسير الكبير المسمى الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الأخرة، وغيرهما من الكتب، كان ورعا متعبدا، توفي سنة ٦٧١هـ ﴿انظر: مقدمة تفسيره الجامع ١/ز –الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٨٧م ، شذرات الذهب ج٥ ص٣٣٥ ، كشف الظنون ج٦ ص١٠٣ .﴾.

٧٤ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤٢

٧٥ - محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي البستي الشافعي، أبو حاتم، صاحب الصحيح، كان حافظا ثبتا إماما حجة، كان من أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ، توفي بنيسابور سنة ٣٥٤هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٣ ص١٦﴾.

٧٦ - محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، أبو عبد الله السلمي الأندلسي، المحدث النحوي المفسر، تلقى عن كبار العلماء في عصره، له مصنفات مفيدة، مع زهد، توفي سنة ٦٥٥هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٥ ص٢٦٩ ، وسير أعلام النبلاء ج٢٣ ص٣١٢﴾.

مع أن كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه إنما اختلفا في قراءة حروفه وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح.[٧٧]

وأرجح الأقوال في المراد بالأحرف السبعة هذه قولان:

القول الأول: أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير:

ودليلهم الاستقراء، فقد استقرأ العلماء القائلون بهذا القول وجوه الاختلاف بين القراءات المتعددة فوجدوها سبعة أوجه، ففسروا بها حديث النبي-ﷺ-: (أنزل القرآن على سبعة أحرف.)[٧٨]

وقد ذهب إلى هذا القول طائفة من العلماء منهم: ابن قتيبة[٧٩]، والقاضي ابن الطيب[٨٠]، وأبو الفضل الرازي[٨١]، وابن الجزري وآخرون، ورجحه من المتأخرين الشيخ عبد العظيم الزرقاني وصبحي الصالح رحمهما الله تعالى.[٨٢]

ومع اتفاق هؤلاء العلماء على أن المراد بالأحرف السبعة هي الأوجه التي يقع بها التغاير إلا أنهم اختلفوا في تحديد هذه الأوجه، وسنقتصر منها

٧٧ – الإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٤١.

٧٨ – سبق تخريجه في ص١٤.

٧٩ – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد الشهير بابن قتيبة، كان رأسا في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة دينا فاضلا، له تصانيف كثيرة نافعة منها: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، ومختلف الحديث، وغيرها، توفي سنة ٢٧٦هـ ﴿طبقات المفسرين – للداوودي: ج١ ص٢٥١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – سنة ١٤٠٣هـ﴾.

٨٠ – محمد بن الطيب بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام توفي سنة ٤٠٣هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١١ ص٣٧٣ ، شذرات الذهب ج٣ ص١٦٩﴾ .

٨١ – عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم بن جبريل، أبو الفضل الرازي العجلي، الإمام المقرئ، شيخ الإسلام، الثقة الورع الكامل، مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره، توفي سنة ٤٥٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٣٦١ ، وشذرات الذهب ج٣ ص٢٩٣ ، سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٣٥﴾ .

٨٢ – انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره / الدكتور عبد الرحمن يوسف الجمل ص٨٢.

على رأي ابن الجزري إذ يقول: «...ثم رأيت الإمام الكبير أبا الفضل الرازي حاول ما ذكرته فقال إن الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه:

الأول: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: الزيادة والنقص.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل ونحو ذلك. [٨٣]

القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات:

ولقد ذهب إلى هذا القول جمع كبير من العلماء منهم: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وثعلب[٨٤]، وأبو حاتم السجستاني[٨٥]، والإمام الطبري. واختاره ابن عطية[٨٦] في تفسيره، ومال إليه

---

٨٣ – النشر ج١ ص٢٧.

٨٤ – أحمد بن يحيى بن يزيد بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب، الإمام اللغوي، نحوي بغدادي، ثقة كبير، له كتاب في القراءات، وكتاب الفصيح، توفي سنة ٢٩١هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص١٤٨ ، وتذكرة الحفاظ ج٢ ص٦٦٦﴾ .

٨٥ – سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، أبو حاتم السجستاني، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض ، قال ابن الجزري: وأحسبه أول من صنف في القراءات، توفي سنة ٢٥٥هـ ﴿ انظر: غاية النهاية ج١ ص٣٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ج١٢ ص٢٦٨﴾ .

٨٦ – عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحرابي، من محارب بن قيس الغرناطي، أبو محمد مفسر فقيه أندلسي، ولي قضاء المرية، كان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ٥٤٦هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٨٧ ، مقدمة تفسيره المحرر الوجيز – تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ج١ ص٢٦ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٣هـ﴾.

الألوسي في تفسيره. وقد نسبه ابن الجزري لأكثر العلماء.[٨٧]

وقال الإمام الطبري في مقدمة تفسيره: «الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن، هن سبع لغات، في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم وتعال وأقبل وإلي وقصدي ونحوي وقربي ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ، بضروب من النطق، وتتفق فيه المعاني، وإن اختلف بالبيان به الألسن.»[٨٨]

الرأي المختار:

والذي أختاره في هذه المسألة وأميل إليه هو ما ذهب إليه أستاذي الدكتور عبد الرحمن الجمل حيث يقول:

«إن الأحرف السبعة سبع لغات بما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة التي تقتضي التيسير والتخفيف على الأمة بنزول القرآن عليها نحو اختلاف القبائل في الفتح والإمالة وبين بين، وتحقيق الهمز وتسهيله، والإظهار والإدغام ...»[٨٩]

وسبب هذا الاختيار هو أن هذا القول جامع لأرجح الأقوال في المسألة إذ يشمل ما ذكره الإمام الطبري وهو الألفاظ التي تختلف في كيفية التلفظ بها وتتحد في المعنى أو تتقارب.

ويشمل غيره من وجوه الاختلاف الكثيرة في هيئات النطق التي تقتضي التخفيف والتيسير ورفع الحرج وغيرها من أوجه التغاير بين اللغات.

---

٨٧ – انظر النشر ج١ ص٢٤، وانظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٦٤-٩٨.

٨٨ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابن جرير الطبري: ج١ ص٢٥ – دار الفكر – سنة ١٤٠٨هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: جامع البيان.

٨٩ – منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٩٤.

المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف:

إن لنزول القرآن على سبعة أحرف فوائد كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم فمن ذلك ما أورده ابن الجزري في نشره عند حديثه عن فوائد اختلاف القراءات وتنوعها حيث قال:

«وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.

١. ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية ...

٢. ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به -ﷺ-.

٣. ومنها سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظ جملا من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة لاسيما فيما كان خطه واحدا فإن ذلك أسهل حفظا وأيسر لفظا.

٤. ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته ...

٥. ومنها بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم

كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده ..

٦. ومنها ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى لهذه الأمة المحمدية ...

٧. ومنها ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يخل عصرا من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته ...[٩٠]

٩٠ – النشر ج١ ص٥٢-٥٤ باختصار.

المبحث الثالث : القراءات القرآنية

المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية لغة واصطلاحا:-

أ- القراءات لغة:

قال ابن فارس: «القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة: جمعته، وذلك الماء المجموع قري. وإذا همز هذا الباب كان والأول سواء. يقولون: ما قرأت هذه الناقة سلى كأنه يراد أنها ما حملت قط، قالوا ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك.»[٩١]

وقال الراغب الأصبهاني: «القراءة ضم الحروف بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع ..القرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان. قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة ١٨،١٧ قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به.»[٩٢]

وقال الفيروزآبادي: «القرآن: التنزيل، قرأه، وبه كنصره ومنعه، قرأ وقراءة وقرآنا، فهو قارئ من قرأة وقراء وقارئين.»[٩٣]

وقال ابن منظور: «قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض... وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن. وأقراه القرآن، فهو مقرئٌ... ويُقال للحُمَّى: قَرْءٌ؛ وللغائب: قَرْءٌ، وللبعيد: قَرْءٌ. والقَرْءُ والقُرْءُ: الحيض والطهر، ضد وذلك أن القَرْءَ الوقت، فقد يكون للحيض والطهر.»[٩٤]

---

٩١ - معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٧٨-٧٩.

٩٢ - مفردات ألفاظ القرآن ص٦٦٨-٦٦٩ باختصار.

٩٣ - القاموس المحيط ج١ ص١١٥.

٩٤ - لسان العرب ج٦ ص٣٥٦٣-٣٥٦٤.

ب - القراءات اصطلاحاً:

قال الدمياطي الشهير بالبنا: «علم القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع.»[95]

وقال الزرقاني: «القراءات مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء خالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها.»[96]

وأضبط هذه التعريفات وأعمها وأشملها هو تعريف ابن الجزري إذ يقول: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة». [97]

المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن:

لقد اختلف بعض العلماء في تحديد العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن فمنهم من اعتبرهما حقيقتان متغايرتان ومنهم من اعتبرهما حقيقتان متفقتان.

قال الزركشي: «القراءة والقرآن حقيقتان متغايرتان.

فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد- ﷺ -للبيان والإعجاز.

والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل، وغيرها»[98]. وتبعه على ذلك صاحب إتحاف فضلاء البشر».[99]

---

٩٥ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة – العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، الشهير بالبناء – وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة – ص٦ - دار الكتب العلمية بيروت – ط١ – سنة ١٤١٩هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: إتحاف فضلاء البشر.

٩٦ – مناهل العرفان في علوم القرآن ص٢٨٨.

٩٧ – منجد المقرئين ومرشد الطالبين – شمس الدين محمد بن الجزري: ص١٣ - مكتبة القدس – ط١ – ١٤١٦هـ.

٩٨ – البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣١٨.

٩٩ – إتحاف فضلاء البشر ص٧.

وقال الدكتور/ محمد سالم محيسن: «القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات».[100]

ولقد ناقش هذين القولين الدكتور شعبان إسماعيل فأصاب وأفاد حيث قال: «إن كان الزركشي يقصد بالتغاير التغاير التام فلست معه، إذ ليس بين القرآن والقراءات تغاير تام، فالقراءات الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول ما هي إلا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق ارتباط الجزء بالكل.

وأما ما قاله الدكتور/ محمد محيسن فمردود وغير مقبول، ولم يقل به أحد من علمائنا السابقين، فلا يمكن أن يقال إن القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان:

أولا: لأن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال إنهما حقيقتان متحدتان.

ثانيا: التعريف المتقدم للقراءات يشمل القراءات المتواترة التي يصح أن يقرأ بها القرآن، كما يشمل القراءات الشاذة، والتي أجمع العلماء على أنه لا يصح قراءة القرآن بها؛ لأنها لم تستجمع أركان القراءة الصحيحة وهي التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. فالقراءة التي تفقد أهم الأركان، وهو التواتر لا يصح أن نطلق عليها اسم القرآن، ولا تصح قراءته بها، لأن من تعريف القرآن أنه المنقول إلينا بالتواتر.

فكيف يسوغ القول بأن القرآن والقراءات شيء واحد، مع عدم انطباق ذلك على القراءات غير الصحيحة، فالواقع أنهما ليسا متغايرين تغايرا

١٠٠ - المغني في توجيه القراءات العشر / د. محمد سالم محيسن - ج١ ص٤٦ - دار الجيل - بيروت - ط٢ - ١٤٠٨هـ.

تاما، كما أنهما ليسا متحدين اتحادا حقيقيا ، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل والله أعلم.[١٠١]

المطلب الثالث: نشأة القراءات وأقسامها وحكم الاحتجاج بها:

أولا: نشأة القراءات وأقسامها:

أقرأ النبي-ﷺ-الصحابة القرآن على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، فكان كل منهم يقرأ القرآن على الحرف الذي تلقاه من النبي-ﷺ- وعند الاختلاف يرجعون إليه عليه السلام فيفصل بينهم كما حصل مع عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم عندما اختلفا في قراءة سورة الفرقان. استمر الحال على ذلك حتى وقع الخلاف بين المسلمين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال ابن الجزري: "ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية[١٠٢] وآذربيجان[١٠٣] فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك فأفزعه ذلك،وقدم على عثمان وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة – أم المؤمنين رضي الله عنها -أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن

---

١٠١ –القراءات أحكامها ومصدرها / الدكتور شعبان إسماعيل ص٢٤-٢٥ –مطبوعات رابطة العالم الإسلامي –ط٢ –سنة ١٤١٤هـ.

١٠٢ – إرمينية: بكسر أوله ويفتح، اسم لصُقع عظيم واسع في جهة الشمال. انظر معجم البلدان – ياقوت الحموي – تحقيق فريد عبد العزيز الجندي – ج١ ص١٩١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٠م.

١٠٣ – أذربيجان: يتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل، والطرم، وهو إقليم واسع، ومن مشهور مدائنها تبريز – انظر معجم البلدان – ج١ ص١٥٦

الزبير، وسعيد بن العاص،[١٠٤] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[١٠٥] أن ينسخوها في المصاحف وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدة مصاحف، فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام وترك مصحفا بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له الإمام ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين، وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتا مستفيضا أنه من القرآن».[١٠٦]

وعليه فقد انقسمت القراءات في عهد عثمان رضي الله عنه إلى قسمين:

١- ما يقبل ويقرأ به، وهو ما وافق خط المصحف المجمع عليه مما نقله الثقاة وتلقوه مسلسلا عن النبي-ﷺ-.

٢- ما لا يقبل ولا يقرأ به، وهو ما خالف خط المصحف المجمع عليه مخالفة شديدة ظاهرة كزيادة كلمة وتبديل كلمة مكان أخرى، ونحو ذلك.[١٠٧]

استمر الناس يقرءون القرآن ويتلقونه مشافهة على الحرف الذي جمع عثمان - رضي الله عنه - الأمة عليه وما يحتمله رسم المصحف من الأحرف الأخرى.

قال ابن الجزري بعد أن ذكر القراء من الصحابة والتابعين:

١٠٤ -سعيد بن العاص بن أبي أحيحة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي الأموي المدني، نشأ في حجر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أشبههم برسول الله ﷺ، توفي سنة ٥٩هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٤٤٤، وشذرات الذهب ج١ ص٦٥﴾.

١٠٥ - عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، أبو محمد من أشراف بني مخزوم، لا صحبة له، بل له رؤية، توفي سنة ٥٩هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٨٤﴾.

١٠٦ - النشر ج١ ص٧.

١٠٧ - منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص١٦

«ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ... ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق ؛ فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها وأركان فصلوها .»(١٠٨)

ولقد قسم العلماء بعد عهد الصحابة القراءات إلى أقسام:

أولاً: تقسيم ابن مجاهد للقراءات:

تصدى ابن مجاهد(١٠٩) لعمل جليل وهو الاقتصار من القراءات التي توافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فاختار من بين القراء الكثيرين الذين كانوا في عصره سبعة قراء فجمع قراءاتهم وحرر طرقهم وتابعه الناس على ذلك فكان أول من سبع السبعة. قال الإمام مكي بن أبي طالب(١١٠): «وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر ابن مجاهد

١٠٨ - النشر ج١ ص٨-٩ باختصار.

١٠٩ - أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، التميمي، الحافظ الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السبعة، توفي سنة ٣٢٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ج١٥ ص٢٧٢﴾ .

١١٠ - مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين، كان عالما بمعاني القراءات، جلس للإقراء بجامع قرطبة، له تصانيف عدة في القراءات أهمها: التبصرة في القراءات والكشف عليها، توفي سنة ٤٣٧هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٩﴾ .

قبل سنة ثلاث مائة أو في نحوها .»[111]

وبعد أن جمع ابن مجاهد قراءات الأئمة السبعة وأودعها كتابه السبعة في القراءات السبع، أصبح يطلق على ما عداها من القراءات شاذة أي ليست في السبعة رغم أن بعضها منقول عن الثقاة ؛ فانقسمت القراءات بعد اختيار ابن مجاهد للقراءات السبع وبعد أن جمع ابن مجاهد قراءات الأئمة السبعة وأودعها كتابه السبعة في القراءات السبع إلى قسمين:

١- القراءات الصحيحة وهي التي أجمع عليها أكثر القراء، وهي قراءات الأئمة السبعة.

٢- القراءات الشاذة وهي ما خلا القراءات السبعة التي أودعها ابن مجاهد في كتابه.[112]

ثانيا: تقسيم مكي بن أبي طالب للقراءات:

استمر الناس بقراءة القراءات السبع مع قراءات أخرى كقراءة يعقوب وأبي جعفر وغيرهم إلى أن جاء الإمام مكي بن أبي طالب فقسم القراءات باعتبار قبولها والقراءة بها وعدم قبولها والقراءة بها إلى ثلاثة أقسام حيث قال: «فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من القراءات الآن فيقرأ به، وما الذي لا يقبل ولا يقرأ به، وما الذي يقبل ولا يقرأ به ؟

فالجواب أن جميع ما روي من القراءات على ثلاث أقسام:

القسم الأول: وهو قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خصال، وهي أن ينقل عن الثقات إلى النبي-ﷺ-ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف، فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن

---

١١١ – الإبانة عن معاني القراءات – أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق د. محي الدين رمضان – ص٦٤ – بيروت – دار المأمون للتراث – ط١ – سنة ١٣٩٩هـ.

١١٢ – منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص١٨.

إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.
والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما أنه لم يوجد بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد. والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، وبئسما صنع إذ جحده.
والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية. فهذا لا يقبل، وإن وافق خط المصحف، ولكل صنف من هذه الأقسام تمثيل،تركنا ذكره اختصارا.[113]

ثالثاً: تقسيم ابن الجزري للقراءات:

ثم جاء ابن الجزري فقسم القراءات إلى قسمين: متواترة وصحيحة حيث قال: «نقول كل قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً وتواتر نقلها هذه القراءة المتواترة المقطوع بها. ومعنى العربية مطلقا أي ولو بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة (والأرحامِ) النساء ١، بالجر.
ومعنى أحد المصاحف العثمانية واحد من المصاحف التي وجهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار كقراءة ابن كثير (جنات تجري من تحتها الأنهار) التوبة ١٠٠، بزيادة (من) فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة.
ولو تقديراً ما يحتمله رسم المصحف كقراءة من قرأ (مالك يوم الدين) الفاتحة ٤، بالألف فإنها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف فاحتملت الكتابة أن تكون (مالك)...

١١٣ - الإبانة عن معاني القراءات ص٣٩-٤٠.

والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم: (أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف)[١١٤] أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا كما سنوضح ذلك فقراءة أحدهم كقراءة الباقين في كونها مقطوعا بها كما سيجيء وقول من قال إن المتواترة لا حد لها إن أراد في زماننا فغير صحيح لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله.

وأما القراءة الصحيحة فهي على قسمين:

القسم الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه ووافق العربية والرسم. وهذا على ضربين:

ضرب استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول كما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبي-ﷺ- من الأحرف السبعة كما نبين حكم المتلقى بالقبول وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها كما سيأتي.

وضرب لم تتلقه الأمة بالقبول ولم يستفض فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة به والصلاة به والذي نص عليه أبو عمرو بن الصلاح[١١٥] وغيره أن ما وراء العشرة ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة ..

القسم الثاني: ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم كما ورد في

١١٤ - ستأتي الترجمة لهم.

١١٥ - تقي الدين عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى، أبو عمرو بن الصلاح، الكردي الشافعي الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام، صاحب كتاب علوم الحديث، صنف وأفتى، وكان من أعلام الدين وأحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، توفي سنة ٦٤٣هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص١٤٠، تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٤٣٠﴾.

صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها .»[١١٦]

من خلال تقسيم ابن الجزري يمكن تقسيم القراءات إلى ثلاثة أقسام:

١- القراءة المتواترة:

وهي كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديرا، وتواتر نقلها، ويلحق بها القراءة الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة والمتلقيات بالقبول وهي القراءات العشر.

٢- القراءات الصحيحة:

وهي الجامعة للأركان الثلاثة ولكنها لم يستفض نقلها ولم تتلقها الأمة بالقبول، وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع بعد العشر وهي: قراءة الحسن[١١٧]، وابن محيصن[١١٨]، واليزيدي[١١٩]، والأعمش[١٢٠].

٣- القراءات الشاذة:

وهي القراءات التي صح سندها ووافقت العربية وخالفت الرسم ومثاله

---

١١٦ – منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص٢٣-٢٤ باختصار.

١١٧ – الحسن بن أبي الحسن يسار، السيد الإمام، أبو سعيد البصري أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، أمه مولاة أم سلمة، وهو إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، توفي سنة ١١٠هـ ﴿انظر: طبقات المفسرين ج١ ص١٥٠، غاية النهاية ج١ ص٢٣٥﴾.

١١٨ – محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، عرض على مجاهد بن جبر، ودرباس مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، عرض عليه شبل بن عباد وأبو عمر بن العلاء وغيرهم، له اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته، توفي سنة ١٢٣هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص١٦٧﴾.

١١٩ – يحي بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحوي مقرئ ثقة علامة كبير في النحو والعربية والقراءة، كان مؤدب أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، وإليه ينتسب، توفي في خرسان سنة ٢٠٢هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٧٥﴾.

١٢٠ – سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي، الإمام الجليل قرأ القرآن على يحي بن وثاب وزر بن حبيش، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي، ومجاهد وعاصم بن أبي النجود، وإبراهيم النخعي، أقرأ الناس ونشر العلم دهرا طويلا، قرأ عليه حمزة الزيات وغيره، توفي سنة ١٤٨هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٣١٥﴾.

ما ورد بأسانيد صحاح في كتب الحديث من زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك.[١٢١]

ثانيا: حكم الاحتجاج بالقراءات:

إن قراءة الأئمة العشرة بحكم ما استجمعته من الأركان الثلاثة وما توفر لها من التواتر عند من يرون ذلك من أصحاب الشأن في القراءات هي المعتبرة عند الفقهاء، والأصوليين والمحدثين وأئمة المذاهب في الاستدلال على صحة الأحكام الشرعية ؛ لأنها أبعاض القرآن وأجزاؤه ؛ فهي من باب تفسير القرآن بالقرآن والذي يعتبر من أجل أنواع التفسير وأشرفها كما بينا ذلك سابقا .

إن تنوعها يغني عن تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز كما بينا ذلك في التمهيد .

هذه هي القراءات المتواترة والتي تمثل القسم الأول عند مكي بن أبي طالب السابق، وهو القسم الذي يقبل من القرآن ويقرأ به؛ حيث قال ابن الجزري وهو يمثل لهذا الجزء:

«ومثال القسم الأول: مَالك ومَلك، ويَخدعون ويُخادعون، وأَوصى ووَصَّى، ويَطَّوع وتَطَّوع ونحو ذلك من القراءات المشهورة.»[١٢٢]

وهي نفسها القراءات المتواترة عند ابن الجزري وما يلحق بها من القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة والمتلقاة بالقبول وهي القراءات العشر.

وأما ما سوى القراءات العشر وهي كل قراءة اختلت فيها الأركان الثلاثة كلا أو بعضا فهي القراءة الشاذة، ولقد اختلف العلماء في صحة الاحتجاج

١٢١ - انظر منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٢٣.

١٢٢ - النشر في القراءات العشر ج١ ص١٤.

بالشواذ على مذهبين:

قال الإمام السيوطي: «اختلف في العمل بالقراءة الشاذة فنقل إمام الحرمين[١٢٣] في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي – رضي الله عنه – أنه لا يجوز، وتبعه أبو نصر القشيري[١٢٤]، وجزم به ابن الحاجب[١٢٥] لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت. وذكر القاضيان أبو الطيب والحسين[١٢٦] والروياني[١٢٧] والرافعي[١٢٨] العمل بها تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد، وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود، وعليه أبو حنيفة أيضاً، واحتج على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءته (متتابعات) ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها.»[١٢٩]

وقال الآمدي[١٣٠] عند حديثه عن خبر الواحد والعمل به: «فذهبَ الشافعيُّ ومالك وأحمدُ بنُ حنبل في أصحِّ الروايتين عنهُ، وأكثرُ المتكلمين إلى وجوبِ العمل به.»[١٣١]

وسبب عدم حجيتها أن رواية الشواذ لا تكون إلا آحاداً، فإن ذكرها

١٢٣ – عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني، الملقب بإمام الحرمين، شيخ الشافعية، توفي سنة ٤٧٨هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٢ ص١٣٦ ، سير أعلام النبلاء ج١٨ ص٤٦٨﴾ .

١٢٤ – عبد الرحيم بن عبد الكبير، أبو هوازن، أبو نصر القشيري، واعظ من علماء نيسابور، كان فصيحا جريئا، حدث ببغداد فحدثت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، توفي سنة ٥١٤هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٢ ص٢٠٠ ، سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٤٢٤﴾ .

١٢٥ – عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو بن الحاجب فقيه مالكي، من كبار علماء العربية، كردي الأصل، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٦٤٦هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٥٠٨ ، سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص٢٦٤﴾ .

١٢٦ – الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، أبو عبد الله، فقيه شافعي قاض، له وجه في المذهب، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، له المنهاج وغيره، توفي سنة ٤٠٣هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٢٣١ ، وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٥٦، شذرات الذهب ج٣ ص١٦٧﴾ .

١٢٧ – عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد، أبو المحاسن، القاضي العلامة فخر الإسلام الروياني، شيخ الشافعية، له تصانيف كثيرة منها: مناصيص الإمام الشافعي، توفي سنة ٥٠٢هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٢٦٠ ، وشذرات الذهب ج٤ ص٤﴾ .

١٢٨ – عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي، فقيه من كبار الشافعية، له تصانيف كثيرة منها الشرح الكبير على المحرر، وصاحب الوجيز، توفي سنة ٦٢٣هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص٢٥٢ ، شذرات الذهب ج٥ ص١٠٨﴾ .

١٢٩ – الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢٢٨.

١٣٠ – أحمد بن عبد الله الآمدي سبط الأغلاقي، قرأ عليه محمد بن أحمد بن بختيار الميداني ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٧٦﴾ .

١٣١ – الإحكام في أصول الأحكام / للآمدي ج٢ ص١٥١ – دار الحديث – القاهرة.

راويها على أنها قرآن فهو خطأ، وإن لم يروها قرآنا، فقد تردد أن يكون خبراً عن النبي-ﷺ-، وبين أن يكون مذهباً له فلا يكون حجة.
قال الإمام النووي[١٣٢] في شرح مسلم: «مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله-ﷺ-؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا.[١٣٣]

الراجح في المسألة:

إن القراءات الشاذة والتي خالفت رسم المصحف بالزيادة أو النقص ليست من القرآن ولا من قراءاته وإنما هي رواية تفسيرية زادها أصحاب المخطوطات من الصحابة في مخطوطاتهم بجانب النص القرآني؛ لبيان مجمل، أو تقدير محذوف، أو تفسير لفظ، أو تعيين حكم بمقتضى فهمهم لأسباب النزول ومقاصد التشريع. هذا إن صح الإسناد إلى من نسبت إليه.
قال السيوطي: «قال أبو عبيد في فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة: (والصلاة الوسطى صلاة العصر) البقرة ٢٣٨ ، وقراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) المائدة ٣٨ ، وقراءة جابر (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم) النور ٣٣ ، قال فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن

١٣٢ – يحي بن شرف بن حسن الحازمي العالم، محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، أبدع وأجاد في فنون كثيرة ومتعددة منها: شرح صحيح مسلم، وكتاب المجموع شرح المهذب في فقه الشافعية، توفي سنة ٦٧٦هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٣ ص٢٩٤﴾

١٣٣ – صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ ص١٣٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب دليل من قال الصلاة الوسطى صلاة العصر – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٣

فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل انتهى.»[١٣٤]

وإذا كان الأمر على ما حققناه من أن هذه الشواذ ليست سوى روايات تفسيرية فقد خرجت من دائرة القراءات فلا يحتج بها احتجاج القراءات المعتبرة، وإنما يعتضد بها –إن صح إسنادها – في حكم ثبت بالقرآن أو السنة أو يترجح بها رأي في أمر وقع فيه خلاف باعتبار أنها قول صحابي ويكون هذا التفسير من باب تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ونظرا لأن موضوعنا في هذه الرسالة هو تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر الصحيحة فسنقتصر في التفسير على القراءات العشر المتواترة المتفق على أنها قرآن، مع أنه لا مانع من الاحتجاج بالشاذ في التفسير.

المطلب الرابع: التعريف بالقرّاء العشرة ورواتهم :

أفردهم بالتأليف جماعة من العلماء منهم الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار، وابن الجزري في كتابه غاية النهاية في طبقات القراء:

١- نافع[١٣٥]:

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم الليثي مولاهم، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة، أقرأ الناس دهراً طويلاً نيفاً عن سبعين سنة وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها، كان إذا تكلم يشم من فيه المسك، مات سنة تسع وستين ومائة وقيل غير ذلك . اشتهر بالرواية عنه قالون وورش.

١٣٤ – الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢٢٧ –٢٢٨

١٣٥ – غاية النهاية ج٢ ص٣٣٠–٣٣١ باختصار ، وانظر: النشر ج١ ص٩٩–١١٥.

أ- قالون[١٣٦]:

عيسى بن مينا بن وردان مولى بني زهرة أبو موسى الملقب قالون، قارئ المدينة ونحويها، يقال إنه ربيب نافع وقد اختص به كثيراً وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، توفي سنة عشرين ومائتين.

ب- ورش[١٣٧]:

فهو عثمان بن سعيد أبو سعيد القرشي مولاهم القبطي المصري الملقب بورش شيخ القراء المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، كان جيد القراءة حسن الصوت، لقب بورش لشدة بياضه ولد سنة عشر ومائة بمصر، وتوفي بها سنة سبع وتسعين ومائة.

٢-ابن كثير[١٣٨]:

عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك.

روى عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله- ﷺ-، توفي سنة عشرين ومائة بمكة المكرمة، وقد اشتهر بالرواية عنه ولكن بواسطة أصحابه البزي وقنبل.

أ- البزي[١٣٩]:

فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو

---

١٣٦ – غاية النهاية ج١ ص٦١٥-٦١٦ باختصار.

١٣٧ – غاية النهاية ج١ ص٥٠٢-٥٠٣ باختصار.

١٣٨ – غاية النهاية ج١ ص١٤٣-١٤٥ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١١٥-١٢٣.

١٣٩ – غاية النهاية ج١ ص١١٩-١٢٠ باختصار.

الحسن البزي المكي مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام، ولد سنة سبعين ومائة أستاذ محقق ضابط متقن انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، توفي البزي سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة.

ب- قنبل[١٤٠]**:**

فهو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقب بقنبل شيخ القراء بالحجاز، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، كان إماماً في القراءة ضابطاً ثقة يؤمه الناس من أقطار الأرض، مات سنة إحدى وتسعين ومائتين.

٣- أبو عمرو[١٤١]**:**

زبان بن العلاء بن عمار أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمان وستين، قرأ بمكة والمدينة وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة فليس في القراء أحد أكثرَ شيوخاً منه سمع أنس بن مالك وغيره، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد، مات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. وممن اشتهر بالرواية عنه السوسي والدوري ولكن بواسطة اليزيدي.

أ- السوسي[١٤٢]**:**

فهو صالح بن زياد بن عبد الله أبو شعيب السوسي الرقي مقرئ ضابط محرر ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب السبعين.

ب- الدوري[١٤٣]**:**

١٤٠ - غاية النهاية ج٢ ص١٦٥-١٦٦ باختصار.

١٤١ - غاية النهاية ج١ ص٢٨٨-٢٩٢ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٢٣-١٣٥.

١٤٢ - غاية النهاية ج١ ص٣٣٢-٣٣٣ باختصار.

١٤٣ - غاية النهاية ج١ ص٢٥٥-٢٥٧ باختصار

فهو حفص بن عمر بن عبد العزيز أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الضرير، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط أول من جمع القراءات، توفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين.

٤- ابن عامر(١٤٤):

عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي نسبة إلى يحصب بضم الصاد وكسرها، وقد اختلف في كنيته كثيراً والأشهر أنه أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، كان إماماً عالماً ثقة فيما أتاه حافظاً لما رواه، ولي القضاء بدمشق، وهو تابعي جليل، وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي١٤٥ وقيل إنه قرأ على عثمان توفي سنة ثماني عشرة ومائة. وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان ولكن بواسطة.

أ- هشام(١٤٦):

هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين وقيل سنة أربع وأربعين.

ب- ابن ذكوان(١٤٧):

فهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو القرشي الدمشقي، الإمام الأستاذ الشهير الراوي الثقة شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة وتوفي يوم الاثنين سنة اثنين

١٤٤ - غاية النهاية ج١ ص٤٢٣-٤٢٥ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٣٥-١٤٦

١٤٥ - المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم، أبو هاشم المخزومي الشامي، أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أخذ القراءة عنه عبد الله بن عامر، توفي سنة ٩١هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٥﴾.

١٤٦ - غاية النهاية ج٢ ص٣٥٤-٣٤٦ باختصار.

١٤٧ - غاية النهاية ج١ ص٤٠٤-٤٠٥ باختصار.

وأربعين ومائتين.

٥- عاصم[١٤٨]:

عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم، أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي[١٤٩] في موضعه جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن، أخذ القراءة عرضا عن زر بن حبيش[١٥٠] وأبي عبد الرحمن السلمي توفي بالكوفة أو بالسماوة[١٥١] سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل سنة ثمان وعشرين. روى عنه شعبة وحفص كلاهما بدون واسطة.

أ- شعبة[١٥٢]:

فهو شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الحناط الأسدي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم، كان إماماً كبيراً عالماً عاملاً وكان من أئمة السنة، توفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة.

ب- حفص[١٥٣]:

فهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز أبو عمر أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته، ولد سنة تسعين، ثقة ثبت ضابط، كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش ويصفونه بضبط

---

١٤٨ - غاية النهاية ج١ ص٣٤٦-٣٤٩ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٤٦-١٥٨.

١٤٩ - عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الله السلمي الضرير مقري الكوفة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولأبيه صحبة، إليه انتهت القراءة تجويدا وضبطا، أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، أخذ القراءة عنه عرضا عاصم وعطاء بن السائب وغيرهما، توفي سنة ٧٤ وقيل ٧٣هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٤١٣﴾ .

١٥٠ - زر بن حبيش بن خباشة، أبو مريم، الأسدي الكوفي، عرض على ابن مسعود وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، عرض عليه عاصم وسليمان الأعمش وغيرهما، توفي سنة ٨١هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٢٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ج٤ ص١٦٦﴾ .

١٥١ - السَّماوة: بفتح أوله، بين الكوفة والشام – انظر معجم البلدان – ج٣ ص٢٧٨.

١٥٢ - غاية النهاية ج١ ص٣٢٥-٣٢٧ باختصار.

١٥٣ - المصدر السابق ج١ ص٢٥٤-٢٥٥ باختصار.

الحروف التي قرأ على عاصم، توفي سنة ثمانين ومائة على الصحيح.

٦- حمزة[١٥٤]:

حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي مولاهم الزيات، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة بالسن، أخذ القراءة عرضاً على سليمان الأعمش وغيره، كان إماماً حجةً ثقةً ثبتاً قيما بكتاب الله بصيرا بالفرائض عارفاً بالعربية حافظاً للحديث عابداً، توفي بحلوان سنة ست وخمسين ومائة. وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة.

أ- خلف[١٥٥]:

فهو خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البزار البغدادي، ولد سنة خمسين ومائة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ بالطلب وهو ابن ثلاث عشرة وكان ثقةً كبيراً زاهداً عابداً عالماً، توفي سنة تسع وعشرين ومائتين.

ب- خلاد[١٥٦]:

فهو خلاد بن خالد أبو عيسى الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ، روى عن سليم بن عيسى[١٥٧] عن حمزة، وكان أضبط أصحاب سليم وأجلهم، توفي بالكوفة سنة عشرين ومائتين.

٧- الكسائي[١٥٨]:

هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الإمام الذي انتهت إليه

١٥٤ – المصدر السابق ج١ ص٢٦١-٢٦٣ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٥٨-١٦٧.

١٥٥ – المصدر السابق ج١ ص٢٧٢-٢٧٤ باختصار.

١٥٦ – غاية النهاية ج١ ص٢٧٤-٢٧٥ باختصار.

١٥٧ – سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب بن سعيد بن سليم بن داود، أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقري، ضابط محرر حاذق، توفي سنة ١٨٨ وقيل ١٨٩ هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٣١٨﴾.

١٥٨ – غاية النهاية ج١ ص ٥٣٥-٥٤٠ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٦٧-١٧٣.

رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات النحوي. قال أبو بكر الأنباري[159] اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب وكان أوحد الناس بالقرآن فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلوا القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون منه ويضبطون عنه، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. وقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري.

أ- أبو الحارث[160]:

فهو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي ثقة معروف حاذق ضابط، توفي سنة أربعين ومائتين.

ب- الدوري[161]:

فقد تقدم الحديث عنه وهو أحد راويي أبي عمرو البصري.

٨- أبو جعفر الحضرمي[162]:

هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر، مات أبو جعفر بالمدينة سنة ثلاثين ومائة. وقد اشتهر بالرواية عنه ابن وردان، وابن جماز.

أ- ابن وردان[163]:

فهو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء إمام مقرئ حاذق وراو محقق ضابط، مات في سنة ستين ومائة.

١٥٩ - محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، أبو بكر بن الأنباري، البغدادي الإمام الكبير والأستاذ الشهير، كان حافظا، ألف كتابا في الوقف والابتداء، توفي سنة ٣٢٨، وقيل ٢٧هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٢٣٠﴾.

١٦٠ - غاية النهاية ج٢ ص ٣٤ باختصار.

١٦١ - راجع ص٣٢.

١٦٢ - غاية النهاية ج١ ص٣٨٢-٣٨٤ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٧٤-١٨٠.

١٦٣ - غاية النهاية ج١ ص٦١٦ باختصار.

ب- ابن جماز[١٦٤]:

فهو سليمان بن مسلم بن جماز أبو الربيع الزهري مولاهم المدني مقرئ جليل ضابط، مات بعد سنة السبعين ومائة.

٩- يعقوب البصري[١٦٥]:

هو يعقوب بن إسحاق بن يزيد أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقريها، عالم باللغة والنحو، مات سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة. وممن اشتهر بالرواية عنه رويس، وروح .

أ- رويس[١٦٦]:

فهو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف برويس مقرئ حاذق ضابط مشهور، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

ب- روح[١٦٧]:

فهو روح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي مولاهم البصري النحوي مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور روى عنه البخاري في صحيحه، مات سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.

١٠- خلف البزار[١٦٨]:

أحد راويي حمزة وقد تقدم الحديث عنه. وممن اشتهر بالرواية عنه:

أ- إسحاق[١٦٩]:

---

١٦٤ - غاية النهاية ج١ ص٣١٥.

١٦٥ - غاية النهاية ج٢ ص٣٨٦-٣٨٩ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٨٠-١٨٨.

١٦٦ - غاية النهاية ج٢ ص٢٣٤-٢٣٥ باختصار.

١٦٧ - غاية النهاية ج١ ص٢٨٥ باختصار.

١٦٨ - انظر: النشر ج١ ص١٨٨-١٩٠.

١٦٩ - غاية النهاية ج١ ص١٥٥ باختصار.

وهو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب البغدادي وراق خلف، توفى سنة ست وثمانين ومائتين.

ب- إدريس[١٧٠]**:**

إدريس بن عبد الكريم الحداد أبو الحسن البغدادي إمام ضابط متقن ثقة،توفى يوم الأضحى سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين ومائتين، عن ثلاث وتسعين سنة.



١٧٠ - غاية النهاية ج١ ص١٥٤ باختصار.

الفصل الثاني

أثر القراءات في المعاني

المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات.

المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات.

المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات.

المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات.



الفصل الثاني: أثر القراءات في المعاني

المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات

قد يختلف معنى القراءتين ولا يكون متضمنا لحكم فقهي، ولكنه يتضمن معاني كثيرة تبين المقصود وتزيل الإلباس دون تضاد ولا تناقض.

قال الزرقاني في كتابه مناهل العرفان: "أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله-ﷺ-، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم»[171].

وقال ابن عاشور في تفسيره: «ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة، قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة، وهو تمايز متقارب.»[172]

وقال في موضع آخر: «وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن.»[173]

وهذه أمثلة على تعدد المعاني بتعدد القراءات:

١- ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠

١٧١- مناهل العرفان في علوم القرآن - ج١ ص١١١.

١٧٢ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٦١.

١٧٣ - المصدر السابق ج١ ص٥٦.

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (يَكذبون) بفتح الياء وتخفيف الذال .
٢. وقرأ الباقون (يُكذِّبون) بالضم والتشديد[١٧٤].

البيان:

لقد أفادت قراءة التخفيف (يَكْذِبون) أن هؤلاء المنافقين سيعاقبون بسبب كذبهم على الآخرين وقولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) .

وأما قراءة التشديد (يُكَذِّبون) فلقد أفادت أنهم سيعاقَبون بسبب تكذيبهم الآخرين، أو تكذيبهم بيوم الدين. فهم يستحقون العذاب بسبب كذبهم وتكذيبهم، ولا شك أن من كذَّب فقد اتصف بالكذب وليس العكس فبينهما عموم وخصوص، فكل مكذِّب كذَّاب وليس كل كذَّاب مكذِّب[١٧٥].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن من صفات المنافقين أنهم يَكْذبون ويُكَذِّبون .

٢- ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٣٦

القراءات:

١. قرأ حمزة (فأزالَهما) بألف بعد الزاي وتخفيف اللام.
٢. وقرأ الباقون (فأزلَّهما) بالحذف والتشديد .[١٧٦]

البيان:

لقد أفادت قراءة (فأزلهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إيقاعهما في الزلة وهي الخطيئة من خلال الأكل من الشجرة المنهي عنها .

وأفادت قراءة (فأزالهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إبعادهما

---

١٧٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٧-٢٠٨.

١٧٥ انظر مجمع البيان في تفسير القرآن – للطبرسي – ج١ ص٦٨ – وضع حواشيه وخرج أياته وشواهده إبراهيم شمس الدين –دار الكتب العلمية– بيروت – ط١ – سنة ١٤١٨ هـ – وحيث يأتي سأكتفي بقولي: مجمع البيان.

١٧٦ - انظر النشر ج٢ ص٢١١

عن الجنة وتنحيتهما عنها.

بالجمع بين القراءتين: يتبين أن الشيطان اللعين أوقعهما في الزلة من خلال الوسوسة لهما بالأكل من الشجرة المحرمة فكانت النتيجة أن أخرجهما من الجنة.

قال القرطبي: "والوسوسة هي إنما إدخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه."[177]

٣- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾
البقرة: ١١٩

القراءات:

١. قرأ نافع ويعقوب (ولا تَسألْ) بفتح التاء وجزم اللام على النهي.
٢. وقرأ الباقون بضم التاء والرفع على الخبر (ولا تُسألُ).[178]

البيان:

لقد أفادت قراءة (ولا تُسألُ) أن النبي- ﷺ -غير مسؤول عن كفر من كفر من أصحاب النار كما قال تعالى)ما عليك من حسابهم من شيء) الأنعام ٥٢ ، وكما قال تعالى)فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) النور ٥٤ .

وأما قراءة (ولا تَسألْ) ففيه نهي النبي- ﷺ -عن السؤال عن أحوالهم وما ينتظرهم.

قال الإمام الطبري: "قرأت عامة القراء (ولا تُسأَلُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك

١٧٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٣١٢
١٧٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٢١.

بالحق بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وإنما عليك البلاغ والإنذار ولست مسئولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم.
وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزما بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا لتَسأل عن أصحاب الجحيم فلا تَسأل عن حالهم.[179]

وبالجمع بين القراءتين: يظهر لنا أن رسالة النبي-ﷺ-قاصرة على البشارة والنذارة وأنه ليس فقط غير مسؤول عن أصحاب الجحيم بل منهي عن السؤال عن أحوالهم، كما ورد في بعض الأحاديث من نهي النبي عن السؤال عن أحوال أبويه، ولم يثبت منها شيء، أو يكون في النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي لا تَسألْ يا محمد- ﷺ -عنهم فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد. قال تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) المائدة ٩٩، وقال تعالى (ليس عليك هداهم) البقرة ٢٧٢ .

٤- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ البقرة: ٢٤٩

القراءات:

١. قرأ المدنيان[180] وابن كثير وأبو عمرو (غَرفة) بفتح الغين.

---

١٧٩ - جامع البيان ج١ ص٥١٥ .

١٨٠ - المقصود بهما نافع وأبو جعفر المدنيان.

٢. وقرأ الباقون (غُرفة) بضمها.[١٨١]

البيان:

لقد أفادت كل قراءة معنى مستقلاً عن الآخر، ومكملاً له.

أما بالنسبة لقراءة (غُرفة) بالضم: فتعني المقدار الذي يباح لهم شربه.

وبالنسبة لقراءة (غَرفة) بالفتح: فتعني عدد المرات التي يباح لهم تناول الماء فيها وهي مرة واحدة. وهذا قول الطبري والقرطبي.[١٨٢]

قال الطبرسي[١٨٣]: « (إلا من اغترف غرفة بيده) إلا من أخذ الماء مرة واحدة باليد. ومن قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه.»[١٨٤]

وقال الطاهر بن عاشور: «(والغَرفة) بفتح الغين المرَّة من الغَرْف، وهو أخذ الماء باليد. ومن قرأ (غُرفة) بضم الغين: هو المقدار المغروف من الماء. ووجه تقييده بقوله (بيده) مع أن الغرف لا يكون إلا باليد لدفع توهم أن يكون المراد تقديرَ مقدار الماء المشروب، فيتناوله بعضهم كرها، فربما زاد على المقدار فجعلت الرخصة الأخذ باليد.»[١٨٥]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إلا من تناول ماء ملء كفه مرة واحدة فقط.

٥- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة: ٢٦٠

١٨١ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.

١٨٢ – انظر جامع البيان ج٢ ص٦١٩، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٥٣.

١٨٣ – أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي أو المشهدي، إمام شيعي، له عدة تصانيف منها: تفسيره مجمع البيان في تفسير القرآن، فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات، توفي سنة ٥٥٢هـ، وقيل سنة ٥٤٨هـ وقيل سنة ٥٦١هـ ﴿انظر كشف الظنون ج٤ ص٢٩٠ هـ، والأعلام ج٥ ص١٤٨، ومقدمة تفسيره مجمع البيان﴾.

١٨٤ – مجمع البيان ج٢ ص ١١٤

١٨٥ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٤٩٨.

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس (فصِرهن) بكسر الصاد .
٢. وقرأ الباقون (فصُرهن) بالضم.[١٨٦]

البيان:

قيل إن قراءة الضم (فصُرهن) بمعنى أملهن وضمهن، وقراءة الكسر(فصِرهن) بمعنى قطعهن.[١٨٧]

قال الألوسي في تفسيره: «وعن الفراء إن صاره مقلوب صراه عن كذا قطعه..أي اجمعهن وضمهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءاً من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلاً.»[١٨٨]

والمعنى: خذ أربعة من الطير فأمِلهن وضمهن إليك لتتعرف عليهن ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً.

---

١٨٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٢.

١٨٧ – انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع – مكي بن أبي طالب: تحقيق د. محي الدين رمضان – ج١ ص٣١٣ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – سنة ١٤٠١هـ، وحيث يأتي سأكتفي بقولي: الكشف، وانظر جامع البيان ج٣ ص٥٢-٥٦.

١٨٨ – روح المعاني ج٣ ص٢٩ باختصار.

المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات

لقد ذهب بعض النحاة والمفسرين إلى تخطئة بعض القراءات؛ لأنها –في ظنهم– مخالفة لبعض القواعد النحوية والأصول التي وضعوها.

وهذا أمر خطير؛ لأن تخطئة بعض القراءات الصحيحة والمتواترة خطأ واضح بين، فالقراءات هي الأصل الذي يلزم الرجوع إليه عند اختلاف النحاة، وليس العكس.

قال ابن الجزري نقلا عن أبي عمرو الداني[189]: « وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.»[190]

وقال الدكتور عبد العال سالم مكرم: «ولما استقرت قواعد النحو مسجلة في الكتاب، وظهرت المدرسة البصرية، ثم الكوفية، اتجه النحاة إلى القراءات، آخذين منها ما يؤيد وجهة نظرهم من جهة، ورافضين ما لم يقبله القياس، أو يتفق مع الأصول من جهة أخرى.

وكانت دائرة الخلاف تتسع وتضيق تبعا لبعد هذه القراءات عن الأصول والمقاييس أو قربها منها. ولم تكن الخلافات النحوية في مجال القراءات وقفا على البصريين أو الكوفيين، بل تجاوزت ذلك إلى المذاهب الفردية والآراء الشخصية لمشاهير النحاة، حيث كثر بينهم الجدل حول هذه

١٨٩ – عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني، الأموي، مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة الحافظ، شيخ مشايخ المقرئين، له عدة مؤلفات في القراءات، توفي سنة ٤٤٤هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٥٠٣﴾.

١٩٠ – انظر النشر ج١ ص١٠-١١.

القراءات، واحتدم النزاع ... البصريون كانوا لا يحتجون بالقراءات إلا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم .. والكوفيون لم يتحفظوا في مجال القراءات كما تحفظ البصريون ذلك لأنهم رأوا أن القراءات سندها الرواية، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر ..ومن ثم كانت في نظرهم مصدرا لتقعيد القواعد وبناء الأساليب، وتصحيح الكلام بغض النظر عن موافقتها للمقياس المأخوذ أو عدم موافقتها، لأنها في ذاتها يجب أن تشتق منها المقاييس، وتستمد الأصول. ومنهج الكوفيين في الواقع أسلم وأصح في مضمار القراءات من منهج البصريين لأن اتخاذ القراءات مصدرا للاستشهاد يثري اللغة، ويزيد من رصيدها ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام ، فلا تمد يدها إلى تعريب أو إلى دخيل.(١٩١)

والمقصود من هذا البحث التعرض لبعض القراءات المشكلة وموقف النحاة منها ، حيث نجد أن هناك قراءات مشكلة، ظاهرها يدل على أنها متعارضة مع الأصول مخالفة للمقاييس.

ووقف النحاة أمام هذه القراءات المشكلة ليوضحوا غامضها، ويزيلوا إشكالها، واجتهد كل منهم ليدلي بدلوه بين الدلاء في مضمار هذه القراءات.

وبسبب هذه القراءات المشكلة بالإضافة للقراءات الصحيحة أُثرِيَ النحو، وتَعددت مسائله ، وفاضت كتبُه حتى امتلأت بالآراء العديدة.[١٩٢]

---

١٩١ - أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية - باختصار- د. عبد العال سالم مكرم: ص٥٦-٥٨ - مؤسسة علي جراح الصباح - الكويت.

١٩٢ - انظر أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص٦٣.

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

القراءات:

١. قرأ حمزة (والأرحامِ) بخفض الميم.

٢. وقرأ الباقون (والأرحامَ) بنصبها[١٩٣].

البيان:

لقد رد الزمخشري[١٩٤] في تفسيره قراءة حمزة فقال: « والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد.[١٩٥]

وقال القرطبي في تفسيره مبينا أقوال العلماء في توجيه قراءة الخفض: "وقرأ إبراهيم النخعي[١٩٦] وقتادة[١٩٧] والأعمش وحمزة (الأرحامِ) بالخفض وقد تكلم النحويون في ذلك:

فأما البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به.

وأما الكوفيون فقالوا: هو قبيح ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه.

١٩٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٧.

١٩٤ - محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أبو القاسم، النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، كان داعية للإعتزال، سمع ببغداد، وصنف عدة تصانيف منها: الكشاف، والمفصل، وهو إمام كبير في التفسير والنحو واللغة وعلم البيان، تشد إليه الرحال في فنونه، وتفسيره لم يصنف مثله، جاور بمكة زمانا، فصار يقال له: جار الله، توفي سنة ٥٣٨هـ ﴿انظر شذرات الذهب ج٤ ص١١٨﴾.

١٩٥ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- الإمام جار الله الزمخشري: رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين - ج١ ص٤٥٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٥هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: الكشاف.

١٩٦ - إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، الإمام الصالح، الكوفي، توفي سنة ٩٦هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٢٩، وسير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٢٠﴾.

١٩٧ - قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب السدوسي البصري، الأعمى المفسر، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار، توفي سنة ١١٧هـ ﴿انظر غاية النهاية ج٢ ص٢٥﴾.

وقال سيبويه[198]: لم يعطف على المضمر المخفوض لأنه بمنزلة التنوين والتنوين لا يعطف عليه وقال جماعة: هو معطوف على المكنى فإنهم كانوا يتساءلون بها يقول الرجل:

سألتك بالله والرحم. هكذا فسره الحسن والنخعي ومجاهد وهو الصحيح في المسألة على ما يأتي.

وضعفه أقوام منهم الزجاج[199] وقالوا: يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض إلا بإظهار الخافض، كقوله (فخسفنا به وبداره الأرض) القصص ٨١ ، ويقبح مررت به وزيد. قال الزجاج عن المازني[200]: لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل صاحبه.

وأما سيبويه: فهي عنده قبيحة ولا تجوز إلا في الشعر.

وقال أبو علي[201]: ذلك ضعيف في القياس، وفي كتاب التذكرة المهدية عن الفارسي أن أبا العباس المبرد[202] قال: لو صليت خلف إمام يقرأ (ما أنتم بمصرخيِّ) إبراهيم ٢٢ ، (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ) النساء ١ ، لأخذت نعلي ومضيت.

قال الزجاج: قراءة حمزة مع ضعفها وقبحها في العربية خطأ عظيم في

---

١٩٨ - عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، المعروف بسيبويه الفارسي ثم البصري، توفي سنة ١٨٠هـ ﴿انظر سير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٥١ ، والبداية والنهاية ج١٠ ص١٨٢﴾.

١٩٩ - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، له تأليف جمة منها: العروض، توفي سنة ٣١١هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١١ ص١٥٩﴾.

٢٠٠ - بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، أحد أئمة النحو من أهل البصرة، توفي سنة ٢٤٩هـ ﴿انظر الأعلام للزركلي ج٢ ص٦٩﴾.

٢٠١ - الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي النحوي المشهور، توفي سنة ٣٧٧هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٢٠٦﴾.

٢٠٢ - محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس تلميذ المازني وأبي حاتم السجستاني، إمام أهل البصرة في النحو واللغة، له تصانيف كثيرة منها: كتاب الكامل والروضة، توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ ﴿انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان: تحقيق د. إحسان عباس – ج٤ ص٣١٣ – دار الثقافة – بيروت ﴾وحيث يأتي سأكتفي بقولي: وفيات الأعيان.

أصول أمر الدين لأن النبي- ﷺ -قال: (لا تحلفوا بآبائكم)[٢٠٣] فإذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم.

قلت: هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة والأرحام بالخفض واختاره ابن عطية.

ورده الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري واختار العطف فقال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي- ﷺ - تواتراً يعرفه أهل الصنعة وإذا ثبت شئ عن النبي- ﷺ-فمن رد ذلك فقد رد على النبي- ﷺ - واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو فإن العربية تتلقى من النبي-ﷺ - ولا يشك أحد في فصاحته.[٢٠٤]

وكذلك انتصر الفخر الرازي[٢٠٥] في تفسيره لقراءة حمزة، فبعد ذكره لأقوال بعض النحاة والمفسرين في هذه القراءة قال: « واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوها قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله- ﷺ -، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وأيضا فلهذه القراءة وجهان: أحدهما : أنها على تقدير تكرير الجار، كأنه قيل تساءلون به وبالأرحام. وثانيها : أنه ورد ذلك في الشعر.[٢٠٦]

٢٠٣ - رواه مسلم - كتاب الأيمان - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى - ج٣ ص١٢٦٦ - حديث ١٦٤٦.

٢٠٤ - الجامع في أحكام القرآن ج٥ ص٢-٥ باختصار.

٢٠٥ - محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وعلوم الأوائل، يقال له: ابن خطيب الري، صاحب التفسير الكبير مفاتيح الغيب، توفي سنة ٦٠٦هـ ﴿انظر سير أعلام النبلاء ج٢١ ص٥٠٠ ، وشذرات الذهب ج٥ ص٢١﴾.

٢٠٦ - مفاتيح الغيب ج ١٠ص١٧٠.

قال الدكتور/ عبد العال سالم مكرم بعد عرضه لأقوال النحاة حول هذه القراءة: « من هذه الآراء العديدة في قراءة حمزة نتبين في وضوح وجلاء أن النحويين انقسموا إزاءها فريقين: مؤيدين، ومعارضين.

أما المؤيدون فإن لهم من الأدلة ما يجعل آراءهم صحيحة لأن القراءة والأسلوب العربي لا ينكرها.

أما المعارضون فقد خانهم التوفيق، ولم يكن المبرد وتلاميذه كالزجاج أو الزمخشري ممن ينزعون نزعة في هذه القراءة محيطين بلغات العرب، وبكل ما قالوا، وكان الأجدر بهم أن يسلموا بهذه القراءة، لأنها قراءة متواترة لا سبيل إلى إنكارها، ولم يكن هناك ما يدعو إلى أن يقول المبرد بصددها: لو أني صليت خلف إمام يقرؤها لقطعت صلاتي.[٢٠٧]

وهذا الذي ذهب إليه الدكتور/ عبد العال سالم مكرم ومن سبقه، كالرازي، والقشيري وغيرهم هو الحق الذي لا يجوز القول بخلافة.

٢- ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ طه: ٦٣

القراءات:

١. قرأ حفص (إنْ) بالتخفيف، (هذانِ) بالألف .
٢. وقرأ ابن كثير (إنْ) بالتخفيف، (هذانِّ) بالألف مع تشديد النون على أصله[٢٠٨]
٣. وقرأ أبو عمرو (إنَّ) بالتشديد، (هذين) بالياء.
٤. وقرأ الباقون (إنَّ) بالتشديد، (هذانِ) بالألف[٢٠٩]

٢٠٧ - انظر أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص٧٨-٨٣.

٢٠٨ - أي أن ابن كثير يقف على(هذانّ) بتشديد النون، انظر النشر ج٢ ص١٢٧، ١٢٨.

٢٠٩ - انظر النشر ج٢ ص٣٢٠-٣٢١.

البيان:

لقد اختلف النحاة والمفسرون في توجيه هذه القراءات وإعرابها.

قال صاحب إتحاف فضلاء البشر في إعرابه لهذه القراءات: " (إنَّ هذانِ) فيها أوجه:

أحدهما: أن (إنَّ) بمعنى نعم، و(هذان) مبتدأ، (لساحران) خبره.

الثاني: اسمها ضمير الشأن محذوف وجملة (هذان لساحران) خبرها.

الثالث: أن (هذان) اسمها على لغة من أجرى المثنى بالألف دائما واختاره أبو حيان وهو مذهب سيبويه.

وأما قراءتي (إنْ هذانِ)، (إنْ هذانِّ) فهما أوضح القراءات في هذه الآية معنى ولفظا وخطا، وذلك أن (إنْ) المخففة من الثقيلة أهملت و (هذان) مبتدأ، (لساحران) الخبر واللام للفرق بين النافية والمخففة على رأي البصريين.

وأما قراءة (إنَّ هذين) فهذه القراءة واضحة من حيث الإعراب والمعنى؛ لأن (هذين) اسم (إنَّ) نصب بالياء، (لساحران) خبرها، ودخلت اللام للتأكيد، لكن استشكلت من حيث خط المصحف، وذلك أن (هذين) رسم بغير ألف ولا ياء، ولا يرد على أبي عمرو، وكم جاء في الرسم مما هو خارج عن القياس مع صحة القراءة به وتواترها، وحيث ثبت تواتر القراءة فلا يلتفت لطعن الطاعن فيها ."[210]

وقال ابن زنجلة[211]: « قرأ أبو عمرو (إنَّ هذين) بالياء، ؛ لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء في لغة فصحاء العرب.

وقرأ الباقون (إنَّ هذان) بالألف، وحجتهم أنها مكتوبة في مصحف الإمام

210 – إتحاف فضلاء البشر ص٣٨٤–٣٨٥ باختصار.

211 – عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ، أبو زرعة، فقيه مالكي، ترك عدة مؤلفات منها: كتابه الشهير حجة القراءات ﴿انظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتاب الحجة – سعيد الأفغاني ص٢٥﴾

– مصحف عثمان – وهذا الحرف في كتاب الله مشكل على أهل اللغة وقد كثر اختلافهم في تفسيره ونحن نذكر جميع ما قال النحويون:
أنها لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد .
وقال الزجاج: وقال النحويون القدماء: (ها) هنا هاء محذوفة والمعنى: (إنه هذان لساحران.)
وقال المبرد : أحسن ما قيل في هذا أن يجعل (إنَّ) بمعنى نعم، والمعنى: (نعم هذان لساحران) فيكون ابتداء وخبرا...»[٢١٢]

من خلال الإعراب السابق نجد أن الإشكال وقع في قراءة (إنَّ هذانِ) باعتبار أن (هذان) اسم إنَّ، والمعروف أن اسم إنَّ يكون منصوبا، فهنا (هذان) اسمها وهو مثنى ينصب بالياء أي: هذين وليس هذان كما هي القراءة.
ولقد عرض الدكتور/ عبد العال سالم مكرم لتأويلات وتقديرات بعض أئمة النحو في توجيه هذه القراءة وإعرابها ثم قال: «والواقع أنه لا داعي لهذه التأويلات والتقديرات التي تشتت الفكر وتحير العقل وتجعل طالب النحو يعيش في دوامة من اضطرابات الآراء وتناقض الأفكار التي يلمسها في دراسته لمسائل هذا العلم، لم لا نريح أنفسنا ونوفر هذا المجهود الذي لا يوصل إلى الهدف ونقول: إنها لغة، واللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع لهذه المقاييس النحوية، ولم تكن لغة قبيلة واحدة بل ذكر بعض النحاة أنها لغات قبائل متعددة كما قيل: إنها لغة بني الحارث وخثعم وهمدان وبني العنبر وعذرة ومراد وغيرهم.
ومن عجب أن تكون لغة لهذه القبائل العديدة ثم يأتي النحاة بعد ذلك يتأولون، ويخرجون، ونسوا أنه كان يجب أن تؤخذ هكذا كما رويت وكما قرء بها[٢١٣]

---

٢١٢ حجة القراءات ص٤٥٤ باختصار.

٢١٣ – انظر أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص٦٤-٦٨.

المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات

يعالج هذا المبحث قضية القراءات من الوجهة البلاغية، أي أنه يتحدث عن صلة القراءات بالبلاغة، باعتبار أن مسائل البلاغة العظيمة مبثوثة فيما اتحد معناها من القراءات، وفيما تعدد على السواء، بحيث تريك أن قيمة القرآن عظيمة، ويظهر ذلك من جهات متعددة، فقد يكون للآية معنيان صحيحان، فتدل كل قراءة على معنى، وقد يكون للآية سببا نزول فتدل كل قراءة على سبب.

ولقد تعرض الدكتور فضل حسن عباس لهذا الموضوع في رسالته: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، من خلال تتبع بعض أوجه الخلاف التي فسرت بها الأحرف السبعة عند الجمهور: كالاختلاف من حيث الحروف، والتنقيط، أي- الاختلاف في الضمائر- ومن حيث الحركات والإعراب، ومن حيث الحذف والذكر، ومن حيث التقديم والتأخير.

وسنعرض لنموذج واحد لكل وجه من الأوجه المذكورة.

أولا: اختلاف الأحرف:

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة: ٥١

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر والبصريان (وعدنا) بقصر الألف من الوعد.
٢. وقرأ الباقون (واعدنا) بالمد من المواعدة.[٢١٤]

البيان:

أفادت قراءة القصر (وعدنا) أن الوعد بمعناه الحقيقي كان من الله.

٢١٤ - انظر النشر ج٢ ص٢١٢.

وأفادت قراءة المد (واعدنا) أن المواعدة كانت من اثنين: من الله بإنزال التوراة على موسى، ومن موسى بقبول الوعد والوفاء به والتزامه بما يقوم مقام الوعد.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن الوعد كان من الله حقيقة ومن موسى رضى وتسليما.

قال الدكتور/ فضل حسن عباس: "وقراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة. فالمواعدة تكون بين اثنين، فهناك وعد من الله لموسى بإعطائه التوراة، ووعد من موسى بالتنفيذ والالتزام والحضور.

أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أن الوعد كان من الله - ﷻ- لموسى- عليه السلام-، فهو من جهة واحدة، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله - ﷻ- من فرحة اللقاء ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها من قبل وهو عائد من مدين حينما خوطب (إني أنا ربك) طه ١٢ ، وحين سئل (وما تلك بيمينك يا موسى) طه ١٧ ، فأطال القول (هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) طه ١٨ .

أقول إذا كانت قراءة الجمهور دالة على ذلك كله ، فإن قراءة أبي عمرو تدل على أن الوعد كان فيه إكرام وتكليف لموسى- عليه السلام -.[٢١٥]

ثانيا: الاختلاف في الضمائر:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣

٢١٥ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية - د.فضل حسن عباس ص٩ / دراسات ، المجلد الرابعة عشر ، العدد السابع ١٩٨٧.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يَعبدون) بالغيب.

٢. وقرأ الباقون (لا تَعبدون) بالخطاب.[٢١٦]

البيان:

لقد أفادت قراءة (لا تعبدون) الزيادة في التشنيع على بني إسرائيل بما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بحيث واجههم بالخطاب مشفوعا بالقسم.

وأما قراءة (لا يعبدون) بالغيب فتتحدث عما يجب عليهم من الالتزام بالعهود والمواثيق. مع ما فيها من أسلوب الالتفات.

قال الدكتور فضل حسن عباس وهو يتكلم عن أسلوب الالتفات، وهو من الأساليب البلاغية في القرآن: "ذكر البيانيون البلاغيون أسلوب الالتفات، ولا يعنينا اختلافهم في بعض الجزئيات، وخلاصة القول في الالتفات أنه انتقال من التكلم إلى الغيبة أو الخطاب، أو من الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، والغرض منه لفت النفس وتوجيه ذهن المخاطب إلى ما يوجه إليه ويلقي عليه، وهذا هدف عام للالتفات، ولكن هناك هدفا خاصا لكل التفات على حدة.

ولقد أشار الزمخشري في كشافه إلى شيء من هذا في سورة الفاتحة عند قوله سبحانه (إياك نعبد وإياك نستعين)[٢١٧] الفاتحة ٥ .

والحق أن دراسة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى تفتح أبوابا من أسرار الإعجاز القرآني، فقد يكون الالتفات انتقالا من الخطاب إلى الغيبة، ويكون الغرض منه تعنيف أولئك المخاطبين والإعراض عنهم، كأنهم ليسوا أهلا للخطاب، نقرأ هذا في قوله سبحانه) ولقد كذب الذين من قبلهم

٢١٦ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

٢١٧ - انظر الكشاف ج١ ص٢٣-٢٤.

فكيف كان نكير (الملك ١٨ ، بعد قوله (أم أمنتم من في السماء..) الملك ١٧ .
وقد يكون انتقالا من الغيبة إلى الخطاب وغرضه التضييق على المخاطبين وإلزامهم الحجة بحيث لا يدع لهم فرصة، ولا يبقي لهم طريقا لمهرب، وذلك مثل قوله تعالى (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك ٢٠ ، بعد قوله (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) الملك ١٩ ، ولو أن هذا الحديث جاء بأسلوب الغيبة- أي (أمن هذا الذي هو جند لكم) – ما كان فيه هذا الإلزام، ولكن أسلوب الخطاب فيه تقريع بالإجابة على السؤال الموجه لهم.

بعد هذه المقدمة التي ليست استطرادا في الحقيقة، أقول إن الآيات الكريمة التي وردت تارة بأسلوب الغيبة وتارة بأسلوب الخطاب يمكن أن نفهمها على هذا التوجيه مراعين الأغراض البيانية لكل أسلوب.

فمثلا قوله سبحانه (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا يعبدون إلا الله) البقرة ٨٣ ، أسلوب الغيبة هنا فيه نعي على بني إسرائيل وتبكيت وتقريع، فهم لم يراعوا حق هذا الميثاق، بل نقضوه. أما القراءة الأخرى (لا تعبدون إلا الله) ففيها إلزام لهم وإرخاء العنان علهم يرعوون ويرجعون عن غيهم ويتركون ما كان عليه آباؤهم من قبل ..

ونخلص من هذا كله أن أمر الالتفات والتنقيط دليل على تواتر القراءات حيث اتفق القراء في بعض المواضع كما رأينا واختلفوا في بعضها الآخر، هذا من جهة ، ويتجلى أمر الإعجاز في هذه القراءات من جهة أخرى.[٢١٨]

ثالثا: الاختلاف من حيث التقديم والتأخير:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم

٢١٨ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨-٣١ باختصار.

مِّنۢ بَعۡضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ آل عمران: ١٩٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وقُتِلوا وقاتلوا) بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف.
٢. وقرأ ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقُتِّلوا) بتقديم (قاتلوا) وتشديد التاء من (قُتِّلوا).
٣. وقرأ الباقون (وقاتلوا وقتِلوا) بالتخفيف.[219]

البيان:

لقد جاءت هذه الآية لتبين الفئة التي استجاب الله دعائها، وماهية الأعمال التي قامت بها، ومنها الجهاد في سبيل الله، إلا أن القراءة بتقديم (قاتلوا) على (قتلوا) أفادت أن الإجابة خاصة بمن قاتل في سبيل الله حتى قُتِل في المعركة دون من لم يقتل.

وجاءت القراءة بالتشديد لتبين المبالغة والشدة في القتل والتقطيع الذي حل بهم.

وأما القراءة الأخرى بتقديم (قُتِلوا) على (قاتلوا) فتفيد أن الإجابة لمن صبر وقاتل الأعداء على الرغم مما حل بإخوانه، فلم يضعفوا ولم يجبنوا بل واصلوا القتال والجهاد في سبيل الله.

ولكنَّ للدكتور/ فضل حسن عباس رأيا آخر إذ يقول: « قد أشكلت قراءة (وقُتِلوا وقاتلوا) على كثير من العلماء إذ كيف يمكن أن يُقتَل ثم يَقتُل؟ وللعلماء أكثر من توجيه، فقد ذهب ابن جرير ومن بعده مكي بن أبي

٢١٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٦

طالب إلى أن الضمير في الفعلين ليس مرجعه واحد، فالذين قتلوا وأكرموا بالشهادة في سبيل الله ليسوا هم الذين قاتلوا، بل هم آخرون رأوا إخوانهم قتلوا في سبيل الله فلم يحدث ذلك في نفوسهم جزعا ولا هلعا، فكروا على الأعداء ونالوا منهم.

ومع وجاهة هذا التوجيه الذي ارتضاه شيخ المفسرين ابن جرير وشيخ القراء مكي، إلا أنه لا يتسق مع جمال المعنى ودقة النظم في كتاب الله لأن فيه تفكيكا للضمائر المتجاورة المتقاربة.

والتوجيه الذي نختاره هو أن تقديم قراءة المبني للمفعول في كلتا السورتين سورة آل عمران وسورة براءة فيه إشارة بيانية وهو وصف أولئك المؤمنين بالمسارعة للشهادة في سبيل الله. وعلى هذا تكون القراءة الأولى وهي ما بني الفعل فيها للفاعل دالة على جرأة المسلمين وقوتهم، وانهزام عدوهم واندحاره أمامهم.

وتدل القراءة الثانية على رغبة المسلمين في الشهادة ومسارعتهم للفوز بها.

كل من القراءتين إذن تعطي معنى وتبين وصفا من أوصاف هؤلاء المؤمنين رضي الله عنهم: فتقديم الفعل المبني لفاعل فيه بيان شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم، وتقديم قراءة المبني للمفعول فيها بيان حبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها.

ويبدو لي أن صاحب روح المعاني[220] قد اختار هذا التوجيه البياني قال: وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في هذا الباب إيذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله، بل بكونه أحب إليهم من السلامة.[221]

٢٢٠ - روح المعاني ج١١ ص٢٩

٢٢١ - انظر القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣١-٣٢

رابعا: الذكر والحذف:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ التوبة: ١٠٧

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر (الذين) بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام

٢. وقرأ الباقون بالواو وكذا هي في مصاحفهم.[٢٢٢]

البيان:

إن حذف الواو وتركها من أدق المسالك في التعبير البلاغي، لذا كان موضوع الفصل والوصل هو البلاغة -كما يقولون- والذي يتتبع أسلوب القرآن الكريم يجد فيه ما يثلج الصدر ويبهر النفس من أسرار الفصل والوصل وحذف الواو في موضع وذكرها في موضع آخر.

إن حذف الواو قد يكون ناشئا عن سؤال مقدر في جملة سابقة فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدر خالية من الواو، وهذا ما يعبرون عنه -أي البلاغيون- بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافا، وقد يكون ناشئا عن تغاير بين الكلام السابق والذي يليه، وهو ما يسمونه كمال الانقطاع.

وعلى هذا يمكن أن نفهم ما جاء في قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) التوبة ١٠٧ .

قراءة العطف تدل على اتصال هذه الأصناف التي ذكرت في سورة براءة ابتداء من قوله سبحانه (ومنهم من يلمزك في الصدقات)التوبة ٥٨ ،

٢٢٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٨١

(ومنهم الذين يؤذون النبي) التوبة ٦١ ، (ومنهم من عاهد الله) التوبة ٧٥ ، فكأنه قيل ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً.

وأما القراءة الثانية ففيها قطع لهؤلاء الذين اتخذوا مسجد الضرار وفيها من التشنيع والذم الكثير الكثير، وكيف لا وقد اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، إلى جانب كذبهم.

القراءة الثانية إذن الخالية من حرف العطف تبين شناعة أفعال أولئك.

وهكذا حذف الحرف وذكره في كتاب الله تعالى في كل منها إشارة لمعنى جديد منسجم مع جلال الموقف المتحدث عنه.[٢٢٣]

خامسا: الاختلاف من حيث الحركات والإعراب:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ البقرة: ٣٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير بنصب (آدمَ) ورفع (كلماتٌ).
٢. وقرأ الباقون برفع (آدمُ) ونصب (كلماتٍ) بكسر التاء[٢٢٤].

البيان:

لقد أفادت قراءة الجمهور (آدمُ – كلماتٍ) أن آدم -عليه السلام -هو الذي تلقى الكلمات من ربه وهذا يدل على حرصه- عليه السلام -على التوبة بحيث أقبل على الله مستغفرا تائباً نادماً على ما فعل.

وأما قراءة ابن كثير (آدمَ – كلماتٌ) فتفيد أن الكلمات التي ألهم الله بها آدم ليدعوه بها هي التي تلقته وتداركته بالنجاة والرحمة، وفي هذا دلالة على

٢٢٣ – انظر القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٣-٣٥باختصار.

٢٢٤ – انظر النشر ج٢ ص٢١١

محبة الله لآدم بسبب حرصه على التوبة ورجوعه إلى الله.

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن لكل منهما معنى مكملاً للآخر؛ فحرص آدم على التوبة والاستغفار جعلته يقبل على الله مستغفرا منيبا، هذا الحرص على التوبة الإنابة والاستغفار إلى الله كانت سببا في محبة الله لآدم ورحمته به وإلهامه بكلمات يدعو الله بها، فتلقته هذه الكلمات وكانت سببا في قبول توبته.

قال الدكتور فضل حسن عباس: «جمهور القراء على رفع آدم على الفاعلية ونصب الكلمات على المفعولية، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات، ولكل من القراءتين توجيهها البلاغي المقبول دونما قلق أو اضطراب.

فقراءة الجمهور دالة على ما كان يعانيه آدم بعد الزلة من أسف وندم وألم فها هو باحث عما ينجيه مما وقع فيه، ونادم على ما فرط منه.

ويدل لهذه المعنى قوله سبحانه (ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف ٢٣ .

أما القراءة الثانية: فإنها تدل على جانب آخر من القضية إنها تدل على عناية الله تبارك وتعالى بآدم واصطفائه واجتبائه له، وهذا يتفق مع قوله سبحانه (إن الله اصطفى آدم ونوح) آل عمران ٣٣ ، وقوله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) طه ١٢٢ .

وعلى هذا تحمل القراءة الثانية فكأن هذه الكلمات باحثة عن آدم فهي التي تتلقاه.

وهكذا نجد أن كلا من القراءتين تتفق مع جانب مما جاء في كتاب الله.[٢٢٥]

٢٢٥ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٣-٣٥باختصار .

المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات

إن للقراءات القرآنية صلة وثيقة بالفقه يؤكدها أن بعض الأحكام الفقهية راجع في الاستدلال على صحتها إلى قراءة من القراءات، وليس أدل على تلك العناية من تناول علم (أصول الفقه) القضية القرآنية باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع؛ ليحدد من القراءات ما يحتج به، وما لا يحتج به.

وسنتناول في هذا المبحث بعض المسائل الفقهية ذات الصلة باختلاف القراءات، وما يترتب عليها من اختلاف الأحكام.

المسألة الأولى: طهر الحائض بين انقطاع الدم والاغتسال:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء.
٢. وقرأ الباقون (يَطْهُرْن) بتخفيفها.[٢٢٦]

البيان:

لقد أدى اختلاف هاتين القراءتين إلى اختلاف الفقهاء في الطهر الذي تحل به الحائض لزوجها. قال القرطبي في تفسيره: "قوله تعالى (فإذا تطهرن) يعني بالماء وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء، وأن الطهر الذي يحل به

٢٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهر الجنب، ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيره. وبه قال مالك والشافعي والطبري وأهل المدينة وغيرهم. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف[227] ومحمد[228]:

إن انقطع دمها بعد مضى عشرة أيام جاز له أن يطأها قبل الغسل وإن كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يدخل عليها وقت الصلاة. وهذا تحكم لا وجه له. ودليلنا أن الله سبحانه علق الحكم فيها على شرطين: أحدهما انقطاع الدم وهو قوله تعالى (حتى يطْهُرن).

والثاني: الاغتسال بالماء وهو قوله تعالى (فإذا تَطَّهَّرن) أي يفعلن الغسل بالماء. واحتج أبو حنيفة فقال: إن معنى الآية: الغاية في الشرط هو المذكور في الغاية قبلها، فيكون قوله (حتى يَطْهُرن) مخففاً هو بمعنى قوله (يَطَّهَّرن) مشدداً بعينه ولكنه جمع بين اللغتين في الآية، وأيضاً فإن القراءتين كالآيتين فيجب أن يعمل بهما ونحن نحمل كل واحدة منهما على معنى، فنحمل المخففة على ما إذا انقطع دمها للأقل، فإنا لا نجوز وطأها حتى تغتسل لأنه لا يؤمن عوده، ونحمل القراءة الأخرى على ما إذا انقطع دمها للأكثر فيجوز وطؤها وإن لم تغتسل.[229]

وقال النسفي[230] في تفسيره: « (حتى يَطَّهَّرن) بالتشديد كوفي غير حفص أي: يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما. غيرهم (يَطْهُرن) أي: ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له

---

٢٢٧ – يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، أبو يوسف الأنصاري، صاحب أبي حنيفة رضي اله عنهما، أصله من الكوفة وسكن بغداد، كان فقيها عالما حافظا، تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء: المهدي والهادي والرشيد، وهو أول من سمى قاضي القضاة، وأول من جعل للعلماء زيا خاصا بهم، توفي ببغداد سنة ١٨٢هـ ﴿ انظر وفيات الأعيان ج٦ ص٣٧٨﴾.

٢٢٨ – محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء صاحب أبي حنيفة، وأبي يوسف، له تصانيف كثيرة نشر بها علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس، توفي بالري سنة ١٨٩هـ ﴿انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص١٨٤﴾.

٢٢٩ – الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٨٨-٨٩ باختصار.

٢٣٠ – عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – أبو البركات حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، له مصنفات منها: مدارك التنزيل، توفي سنة ٧١٠هـ ﴿الأعلام – الزركلي ج ٤ ص٦٧﴾.

أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد، والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف.

وعند الشافعي- رحمه الله -لا يقربها حتى تطهر وتتطهر، دليله قوله تعالى (فإذا تطَّهَّرن فأتوهن) فجامعوهن فجمع بينهما[٢٣١].

خلاصة المسألة:

إن أثر القراءتين في اختلاف المذاهب قد تحدد في حالة واحدة وهي ما إذا انقطع الدم لأكثره عند الأحناف حل للرجل أن يطأ زوجته وإن لم تغتسل. وفيما عدا هذه الحالة فالكل يشترط لحلها التطهير بالماء.[٢٣٢]

المسألة الثانية: فرض الرجلين بين الغسل والمسح:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾ المائدة: ٦

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص (وأرجلَكم) بنصب اللام.

---

٢٣١ - تفسير النسفي - ج١ ص١١١ - دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٣٢ - راجع تفسير روح المعاني ج٢ ص١٢٢-١٢٣، تفسير جامع البيان ج٣ ص٣٨٥-٣٨٧، تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٣٦٦-٣٦٩.

٢. وقرأ الباقون (وأرجلِكم) بالخفض.[٢٣٣]

البيان:

قال القرطبي في تفسيره: "وبحسب هذه القراءات اختلف الصحابة والتابعون:

فمن قرأ بالنصب جعل العامل اغسلوا وبنى على أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء، وهو الثابت من فعل النبي - ﷺ - واللازم من قوله في غير ما حديث. وقد رأى قوما يتوضئون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء)[٢٣٤] ثم إن الله حدهما فقال: إلى الكعبين، كما قال في اليدين إلى المرافق فدل على وجوب غسلهما والله أعلم.

ومن قرأ بالخفض جعل العامل الباء.[٢٣٥]

ولقد جمع الإمام الطبري بين القراءتين حيث قال: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء الحجاز والعراق (وأرجلَكم إلى الكعبين) نصبا فتأويله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم.

وإذا قُرِئ كذلك كان من المؤخر الذي معناه التقديم وتكون الأرجل منصوبة عطفا على الأيدي وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله جل ثناؤه إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها.

وقرأ ذلك آخرون من قراء الحجاز والعراق (وامسحوا برءوسِكم وأرجلِكم) بخفض الأرجل، وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله إنما أمر عباده بمسح

٢٣٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٥٤.

٢٣٤ - رواه البخاري - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب ٢٩ - غسل الأعقاب - ج١ ص٢٦٧ ولفظه عن أبي هريرة أنه قال: (أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم قال: ويل للأعقاب من النار).

٢٣٥ - الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٩١.

الأرجل في الوضوء دون غسلها وجعلوا الأرجل عطفا على الرأس فخفضوها لذلك.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقا اسم ماسح غاسل لأن غسلهما إمرار الماء عليهما أو إصابتهما بالماء. ومسحهما إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما . فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو غاسل ماسح.

ولذلك من احتمال المسح المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع اختلفت قراءة القراء في قوله وأرجلكم: فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما الغسل وإنكارا منه المسح عليهما مع تظاهر الأخبار عن رسول الله بعموم مسحهما بالماء. وخفضها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح.[٢٣٦]

وهكذا نرى أن اختلاف القراءتين أدى إلى اختلاف الحكم، والقطع بالراجح في المسألة ليس بالأمر الهين نظراً لقوة حجة كل فريق وتعدد الأدلة من السنة، ويمكن الرجوع إلى المسألة في مظانها .[٢٣٧]

المسألة الثالثة: عقد الأيمان بين المرة والتكرار:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ

٢٣٦ - جامع البيان ج٦ ص١٢٦- ١٣٠ باختصار .

٢٣٧ - انظر تفسير التحرير والتنوير ج٦ ص١٣٠-١٣١ ، روح المعاني ج٥ ص٧٦-٧٧ ، التفسير الكبير - الفخر الرازي: ج٦ ص١٦٤- ١٦٦ - دار الفكر - ط٣ - سنة ١٤٠٥هـ ، الفقة الإسلامي وأدلته - الدكتور وهبة الزحيلي: ج١ ص٢٢٢-٢٢٥ - دار الفكر - ط٣ - سنة ١٤٠٩ هـ ، من فقه القراءات / د. إسماعيل أحمد الطحان ص٤٤ - حولية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر - العدد الحادي عشر - ١٤١٤هـ.

فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ المائدة: ٨٩

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (عقَدتم) بالقصر -أي من غير ألف- والتخفيف.

٢. ورواه ابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف (عاقدتم).

٣. وقرأ الباقون (عقَّدتم) بالتشديد من غير ألف.[٢٣٨]

البيان:

لقد أدى اختلاف القراءات إلى الاختلاف في عقد الأيمان:

أيكون عقدها بالحلف مرة واحدة، ويكون الحنث فيها موجبا الكفارة؟ أم لا يكون عقدها إلا بتكرار الحلف، ولا كفارة إلا مع التكرار؟.

قال القرطبي في تفسيره: " وقرء (عقدتم) بتشديد القاف، قال مجاهد: معناه تعمدتم أي قصدتم، وروي عن ابن عمر أن التشديد يقتضي التكرار فلا تجب عليه الكفارة إلا إذا كرر وهذا يرده ما روي أن النبي- ﷺ -قال: (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني)[٢٣٩] فذكر وجوب الكفارة في اليمين التي لم تتكرر. قال أبو عبيد: التشديد يقتضي التكرير مرة بعد مرة ولست آمن أن يلزم من قرأ بتلك القراءة ألا توجب عليه كفارة في اليمين الواحدة حتى يرددها مرارا وهذا قول خلاف الإجماع.[٢٤٠]

٢٣٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٥٥.

٢٣٩ - رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١١ ص٥١٧ - رقم ٦٦٢٣.

٢٤٠ - الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج٦ ص٢٦٧.

وقال الإمام الطبري في تفسيره: «وأولى القراءتين بالصواب[٢٤١] في ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام إلا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة مثل قولهم شددت على فلان في كذا إذا كرر عليه الشد مرة بعد أخرى فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل شددت عليه بالتخفيف. وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث في حلف مرة واحدة وإن لم يكررها الحالف مرات وكان معلوماً بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكرره ولم يردده وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقدتم وجه مفهوم. فتأويل الكلام إذن لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم.[٢٤٢]

الخلاصة:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن قراءة (عقَّدتم) بالتشديد تقتضي بظاهرها أن اليمين لا تنعقد إلا بتكرار الحلف، وتلك هي التي يؤاخذ الله عليها الحالف، بمعنى إن حنث فيها لزمته الكفارة، وكأن لا مؤاخذة ولا كفارة فيما دون التكرار.

ولكن هذا المقتضى من ظاهر الآية لم يعتمده أحد من الفقهاء تشريعا يعول عليه في قضية الإيمان، بل الإجماع على خلافه لما ثبت بالسنة الصحيحة عن النبي-ﷺ-أن الكفارة لازمة مع الحنث في اليمين وإن لم يتكرر الحلف على نحو ما أشار إليه حديث الرسول-ﷺ-السابق ذكره. وبناء على ما سبق نجد أن كل قراءة جاءت لدفع التوهم عن القراءة الأخرى.

---

٢٤١ هذا القول مما يؤخذ عليه رحمه الله؛ فلا يجوز التفضيل بين القراءات الصحيحة إذا ثبتت قرآنيتها، راجع ما قاله الإمام القشيري وغيره في هذا الموضوع ص٤٥ من هذه الرسالة.

٢٤٢ - جامع البيان ج٧ ص١٣

فلما كانت قراءة التشديد تؤذن باحتمالات التكرار، جاءت قراءة (عقدتم) بالتخفيف لرفع توهم أن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار.

وجاءت قراءة التشديد (عقَّدتم) لرفع توهم أن الكفارة تجب باللغو في اليمين، بل لا بد من النطق باللسان والتوثيق بالجنان.

قال مكي بن أبي طالب: «فالتخفيف فيه إلزام الكفارة، وإن لم يكرر، وفيه رفع للإشكال. فالتشديد فيه إلزام الحالفين الكفارة على عددهم، وفيه إيهام ترك الكفارة عمن لم يكرر، فالقراءتان حسنتان.[٢٤٣]

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن الكفارة تجب على من حلف ولو لمرة واحدة ثم حنث في يمينه شريطة أن يعقد اليمين بقلبه ولسانه، ولا كفارة باللغو في اليمين.

---

٢٤٣ - الكشف ج١ ص٤١٧.



الفصل الثالث

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران

المبحث الأول: سورة الفاتحة.

المبحث الثاني: سورة البقرة.

المبحث الثالث: سورة آل عمران.



الفصل الثالث:
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران

في هذا الفصل سأتناول التفسير للقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران، والتي لها علاقة بالمعاني فقط، ولقد اعتمدت على منهج واحد في التفسير وهو:

أ. كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة.

ب. بيان القراءات في الآية.

ج. بيان المعنى اللغوي للقراءات.

د. تفسير الآية كاملة.

ه. بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات.

المبحث الأول: سورة الفاتحة

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ الفاتحة: ٤

القراءات:

١. قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك) بالألف مداً.

٢. قرأ الباقون (ملك) بغير ألف قصراً.[٢٤٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الْمَلِك: هو القادر الواسع المقدرة الذي له السياسة والتدبير.

الْمَالِك: هو القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليسَ لأحد منعه منه.[٢٤٥]

التفسير:

لمّا بين سبحانه وتعالى ملكَه التام في الدنيا بقوله (رب العالمين) أتبع ذلك ببيان ملكه التام والمطلق في الآخرة.

قال ابن كثير: "وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك في الدنيا والآخرة وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بإذنه.[٢٤٦]

وقال القرطبي: «فيقال لمن خصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره قيل له لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون ونمروذ وغيرهما وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه وكلهم خضعوا له كما قال تعالى (لمن الملك اليوم) غافر ١٦، فأجاب جميع الخلق (لله الواحد القهار) فلذلك قال (مالك يوم الدين) أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز

٢٤٤ - انظر النشر ج١ ص٢٧١.

٢٤٥ - مجمع البيان - ج١ ص٣١ .

٢٤٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٥ -٢٦.

غيره سبحانه لا إله إلا هو.[٢٤٧]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لما كان المَلك لا يتم مُلكُه إلا بالملك المفيد لتمام التصرف، وكان المالك لا يتم ملكُه إلا بالمُلك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمر للبطش والقهر ونفوذ الأمر جاءت القراءتان لإثباتالأمرين معاً؛ فالله هو المَلك والمَالك حقيقة ليوم الدين.[٢٤٨]

قال الشعراوي في تفسيره: «إذا قال الحق-عز وجل -(مالك يوم الدين) أي الذي يملك هذا اليوم وحده يتصرف فيه كيف يشاء، وإذا قيل (مَلك يوم الدين) فتصرفه أعلى على المالكين لأن المالك لا يتصرف إلا في ملكه، ولكن المَلك يتصرف في مُلكه ومُلك غيره فيستطيع أن يصدر قوانين بمصادرة أو تأميم ما يملكه غيره.

الذين قالوا (مالك يوم الدين) أثبتوا لله- عز وجل -أنه مالك هذا اليوم يتصرف فيه كيف يشاء دون تدخل من أحد ولو ظاهرا، والذين يقرؤون (ملك) يقولون أن الله -عز وجل -في ذلك اليوم يقضي في أمر خلقه حتى الذين ملَّكهم في الدنيا ظاهرا. ونحن نقول عندما يأتي يوم القيامة لا مالك ولا ملك إلا الله.[٢٤٩]

وقال الدكتور/ فضل حسن عباس: «والذي ندين به، ونلقى الله عليه، أن كلتا القراءتين صحيحة أداء ومعنى. ولكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز. بيان ذلك: أن الناس في هذه الدنيا يفرقون بين أمرين اثنين وهذان الأمران هما غاية كثير من الناس: أحدهما المُلك، وهو

٢٤٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص١٤٣.

٢٤٨ - انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبو الحسن البقاعي: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب مهدي - ج١ ص١٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٥هـ.

٢٤٩ - تفسير الشعراوي ج١ ص٧٠ - أخبار اليوم.

حب الرياسة وطلب القوة. والآخر المِلك، وهو حب القنية والتملك وجمع الثروات الهائلة، ولكل وجهة، والآية الكريمة بقراءتيها جاءت مبينة هاتين الغايتين اللتين تسيطران على كثير من الناس، وبأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم. فهما لله وحده. فالله مَلك يوم الدين صاحب السلطان، لا سلطان لأحد غيره، وهذا ما ترشد إليه قراءة (مَلك يوم الدين). وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شؤون الناس والكون. هو الذي يملك كل شيء وهو الغني الحميد، وهذا ما ترشد إليه القراءة الثانية (مالك). كلتا القراءتين إذن تدل على معنى مستقل عن الآخر، وكل من المعنيين لابد منه في بيان اليوم الآخر.[٢٥٠]

٢٥٠ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص١٦ باختصار.

المبحث الثاني: سورة البقرة

١- ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾
البقرة: ٩

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وما يُخادِعون) بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال.
٢. قرأ الباقون (وما يَخْدَعون) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف.[٢٥١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الخَدْعُ: إظهار خلاف ما تخفيه، خَدَعَه يَخْدَعُه خِدعا بالكسر، وخادَعه مُخادَعةً وخِداعاً.
وتَخادع القوم: خدع بعضُهم بعضا. وتَخادع وانْخدع: أَرَى أنه قد خُدِع، وخَدعتُه فانْخدع ويقال رجل خَدَّاع وخد وع وخُدعة إذا كان خَبًّا.[٢٥٢]

التفسير:

ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخلَّص ثم ذكر بعدهم الكفرة الخلَّص ثم ذكر ثالثا المنافقين وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية ومع ذلك فهم أهل الدرك الأسفل من النار.[٢٥٣]
ومن صفات هذه الطائفة المنافقة جهلهم القبيح بالله وظنهم السيئ به

٢٥١ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٧.
٢٥٢ - انظر لسان العرب ج٢ ص١١١٢.
٢٥٣ - انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني: اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش - ج١ ص٥٢-٥٣ - دار المعرفة - بيروت - ط٣ - ١٤١٧هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: فتح القدير.

سبحانه، حيث يظنون لقصور عقولهم أنهم بنفاقهم وإظهارهم خلاف ما يبطنون وقولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) يخدعون الله والمؤمنين والحقيقة أنهم يخدعون أنفسهم.

قال الطبري في تفسيره: «إن قال لنا قائل أو ليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين بما أظهروا بألسنتهم من قيل الحق عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم حتى سلمت لهم دنياهم وإن كانوا قد كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم، قيل: خطأ أن يقال إنهم خدعوا المؤمنين لأنا إذا قلنا ذلك أوجبنا لهم حقيقة خدعة جاءت لهم على المؤمنين ولكنا نقول خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ولم يخدعوهم بل خدعوا أنفسهم. كما تقول في رجل قاتل آخر فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه قاتل فلان فلانا ولم يقتل إلا نفسه فتوجب له مقاتلة صاحبه وتنفي عنه قتله صاحبه وتوجب له قتل نفسه فكذلك تقول خادع المنافق ربه والمؤمنين ولم يخدع إلا نفسه فتثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين وتنفي عنه أن يكون خدع غير نفسه لأن الخادع هو الذي قد صحت له الخديعة ووقع منه فعلها. والخادع من ختل[٢٥٤] غيره عن شيئه والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه، فأما والمخادع عارف بخداع صاحبه إياه وغير لاحقه من خداعه إياه مكروه بل إنما يتجافى للظان به أنه له مخادع استدراجا ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التي هو بها موقع عند بلوغه إياها. ولذلك نفى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه إذ كانت الصفة التي وصفنا صفته.[٢٥٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض أهل اللغة والتفسير إلى أن القراءتين ترجعان إلى معنى واحد.

---

٢٥٤ الخَتْلُ: تخادع عن غفلة. لسان العرب ج١ ص١١٠٠

٢٥٥ جامع البيان ج١ ص١١٩ – ١٢٠ بتصرف.

قال مكي بن أبي طالب: "وعلة من قرأ بغير ألف أن أهل اللغة حكوا: خادع وخدع بمعنى واحد، والمفاعلة قد تكون من واحد كقولهم: داويت العليل، وعاقبت اللص..إلى أن قال: وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن، وهو أن خادع وخدع بمعنى واحد في اللغة، فيكون (وما يُخادعون، وما يَخْدَعون) بمعنى واحد من فاعل واحد.[256]

وقال ابن كثير في تفسيره: « (وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون) يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) النساء ١٤٢ ،ومن القراء من قرأ (وما يخدعون إلا أنفسهم) وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد.[257]

وقال الشوكاني[258]: « لما خادعوا من لا يُخدع كانوا مخادعين لأنفسهم؛ لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن، وأما من عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فإنما يخدع نفسه وما يشعر بذلك، ومن هذا قول من قال: من خادعته فانخدع لك فقد خدعك.[259]

والصواب أن كل قراءة تعطي معنى غاية في بابه دونما تناقض أو تضاد بين المعنيين بحيث تتم به الحكمة البيانية.

قال الدكتور/ فضل حسن عباس: « إن من عرف نفسية المنافق واضطرابه وقلقه أدرك أن كلتا القراءتين في القمة إيجازا وإعجازا، صحة معنى وروعة مبنى.

٢٥٦ - الكشف– ج١ ص٢٢٤-٢٢٧ باختصار.

٢٥٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٧٧.

٢٥٨ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، له تصانيف كثيرة جدا منها: تفسيره المسمى فتح القدير، ونيل الأوطار، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ ﴿انظر: مقدمة تفسيره فتح القدير – ج١ ص٥ ، الأعلام للزركلي ج٦ ص٢٩٨﴾.

٢٥٩ - فتح القدير ج١ ص٥٣.

فالقراءة الأولى (وما يَخدعون إلا أنفسهم) تطمئن المؤمنين بأن عمل هؤلاء المنافقين سينقلب وبالا عليهم، فنتيجة المخادعة ضرر محقق لأنفسهم، فهي بشارة للمؤمنين بما سيقع على أولئك المنافقين.

وأما القراءة الثانية وهي (يُخادعون) فإنها تدل على شيء آخر وهو ما يجده المنافقون في أنفسهم من إضطراب، وضيق وعدم استقرار وثبات؛ فهناك عملية مخادعة بينهم وبين أنفسهم، وهذا ما يدل عليه قوله سبحانه (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) التوبة٦٤، وهذا قريب من التجريد الذي ذكره علماء البديع، فهم يخادعون أنفسهم ويغرونها بالأماني، وأنفسهم كذلك تخادعهم.[٢٦٠]

٢-﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (يَكذِبون) بفتح الياء وتخفيف الذال.
٢. قرأ الباقون (يُكذِّبون) بالضم والتشديد.[٢٦١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكَذِب: ضد الصدق وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو عليه، والكذب ضرب من القول.[٢٦٢]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفة أخرى من صفات المنافقين ألا وهي صفة

٢٦٠ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص١٨.
٢٦١ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٧-٢٠٨.
٢٦٢ - انظر مجمع البيان ج١ ص٦٨.

الكذب وتكذيب الآخرين بسبب مرض النفاق الذي أصاب قلوبهم، وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم.

قال ابن كثير في معنى الآية: " (في قلوبهم مرض) هم المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الإسلام (فزادهم الله مرضاً) قال زادهم رجساً، وقرأ (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم) التوبة ١٢٤-١٢٥، قال شراً إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم، وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن وهو الجزاء من جنس العمل وكذلك قاله الأولون وهو نظير قوله تعالى أيضا (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)محمد ١٧ ، وقوله (بما كانوا يَكْذِبون) وقُرِئَ (يُكذِّبون)، وقد كانوا متصفين بهذا وهذا فإنهم كانوا كَذبة ويكذبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا."[٢٦٣]

ولقد جاءت نصوص كثيرة تتحدث عن صفة الكذب عند المنافقين منها قوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)المنافقون ١ ، وقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدهم وبما كانوا يكذبون) التوبة ٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التخفيف (يَكْذِبون) أن هؤلاء المنافقين سيعاقبون بسبب كذبهم على الآخرين وقولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر).

وأما قراءة التشديد (يُكَذِّبون) فلقد أفادت أنهم سيعاقَبون بسبب تكذيبهم الآخرين. فهم يستحقون العذاب بسبب كذبهم وتكذيبهم الآخرين، ولا

---

٢٦٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٧٨.

شك أن من كذَّب الآخرين فقد اتصف بالكذب وليس العكس فبينهما عموم وخصوص، فكل مكذِّب كذَّاب وليس كل كذَّاب مكذِّباً .

قال الطبرسي: " والتكذيب أكثر من الكذب لأن من كذَّب صادقاً فقد كذَب وليس كل من كذَب مكذِّبا . [٢٦٤]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن من صفات المنافقين أنهم يَكْذِبون ويُكَذِّبون الآخرين.

٣- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٨

القراءات:

١. قرأ الجمهور (تُرجَعون) مبنيا للمفعول من رجع المتعدي.
٢. قرأ يعقوب (تَرجِعون) مبنيا للفاعل حيث وقع في القرآن من رجع اللازم لأن رجع يكون لازما ومتعديا .[٢٦٥]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرُجوع: العَود إلى ما كان منه البَدْء، والرَّجع: الإعادة، والرَّجْعَة، والرِّجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات.[٢٦٦]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قدرة الله ووجوده وتصرفه في عباده.

قال ابن كثير: " يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده (كيف تكفرون بالله) أي كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه

٢٦٤ - مجمع البيان ج١ ص٦٨.
٢٦٥ - انظر: النشر ج٢ ص٢٠٨.
٢٦٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢.

غيره (وكنتم أمواتا فأحياكم) أي وقد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود.
وعن ابن عباس (كنتم أمواتا فأحياكم) أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم قال وهي مثل قوله تعالى (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) غافر١١ .[٢٦٧]
وقال أبو حيان: « والمقصود هنا إظهار القدرة والتصرف التام بنسبة الإحياء والإماتة والإحياء والرجوع إليه تعالى، وإن كنا نعلم أن الله تعالى هو فاعل الأشياء جميعها، وفي قوله تعالى (ثم إليه ترجعون) من الترهيب والترغيب ما يزيد المسيء خشية ويرده عن بعض ما يرتكبه ويزيد المحسن رغبة في الخير ويدعوه رجاؤه إلى الازدياد من الإحسان.[٢٦٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (تُرجَعون) إلى وجود قوة خارجة عن الإرادة تدفع بالرجوع إليه بخلاف قراءة (تَرجِعون) أي بأنفسكم ولا يلزم تدخل الغير.
قال أبو حيان: " لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ ".[٢٦٩]
وقال الشعراوي في تفسيره: « وقوله تعالى (وإلية ترجعون) تقرأ قراءتان: بضمة على التاء ومرة بفتحة على التاء.
الأولى (تُرجعون): معناها أننا نُجبر على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله تعالى بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله.
أما القراءة الثانية (تَرجعون) ففيها إرادة. وهي تنطبق على المؤمنين لأنهم

---

٢٦٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٠١ باختصار.
٢٦٨ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٢٧٨.
٢٦٩ - المصدر السابق.

يتمنون الرجوع إلى الله-ﷻ-.[270]

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن في الآية تحذير للناس عامة وللكفار المنكرين للبعث خاصة، وأنهم سيبعثون بعد الموت سواء أحبوا لقاء الله أم كرهوا، فالكل سيقف بين يدي الله الجبار ليحاسبه على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

٤- ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٣٦

القراءات:

١. قرأ حمزة (فأزالَهما) بألف بعد الزاي وتخفيف اللام.
٢. قرأ الباقون (فأزلَّهما) بالحذف والتشديد.[271]

المعنى اللغوي للقراءات:

فأزالهما: أي نحاهما عن الحال التي كانا عليها من قول القائل أزال فلان فلانا عن موضعه إذا نحاه عنه وزال.

فأزلهما: من زللت وأزلني غيري أي أوقعهما في الزلل وهو أن يزل الإنسان عن الصواب إلى الخطأ والزلة.[272]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن زلة آدم – علي السلام – ونسيانه أمر ربه بالأكل من الشجرة المحرمة وما أعقبه من إبعاده وإخراجه من الجنة إلى الأرض والعداوة بينه وبين إبليس إلى يوم القيامة.

---

٢٧٠ – تفسير الشعراوي ج١ ص٢٣١ – أخبار اليوم.

٢٧١ – انظر النشر ج٢ ص٢١١.

٢٧٢ – انظر حجة القراءات – لأبي زرعة عبد الرحمن ابن زنجلة: تحقيق سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٤ – سنة ١٤٠٤هـ ص٩٤

قال النسفي: " (فأزلهما الشيطان عنها) أي عن الشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها، وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها، أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما، (فأزالهما) حمزة. وزلة آدم بالخطأ في التأويل: إما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه.(٢٧٣)

ثم بين المولى- ﷻ-ما أعده لهم في الدنيا من المتاع. قال الإمام الطبري في تفسيره: "ولكم في الأرض منازل ومساكن تستقرون فيها استقراركم كان في السماوات، وفي الجنات في منازلكم منها، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها، وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزين والملاذ، وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم تدفنون فيها وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها.(٢٧٤)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (فأزلهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إيقاعهما في الزلة وهي الخطيئة من خلال الأكل من الشجرة المنهي عنها بقوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ويكون الضمير في عنها يعود إلى أقرب المذكورات وهي الشجرة، ويكون قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) متمم للمعنى ومبينا عاقبة الزلة وهو الخروج والإبعاد عن الجنة. وأفادت قراءة (فأزالهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إبعادهما عن الجنة وتنحيتهما عنها، ويكون الضمير في عنها يعود إلى الجنة، ويكون قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) تأكيد لهذا الإبعاد.

قال ابن عاشور: " والضمير في عنها يجوز أن يعود إلى الشجرة لأنها اقرب

---

٢٧٣ - تفسير النسفي ج١ ص٤٣.

٢٧٤ - جامع البيان ج١ ص٢٤٢.

وليتبين سبب الزلة وسبب الخروج من الجنة إذ لو لم يجعل الضمير عائدا إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج. وقرأ حمزة فأزالهما بألف بعد الزاي وهو من الإزالة بمعنى الإبعاد، وعلى هذه القراءة يتعين أن يكون ضمير عنها عائدا إلى الجنة لا إلى الشجرة.[٢٧٥]

وقال الألوسي: « فأزلهما الشيطان عنها أي حملهما على الزلة بسببها، وتحقيقه أصدر زلتهما عنها، والضمير على هذا للشجرة وقيل: أزلهما أي أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال والضمير حينئذ للجنة وعوده إلى الشجرة بتجوز.[٢٧٦]

بالجمع بين القراءتين:

يتبين أن الشيطان اللعين أوقعهما في الزلة من خلال الوسوسة لهما بالأكل من الشجرة المحرمة فكانت النتيجة أن أخرجهما من الجنة.

قال القرطبي: « والوسوسة هي إنما إدخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه.[٢٧٧]

٥- ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير بنصبَ (آدمَ) ورفع (كلماتٌ).
٢. قرأ الباقون برفع (آدمُ) ونصب (كلماتٍ) بكسر التاء.[٢٧٨]

٢٧٥ – تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٤٣٣-٤٣٤ باختصار
٢٧٦ – روح المعاني ج١ ص٢٣٥ باختصار
٢٧٧ – الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٣١٢
٢٧٨ – انظر النشر ج٢ ص٢١١.

المعنى اللغوي للقراءات:

التلقي: نظير التلقين يقال تلقيت منه أي أخذت وقبلت.[279]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن توبة آدم بعد مخالفته لأمر الله وأكله من الشجرة المنهي عنها، وعن قبول الله لهذه التوبة، كما جاء ذلك صريحاً في موضع آخر، قال تعالى (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصا آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) طه ١٢٠-١٢٢ . ولم تذكر الآية الكريمة الكلمات التي تلقاها آدم أو التي تلقته، ولكن جاء في موضع آخر بيان لهذه الكلمات في قوله تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) [280] الأعراف ٢٣ .

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (آدمُ – كلماتٍ) أن آدم- عليه السلام -هو الذي تلقى الكلمات من ربه وهذا يدل على حرصه عليه السلام على التوبة بحيث أقبل على الله مستغفرا تائباً نادماً على ما فعل.

وأما قراءة ابن كثير (آدمَ – كلماتٌ) فتفيد أن الكلمات التي ألهم الله بها آدم ليدعوه بها هي التي تلقته وتداركته بالنجاة والرحمة، وفي هذا دلالة على محبة الله لآدم بسبب حرصه على التوبة ورجوعه إلى الله.

قال الطبري: "فلقَّى اللهُ آدمَ كلمات توبة فتلقاها آدمُ من ربه وأخذها عنه تائبا فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه.[281]

---

٢٧٩ - انظر مجمع البيان ج١ ص١٢٧.

٢٨٠ - انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي: اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي - ج١ ص٦٧ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ.

٢٨١ - جامع البيان ج١ ص٢٤٣.

وقال الدكتور/ فضل حسن عباس: « ولكل من القراءتين توجيهها البلاغي المقبول، دونما قلق أو اضطراب. فقراءة الجمهور دالة على ما كان يعانيه آدم بعد الزلة من أسف وندم وألم. فها هو باحث عما ينجيه مما وقع فيه، نادم على ما فرط منه. ويدل لهذه القراءة قوله سبحانه (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف ٢٣.

أما القراءة الثانية: فإنها تدل على جانب آخر من القضية، إنها تدل على عناية الله-ﷻ -بآدم واصطفائه واجتبائه له. وهذا يتفق مع قوله سبحانه (إن الله اصطفى آدم ونوحا) آل عمران ٣٣ ، وقوله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه) طه ١٢٢. وعلى هذا تحمل القراءة الثانية، فكأن هذه الكلمات باحثة عن آدم فهي التي تتلقاه. وهكذا نجد أن كلا القراءتين تتفق مع جانب مما جاء في كتاب الله. أحدهما تدلنا على نفسية آدم وما كان يعانيه. والأخرى تدلنا على تكريم الله تبارك وتعالى له.[٢٨٢]

وبالجمع بين للقراءتين: نجد أن لكل منهما معنى مكملاً للآخر؛ فحرص آدم على التوبة والاستغفار جعلته يقبل على الله مستغفرا منيبا، هذا الحرص على التوبة الإنابة والاستغفار إلى الله كانت سببا في محبة الله لآدم ورحمته به وإلهامه بكلمات يدعو الله بها، فتلقته هذه الكلمات وكانت سببا في قبول توبته.

وذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد. قال القرطبي: «القراءتان ترجعان إلى معنى واحد؛ لأن آدم إذا تلقى الكلمات فقد تلقته، وقيل لما كانت الكلمات هي المنقذة لآدم بتوفيق الله تعالى وقبوله إياها ودعائه بها كانت الكلمات فاعلة.[٢٨٣]

٢٨٢ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٥-٣٦.

٢٨٣ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٢٦.

وهذا الذي قاله القرطبي وإن كان صحيحا من حيث اللغة إلا أن لكل قراءة مدلولها وأثرها في النفس بحيث تؤدي معنى لا يؤديه الآخر.

٦-﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٨

القراءات:

١. قرأ يعقوب (فلا خوفَ) حيث وقعت بفتح الفاء وحذف التنوين.

٢. قرأ الباقون (فلا خوفٌ) بالرفع والتنوين.[٢٨٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الخوف: توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن.[٢٨٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن إخراج آدم وزوجه، وإبليس من الجنة بعد المعصية التي وقع فيها آدم بالأكل من الشجرة المحرمة، وعن وعد الله لمن التزم بشرعه وسار على هدي نبيه ومصطفاه بعدم الخوف مما هو آت، وبعدم الحزن على ما فات.

قال ابن كثير: " (فمن تبع هداي) أي أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة (ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من أمور الدنيا .[٢٨٦]

٢٨٤ – انظر النشر ج١ ص٢١١.

٢٨٥ – مفردات ألفاظ القرآن ص٣٠٣.

٢٨٦ – تفسير ابن كثير ج١ ص١٢١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة تفسيرية حيث اختلف العلماء في المقصود بالنفي في قوله تعالى (فلا خوف) هل المقصود به نفي الخوف في الدنيا والآخرة أم المقصود به نفي الخوف في الآخرة فقط ؟ فجاءت قراءة الفتح لتبين المراد وهو نفي الخوف في الآخرة خاصة.

فعلى قراءة الجمهور (فلا خوفٌ) بالتنوين مع الرفع تكون (لا) هنا عاملة عمل ليس، فتحتمل نفي جنس الخوف مطلقا وهذا لا يكون إلا في الآخرة، وتحتمل نفي خوف معين وهو الخوف من المستقبل دون الخوف الفطري، وهذا يكون في الدنيا .

وأما على القراءة الثانية (فلا خوفَ) بالفتح من غير تنوين تكون (لا) نافية للجنس تعمل عمل إن، وهنا لا تحتمل الآية إلا نفي جنس الخوف مطلقا وهذا لا يكون إلا في الآخرة.

قال ابن عطية: «(فلا خوفَ) نصب على التبرئة ووجهه أنه أعم وأبلغ في رفع الخوف.[٢٨٧]

وبالجمع بين القراءتين: يكون المقصود من الآية هو نفي الخوف في الآخرة خاصة. قال الرازي: « فإن قيل: قوله تعالى (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقتضي نفي الخوف والحزن مطلقا في الدنيا والآخرة وليس الأمر كذلك لأنهما حصلا في الدنيا للمؤمنين أكثر من حصولهما لغير المؤمنين، قال - ﷺ -: (خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.)[٢٨٨] وأيضا فالمؤمن لا يمكنه القطع أنه أتى بالعبادات كما

---

٢٨٧ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / ابن عطية الأندلسي ج١ ص١٣٢ - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٣هـ.

٢٨٨ - رواه الترمذي بنحوه - كتاب الزهد - ج٤ ص١٧٩ - حديث ٢٤٠٦. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ينبغي فخوف التقصير حاصل وأيضا فخوف سوء العاقبة حاصل».[٢٨٩]
قال الدكتور/ محمد السيد الطنطاوي: «ونفي الخوف والحزن ورد في الآية على وجه الإطلاق، وظاهره أن المهتدين لا يعتريهم الخوف ولا الحزن في دنياهم ولا في آخرتهم. ولكن قوله فيما يقابله من جزاء الكافرين (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يرجح أن يكون المراد نفي الخوف والحزن في الدار الآخرة».[٢٩٠]

٧-﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ البقرة: ٤٨

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان (تُقبل) بالتأنيث.
٢. قرأ الباقون (يُقبل) بالتذكير.[٢٩١]

التفسير:

تحذر الآية الكريمة من ذلك اليوم الرهيب الذي لا يغني فيه أحدٌ عن أحدٍ، كما أنها تنفي الشفاعة عن الكافرين. قال ابن كثير "لما ذكرهم تعالى بنعمه أولا عطف على ذلك التحذير من طول نقمه بهم يوم القيامة، فقال تعالى: (واتقوا يوما) يعني يوم القيامة (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) أي لا يغني أحد عن أحد (ولا يقبل منها شفاعة) يعني من الكافرين (ولا يؤخذ منها عدل) أي لا يقبل منها فداء (ولا هم ينصرون) أي ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله.[٢٩٢]

٢٨٩ - مفاتيح الغيب - الإمام فخر الدين الرازي: ج٢ ص٢٩ - دار الفكر - ط٥ - سنة ١٤٠٥هـ.
٢٩٠ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - د. محمد سيد طنطاوي ج١ ص١٢٩ - مطبعة السعادة - القاهرة - سنة ١٣٩٧هـ.
٢٩١ - انظر النشر ج٢ ص ٢١٢.
٢٩٢ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٠ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز معاملة المؤنث الغير حقيقي معاملة المذكر. قال صاحب التحرير والتنوير: "ويجوز في كل مؤنث اللفظ غير حقيقي التأنيث أن يعامل معاملة المذكر؛ لأن صيغة التذكير هي الأصل في الكلام فلا تحتاج إلى سبب.[٢٩٣]

٨- ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة: ٥١

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر والبصريان (وعدنا) بقصر الألف من الوعد.

٢. قرأ الباقون (واعدنا) بالمد من المواعدة[٢٩٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوعد يكون في الخير والشر، يقال وعدته بنفع وضر وعدا وموعدا وميعادا، والوعيد في الشر خاصة، يقال منه: أوعدته، ويقال: واعدته وتواعدنا.[٢٩٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نعم الله على بني إسرائيل وعن تشريف الله لموسى بما وعده به من إنزال الشريعة وما كان من ظلم بني إسرائيل لأنفسهم حين عبدوا العجل.

قال ابن كثير: " يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة وكانت

---

٢٩٣ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٣٨٠.

٢٩٤ - انظر النشر ج٢ ص٢١٢.

٢٩٥ - مفردات ألفاظ القرآن ٨٧٥.

أربعين يوما وهي مذكورة في الأعراف في قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) الأعراف ١٤٣ . قيل إنها ذو القعدة بكماله وعشرة من ذي الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر»(٢٩٦)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة القصر (وعدنا) أن الوعد بمعناه الحقيقي كان من الله.

وأفادت قراءة المد (واعدنا) أن المواعدة كانت من اثنين: من الله بإنزال التوراة على موسى، ومن موسى بقبول الوعد والوفاء به والتزامه بما يقوم مقام الوعد.

قال القرطبي: "قال أبو إسحاق الزجاج: واعدنا هاهنا بالألف جيد، لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فمن الله تعالى وعد، ومن موسى قبول واتباع يجري مجرى المواعدة."(٢٩٧) قال الفخر الرازي في معنى الآية: «فأما بغير ألف فوجهه ظاهر لأن الوعد كان من الله تعالى والمواعدة مفاعلة لا بد لها من اثنين، وأما بالألف فله وجوه:

أحدها : أن الوعد وإن كان من الله تعالى فقبوله كان من موسى- عليه السلام -وقبول الوعد يشبه الوعد لأن القابل للوعد لا بد وأن يقول أفعل ذلك.

وثانيهما : لا يبعد أن يكون الآدمي يعد الله ويكون معناه يعاهد الله.

وثالثهما : أنه أمر جرى بين اثنين فجاز أن يقال واعدنا .

ورابعها وهو الأقوى: أن الله تعالى وعده بالوحي وهو وعد الله المجيء للميقات إلى الطور(٢٩٨)

٢٩٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٣.

٢٩٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٩٤.

٢٩٨ - مفاتيح الغيب ج٢ ص٧٨.

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن قراءة المد أظهرت ما كان يطمح إليه كليم الله من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها من قبل وهو عائد من مدين، في حين أثبتت قراءة القصر أن الوعد بمعناه الحقيقي هو من الله، وهذا فيه إكرام وتكليف لموسى عليه السلام.[299]

٩- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٥٨

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (تُغفَر) بضم التاء وفتح الفاء.
٢. قرأ نافع وأبو جعفر (يُغفَر) بضم الياء وفتح الفاء.
٣. قرأ الباقون (نَغفِر) بفتح النون وكسر الفاء.[300]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغَفْر: إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل: اغفر ثوبك في الوعاء واصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبدَ من أن يمسه العذاب.[301] وقال ابن جرير الطبري: «أصل الغَفْر: التغطية والستر، فكل ساتر شيئا فهو غافره.[302]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نعمة أخرى من نعم الله على بني إسرائيل وما وعدهم به إن هم استجابوا لأمره وأطاعوه فيما أمرهم به، أنه يتغمدهم برحمته ويستر عنهم خطاياهم فلا يفضحهم بالعقوبة عليها. قال ابن

٢٩٩ - انظر القراءات القرآنية من الجهة البلاغية ص٢٣.
٣٠٠ - انظر النشر ج٢ ص٢١٥.
٣٠١ - مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٩.
٣٠٢ - جامع البيان ج١ ص٣٠٢.

كثير: "هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضعفنا لكم الحسنات، وحاصل الأمر أنهم أمُروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى."[303]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (تُغْفَر) و(يُغْفَر) فالعلاقة بينهما نحوية تتعلق بجواز معاملة المؤنث الغير حقيقي معاملة المذكر، كما تبين ذلك عند بيان قراءة (ولا يقبل منها شفاعة)البقرة ٤٨[304]

وأما قراءة (نَغفِر) بنون العظمة فقد جاءت مفسرة للقراءتين الأخريين فقد أسند سبحانه وتعالى فعل المغفرة إلى نفسه بضمير الجمع لبيان أن الذي يغفر الذنوب والخطايا هو الله وحده.كما قال تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله) آل عمران ١٣٥ .

قال القرطبي في توجيه القراءات: «وحسن الياء والتاء، وإن كان قبله إخبار عن الله تعالى في قوله (وإذ قلنا) لأنه قد عُلم أن ذنوب الخاطئين لا يغفرها إلا الله تعالى؛ فاستغنى عن النون ورد الفعل إلى الخطايا المغفورة.[305]

١٠- ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ

٣٠٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٢.

٣٠٤ - راجع ص٧٦.

٣٠٥ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤١٤.

بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ البقرة: ٦١

القراءات:

١. قرأ نافع (النبيئين) بالهمزة على الأصل.

٢. قرأ الباقون (النبيِّين) بغير همز.[٣٠٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

النبيئين بالهمز: من أنبأ إذا أخبر عن الله كما قال تعالى (من أنبأك هذا) التحريم ٣ . فالنبيّ: هو الذي ينبئ أي يخبر عن الله ...النبيِّين بغير همز: من نبا ينبو إذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة، والنبوة: الارتفاع. وإنما قيل للنبيِّ نبيٌ: لارتفاع منزلته وشرفه تشبيها له بالمكان المرتفع على ما حوله.[٣٠٧]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن طغيان وتكبر بني إسرائيل وظلمهم لأنفسهم ولأنبيائهم وتمردهم على أوامر الله حين طلبوا من نبيهم موسى- عليه السلام -أن يسأل ربه أن يستبدل لهم المن والسلوى ببعض الأطعمة المذكورة، وما كان من تعنيف الله لهم في استبدالهم الأدنى بالذي هو خير، بالإضافة لارتكابهم أبشع الجرائم من خلال قتلهم للأنبياء المخبرون عن الله أصحاب المكانة العالية. قال الإمام الشوكاني: "والمراد في الآية أنهم رجعوا بغضب من الله أو صاروا أحقاء بغضبه وقد تقدم تفسير الغضب. والإشارة بقوله (ذلك) إلى ما تقدم من حديث الذلة وما بعده بسبب كفرهم بالله وقتلهم لأنبيائه بغير حق يحق عليهم اتباعه والعمل به، ولم

٣٠٦ - انظر حجة القراءات - ابن زنجلة ص٩٨-٩٩ ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص١٨٠ .

٣٠٧ - انظر حجة القراءات / ابن زنجلة ص٩٨-٩٩.

يخرج هذا مخرج التقييد حتى يقال إنه لا يكون قتل الأنبياء بحق في حال من الأحوال لمكان العصمة، بل المراد نعي هذا الأمر عليهم وتعظيمه وأنه ظلم بحت في نفس الأمر ويمكن أن يقال إنه ليس بحق في اعتقادهم الباطل لأن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لم يعارضوهم في مال ولا جاه بل أرشدوهم إلى مصالح الدين والدنيا كما كان من شعيبا وزكريا ويحيى فإنهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون أنهم ظالمون.[٣٠٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تبين القراءتان صفات الأنبياء عليهم السلام ومكانتهم عند الله-ﷻ-؛ حيث أفادت قراءة (النبيئين) أن النبي هو المخبر عن ربه الوحي. في حين أفادت قراءة (النبيِّين) أن النبي هو صاحب المكانة العالية المترفع عن أي خبر كاذب الهادي إلى الطريق المستقيم. قال تعالى في وصف محمد صلى الله عيه وسلم (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)النجم ٣-٤ ، و قال تعالى (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) الشورى ٤٢ .

قال القرطبي: «فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر؛ واسم فاعله منبئ، ويجمع نبئ أنبياء، وقد جاء في جمع نبيّ نبآء...واختلف القائلون بترك الهمز؛ فمنهم من اشتقه من نبا ينبو إذا ظهر. فالنبيّ من النبوة وهو الارتفاع؛ فمنزل النبي رفيع. والنبي بترك الهمز أيضا الطريق، فسمي الرسول نبيا لاهتداء الخلق به كالطريق[٣٠٩]

وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ من صفات النبيّ أنه المخبر عن الله عز وجل صاحب المكانة العالية الهادي إلى الطريق المستقيم.

---

٣٠٨ - فتح القدير ج١ ص١١٩.

٣٠٩ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤٣١.

وفي هذا بيان لعظم الجرم الذي فعله اليهود بقتلهم الأنبياء والاعتداء عليهم وتكذيبهم.

١١-﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ البقرة: ٦٢

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو جعفر (والصابين) بحذف الهمزة.

٢. قرأ الباقون (والصابئين) بالهمز.[٣١٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

صبا فلان يصبو صَبْواً وصَبوَةً: إذا نزع واشتاق، وفعل فعل الصبيان، والصَّبَا: الريح المستقبل للقبلة، والصابئون: قوم كانوا على دين نوح، وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابئ، من قولهم: صبأ ناب البعير: إذا طلع.[٣١١]

التفسير:

أخبر تبارك وتعالى أن أهل الملل والأديان، كل من آمن منهم بنبيه، وبكتابه في زمانه، إيمانا صادقا، وعمل صالحا دون أن يشرك بالله شيئا، فإن أجره لا يضيع عند الله، وهو يوم القيامة ناج من عذاب الله، وأنه يدخل الجنة مع المؤمنين، فاليهودي الذي تمسك بشريعة موسى في زمانه، والنصراني الذي تمسك بشريعة عيسى في زمانه، والذي مات على الفطرة وهو يؤمن بالله، كل هؤلاء يدخلون الجنة، لأنهم في زمانهم كانوا مؤمنين موحدين، وأما بعد بعثة محمد صلى الله عيه وسلم فلا يقبل من اليهودي

٣١٠ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص١٨١.

٣١١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٧٥.

أو النصراني أن يتمسك أحدهم بدينه، بل من شروط دخول الجنة الإيمان بمحمد-ﷺ-، والدخول في دين الإسلام، لأن كل دين قبله نُسخ، وانتهى العمل به، قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٣١٢] آل عمران ٨٥ .

قال ابن كثير عن الصابئين: «وأظهر الأقوال: والله أعلم قول مجاهد ومتابعيه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابيء أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. وقال بعض العلماء الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم.»[٣١٣]

وقال الألوسي في تفسيره: «والصابئين هم قوم مدار مذاهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها فصابئة الروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحد شيئا فالفرقة الأولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الأصنام وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبدات، والإمام أبو حنيفة - رضي الله تعالى - عنه يقول: إنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة، وقيل: هم قوم موحدون يعتقدون تأثير

٣١٢ - انظر المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص ٩٨ - العلامة مصطفى الخيري المنصوري: تحقيق محمد علي الصابوني - دار السلام - القاهرة - ط١ - سنة ١٤١٧هـ.

٣١٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٩.

النجوم ويقرون ببعض الأنبياء كيحيى- عليه السلام -،وقيل: إنهم يقرون بالله تعالى ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة، وقيل: إلى مهب الجنوب وقد أخذوا من كل دين شيئا وفي جواز مناكحتهم وأكل ذبائحهم كلام للفقهاء يطلب في محله.[٣١٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (الصابئين) أنهم الذين خرجوا من دينهم.

في حين أفادت القراءة الأخرى (الصابين) أنهم الذين مالوا إلى دين آخر.

قال ابن زنجلة: "الصابين: بغير همز من صبا يصبو أي مال، وحجته قوله تعالى (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) يوسف ٣٣ ،أي أمل إليهن ومنه سمي الصبي صبيا لأن قلبه يصبو إلى كل لعب لفراغ قلبه.

والصابئين: بالهمز أي الخارجين من دين إلى دين يقال صبأ فلان إذا خرج من دينه يصبأ ويقال صبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ نابه إذا خرج.[٣١٥]

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا معنى الصابئين: فهم الخارجون من دينهم المائلون إلى دين آخر. قال الشعراوي في تفسيره: «وأيا كان المراد بالصابئين فهم كل من مال عن دينه إلى دين آخر.[٣١٦]

١٢-﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة: ٧٤

٣١٤ - روح المعاني ج١ ص٢٧٩.

٣١٥ - حجة القراءات ص ١٠٠.

٣١٦ - تفسير الشعراوي ج٥ ص٣٨١.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (عما يَعملون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تَعملون) بالخطاب.[٣١٧]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قسوة قلوب بني إسرائيل بعد كل الأدلة والبراهين والمعجزات التي رأوها، هذه القسوة التي فاقت قسوة الحجارة مع أن هذه الحجارة تلين وتتكسر، وقلوبهم لا تلين، ثم أتبعه بتهديد الله لهم لما ارتكبوه من جرائم.

قال الفخر الرازي: "المعنى أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم محصيا لها؛ فهو مجازيهم بها في الدنيا والآخرة، وهو كقوله تعالى (وما كان ربك نسيا) مريم ٦٤، وفي هذا وعيد لهم وتخويف كبير لينزجروا.[٣١٨] وقال أبو حيان: «هذا فيه وعيد وذلك أنه لما قال: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) أفهم أنه ينشأ عن قسوة القلوب أفعال فاسدة، وأعمال قبيحة من مخالفة الله تعالى ومعاندة رسله؛ فأعقب ذلك بتهديدهم بأن الله تعالى ليس بغافل عن أعمالهم، بل هو تعالى يحصيها عليهم، وإذا لم يغفل عنها كان مجازياً عليها.[٣١٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. فلقد استدل بعض العلماء بقراءة ابن كثير (يَعملون)

٣١٧ - النشر ج٢ ص٢١٧.
٣١٨ - مفاتيح الغيب ج٢ ص١٤١.
٣١٩ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٤٣٣.

على أن المقصود من الخطاب الرسول صلى الله عيه وسلم أو بنو إسرائيل.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن كثير بالياء فيحتمل أن يكون الخطاب مع رسول الله صلى الله عيه وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب مع بني إسرائيل ويكون ذلك التفاتا إذ خرج من الخطاب في قوله تعالى (ثم قست قلوبكم) إلى الغيبة في قوله (يعملون)، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات.[٣٢٠]

ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور(تعملون) والتي تفيد أن المقصود من الخطاب هم بنو إسرائيل، يترجح أن المقصود من قراءة (يعملون) أنهم بنو إسرائيل وليس الرسول-ﷺ-وأن ذلك من باب الالتفات، بمعنى أن أسلوب الغيبة (يعملون) يدل على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكن أسلوب الخطاب (تعملون) فيه نظر إلى جهة أخرى وهو توجيه التهديد توجيها مباشرا لهم.[٣٢١]

١٣- ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ البقرة: ٨١

القراءات:

١. قرأ المدنيان (خطيئاته) على الجمع.
٢. قرأ الباقون (خطيئَته) على الإفراد.[٣٢٢]

٣٢٠ – تفسير البحر المحيط ج١ ص٤٣٣.

٣٢١ – انظر ص ٥٠ من هذه الرسالة.

٣٢٢ – انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

الخطأ: العدول عن الجهة، والخطيئة والسيئة يتقاربان ولكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا إليه في نفسه، بل يكون القصد سببا لتولد ذلك الفعل منه، كمن يرمي صيدا فأصاب إنسانا.[٣٢٣]

التفسير:

يرد المولى -عز وجل- في هذه الآية على مزاعم اليهود وادعاءاتهم الباطلة في أنهم لن يعذبوا إلا أياماً قلائلَ وهي مدة عبادتهم للعجل فجاءت هذه الآية لبيان الميزان الصحيح في الجزاء والعقاب.

قال ابن كثير: «يقول تعالى ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون بل الأمر أنه من عمل سيئة (وأحاطت به خطيئته) وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أهل النار.[٣٢٤] ولقد اختلف العلماء في المراد بالسيئة والخطيئة هنا:

فقال البعض المراد بالسيئة الكفر، والمراد بالخطيئة الذنوب والكبائر. وقال بعضهم عكس ذلك.[٣٢٥] والصحيح أن المقصود بالسيئة في الآية الكريمة هي الكفر، وأما الخطيئة: فهي الذنوب والكبائر عموما ومنها الكفر والشرك بالله.

قال ابن جرير الطبري في تأويل الآية: «من أشرك بالله واقترف ذنوبا جمة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبدا.[٣٢٦]

٣٢٣ - مفردات ألفاظ القرآن ص٢٨٧-٢٨٨.

٣٢٤ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٨

٣٢٥ - انظر المحرر الوجيز ج١ ص١٧١

٣٢٦ - جامع البيان ج١ ص٣٨٦

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد باعتبار أن قراءة الإفراد تعني جنس الكبائر وقراءة الجمع تعني الكثرة وكلاهما يؤدي نفس الغرض وهو التعدد والكثرة.

قال أبو حيان في تفسيره: "أفرد سيئة لأنه كنى به عن مفرد وهو الشرك، ومن أفرد الخطيئة أراد بها الجنس ومقابلة السيئة لأن السيئة مفردة، ومن جمعها فلأن الكبائر كثيرة فراعى المعنى وطابق اللفظ.[٣٢٧]

وقال القرطبي: «وقرأ نافع (خطيئاته) بالجمع والباقون بالإفراد، والمعنى الكثرة مثل قوله تعالى]وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها [٣٢٨] إبراهيم ٣٤ .

والصحيح أن هناك فرق بين القراءتين باعتبار أن قراءة (خطيئته) بالإفراد تعني الكفر، فتكون هذه القراءة مؤكدة لمعنى السيئة وهو الكفر، ويصبح المعنى أن من كفر بالله وأحدق به كفرُه من كل جانب ومات عليه فهو من الهالكين الخالدين في نار جهنم.

وعلى قراءة (خطيئاته) بالجمع فمعناها الذنوب والكبائر عموماً، ويصبح معنى الآية أن من كفر بالله وانغمس في الذنوب والكبائر بحيث أحاطته من كل جانب حتى مات عليها فهو من الهالكين الخالدين في نار جهنم.

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا عظم جريمة الكفر باعتبارها أكبر الكبائر بحيث من أصر عليها حتى الممات فهو من المخلدين في نار جهنم سواء ارتكب معها الكبائر الأخرى أم لا. قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء ٤٨ .

١٤- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا

٣٢٧ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٤٤٦

٣٢٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٤

وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾

البقرة: ٨٣

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يَعبدون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (لا تَعبدون) بالخطاب.[٣٢٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له الإفضال، وهو الله تعالى.[٣٣٠]

التفسير:

شروع في تعداد بعض آخر من جرائم وقبائح اليهود، حيث نقضوا الميثاق، وأزهقوا الأرواح، وطغوا في الأرض بالإفساد، واعتدوا على حرمات إخوانهم المؤمنين بالبغي والعدوان فقال تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) أي اذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا على أسلافكم العهد الموثق المؤكد غاية التأكيد.[٣٣١]

جاء في تفسير الجلالين: « واذكر (إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) في التوراة وقلنا (لا تعبدون إلا الله) خبر بمعنى النهي وأحسنوا (بالوالدين إحسانا) برا (وذي القربى) القرابة عطف على الوالدين واليتامى (والمساكين وقولوا للناس حسنا) قولا حسنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد -ﷺ- والرفق بهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فقبلتم ذلك

٣٢٩ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

٣٣٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٢

٣٣١ - انظر المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١١٥.

(ثم توليتم) أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة، والمراد آباؤهم (إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) عنه كآبائكم.[٣٣٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (لا تعبدون) الزيادة في التشنيع على بني إسرائيل بما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بحيث واجههم بالخطاب مشفوعا بالقسم.

قال القرطبي في تفسيره: "فعلى قراءة (لا تعبدون) يكون متعلق بقسم، والمعنى: وإذ استحلفناهم والله لا تعبدون.[٣٣٣]

وأما قراءة (لا يعبدون) بالغيب فتتحدث عما يجب عليهم من الالتزام بالعهود والمواثيق.

قال القرطبي في توجيهه لقراءة لا يعبدون: «أنها في موضع حال، والمعنى: أخذنا ميثاقهم موحدين أو غير معاندين.»[٣٣٤] وذهب بعض العلماء إلى أنهما بمعنى واحد:

قال الإمام الطبري: «والقَرَأَةُ مختلفة في قراءة قوله (لا تعبدون) فبعضهم يقرؤها بالتاء وبعضهم يقرؤها، بالياء، والمعنى في ذلك واحد. وإنما جازت القراءة بالياء والتاء وأن يقال: لا تعبدون ولا يعبدون وهم غيب لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف، فكما تقول: استحلفت أخاك ليقومن، فتخبر عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك، وتقول: استحلفته لتقومن فتخبر عنه خبرك عن المخاطب، لأنك قد كنت خاطبته بذلك، فيكون ذلك صحيحا جائزا، فكذلك قوله (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) ولا يعبدون. من قرأ ذلك بالتاء فمعنى الخطاب إذ كان الخطاب قد كان

٣٣٢ - تفسير الجلالين – جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ص١٢ باختصار – دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٣٣ - أنظر الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٣.

٣٣٤ - المرجع السابق.

بذلك. ومن قرأ بالياء فلأنهم ما كانوا مخاطبين بذلك في وقت الخبر عنهم.»[٣٣٥]

والصواب أن اختلاف القراءتين هو من باب الالتفات، بحيث تفيد كل قراءة معنى جديداً يبرز الجانب البلاغي للقراءات.

قال الدكتور فضل حسن عباس: «(لا يعبدون إلا الله)، أسلوب الغيبة هنا فيه نعي على بني إسرائيل وتبكيت وتقريع، فهم لم يراعوا حق هذا الميثاق، بل نقضوه.أما القراءة الأخرى(لا تعبدون إلا الله) ففيها إلزام لهم وإرخاء العنان علهم يرعوون ويرجعون عن غيهم ويتركون ما كان عليه آباؤهم من قبل.»[٣٣٦]

٩- (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا) البقرة

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (للناس حَسَناً) بفتح الحاء والسين.
٢. قرأ الباقون (حُسْناً) بضم الحاء وإسكان السين.[٣٣٧]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحُسْنُ: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ...والحَسَنة يعبر عنها عن كل ما يَسُر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها ...والفرق بين الحَسْن والحَسَنة والحُسْنى أن الحَسَن يقال في الأعيان والأحداث، وكذلك الحَسَنة إذا كانت وصفا، وإذا كانت اسما فمتعارف في الأحداث، والحُسْنى لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحَسَن أكثر

٣٣٥ - جامع البيان ج١ ص٣٨٨-٣٨٩.
٣٣٦ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨.
٣٣٧ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر.[٣٣٨]

التفسير:

يخبر المولى - ﷻ -عز وجل عن أمر آخر من الأوامر التي كُلف بها بنو إسرائيل فلم يلتزموا بها وأعرضوا عنها.

قال ابن كثير: "(وقولوا للناس حُسْنا) أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، كما قال الحسن البصري في قوله تعالى (وقولوا للناس حُسْنا) فالحُسْن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حُسْنا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله.[٣٣٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد.

قال القرطبي: "(وقولوا للناس حُسْنا) حُسنا: نصب على المصدر على المعنى لأن المعنى ليَحْسُن قولكم، وقيل: التقدير وقولوا للناس قولا ذا حُسْن فهو مصدر لا على المعنى وقرأ حمزة والكسائي (حَسَنا) بفتح الحاء والسين.[٣٤٠]

والصحيح أن قراءة (حُسْنا) أفادت معنى زائد وهو المبالغة في قول الحَسَن من القول باعتبارها مصدر، فيدخل فيه القول الحسن والطريقة الحسنة في القول قال الله تعالى لموسى عليه السلام (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) الأعراف ١٤٥. وهذا بخلاف القراءة

٣٣٨ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥-٢٣٦.

٣٣٩ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٩.

٣٤٠ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٦.

الأخرى (حَسَنا) فهي صفة مشبهة تفيد مجرد القول الحسن.

قال الطبري في تفسيره: «واختلف أهل العربية في فرق ما بين معنى قوله (حُسْنا)، (وحَسَنا) فقال بعض البصريين هو على أحد وجهين، إما أن يكون يراد بالحُسْن الحَسَن وكلاهما لغة كما يقال البُخْل والبَخَل. وإما أن يكون جعل الحُسْن هو الحَسَن في التشبيه وذلك أن الحُسْن مصدر والحَسَن هو الشيء الحسن، وقال آخر بل الحُسْن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحُسن، والحَسَن هو البعض من معاني الحُسْن.»[٣٤١]

وبالجمع بين القراءتين: يصبح المعنى: وقولوا للناس قولاً حسناً بطريقة حسنى.

١٥- ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾ البقرة: ٨٥

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (تظَاهرون) بالتخفيف.
٢. قرأ الباقون (تظَّاهرون) بالتشديد.[٣٤٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل المظاهرة المعاونة، مشتقة من الظهر، لأن بعضهم يقوي بعضا فيكون له كالظهر.[٣٤٣]

٣٤١ - جامع البيان ج١ ص٣٩١ باختصار.
٣٤٢ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.
٣٤٣ - فتح القدير ج١ ص١٤٠.

التفسير:

تتحدث الآيات عما كان عليه اليهود في زمان الرسول-ﷺ-لم من نقض للعهود والمواثيق المأخوذة على أسلافهم بأن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا وأعان بعضهم غير اليهود في قتل إخوانهم من اليهود وإخراجهم من ديارهم إثماً وعدواناً.[344]

قال القرطبي: «الإثم هو الفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم. والعدوان: الإفراط في الظلم والتجاوز فيه.»[345]

فإذا وقع بعضهم في الأسر قاموا بفدائه استجابة لحكم التوراة تفريقا بين أوامر الله، فكانت العاقبة أن توعدهم الله بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد يوم القيامة.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء في توجيه القراءتين إلى أنهما من باب الاختلاف في أداء الألفاظ.

قال الطبرسي: "من قرأ تظَاهرون بالتخفيف فالأصل فيه تتظاهرون فحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين، ومن قرأ تظّاهرون بالتشديد فالأصل فيه أيضا تتظاهرون فأدغم التاء في الظاء لقرب المخرجين، وكل واحد من الفريقين كره اجتماع الأمثال ففريق خفف بالإدغام، وفريق بالحذف.[346] وقال الطبري: «وهاتان القراءتان وإن اختلفت ألفاظهما فإنهما متفقتان في المعنى، فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لأنهما جميعا لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في أمصار الإسلام بمعنى واحد ليس

٣٤٤ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص١٧٠-١٧١.

٣٤٥ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢٠.

٣٤٦ - مجمع البيان ج١ ص٢٢٦.

في إحداهما معنى تستحق به اختيارها على الأخرى إلا أن يختار مختار تظَّاهرون المشددة طلبا منه تتمة الكلمة.»[٣٤٧]

والصحيح أن قراءة التشديد (تظَّاهرون) أفادت المبالغة في التظاهر عن قراءة التخفيف (تظَاهرون) والحرص الشديد من قبل اليهود على نقض العهود وقتل إخوانهم اليهود، كما قال- ﷻ -(بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) الحشر ١٤ ، وقال تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة ١٠٠ ، باعتبار أن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى.

وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

القراءات:

١. قرأ حمزة (أَسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف (تَفْدوهم) بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف.
٢. قرأ المدنيان وعاصم والكسائي ويعقوب (أُسَارى) بضم الهمزة وألف بعد السين (تُفادوهم) بضم التاء وألف بعد الفاء.
٣. قرأ الباقون (أُسَارى تفدوهم).[٣٤٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

الأسر: الشد بالقيد ...وسمي الأسير بذلك، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدودا ذلك. وقيل في جمعه: أَسارى وأُسارى وأَسْرى.[٣٤٩]

قال ابن منظور: «ومن قرأ أَسارى وأُسارى فهو جمع الجمع، يقال أسير

٣٤٧ – جامع البيان ج١ ص٣٩٨.
٣٤٨ – انظر النشر ج٢ ص٢١٨.
٣٤٩ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦ .

وأسرى ثم أَسارى جمع الجمع.»[٣٥٠] والفِدى والفداء: حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه، قال تعالى (فإما منا بعد وإما فداء) محمد ٤ ، ويقال: فديته بمال، وفديته بنفسي، وفاديته بكذا.[٣٥١]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تناقض اليهود من حيث أخذهم بحكم التوراة في فداء الأسرى في حين يخالفونها في إباحة قتل بعضهم بعضا، وإخراج بعضهم بعضا.

"(وإن يأتوكم أسَارى تفادوهم) أي وإن وقعوا في أيدي حلفائكم، استنقذتموهم بدفع المال لتخليصهم من الأسر (وهو محرم عليكم إخراجهم) أي وإخراجهم من أوطانهم حرام عليكم، فكيف تستبيحون القتل والإخراج، ولا تستبيحون ترك الأسرى في أيدي الأعداء."[٣٥٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب البعض إلى أن قراءة (أَسْرى، أُسَارى) كل منهما جمع لكلمة أسير، كما قاله صاحب المفردات، وكما نقله القرطبي عن ابن فارس (يُقال في جمع أسير أسرى وأسارى وقرئ بهما)[٣٥٣]، إلا أننا نجد أن بعض العلماء كابن منظور في اللسان يرى أن أُسارى تفيد جمع الجمع. وعليه فإن قراءة (أسارى) تفيد المبالغة في فداء الأسرى وإن كثروا.

وأما بالنسبة لقراءة (تفادوهم، تفدوهم) فإن قراءة تفادوهم تفيد المبالغة والحرص على الفداء إن فدى الآخرون أسراهم. قال الطبرسي: «ومن قرأ تفادوهم فلأن لكل واحد من الفريقين فعلا، فمن الآسر دفع الأسير، ومن

٣٥٠ – انظر لسان العرب ج١ ص٧٨.

٣٥١ – انظر المصدر السابق ص٦٢٧.

٣٥٢ – المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١١٩.

٣٥٣ – الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢١.

المأسور منهم دفع دائه.»[٣٥٤] وقال الطاهر بن عاشور: «(تفادوهم) بصيغة المفاعلة المستعملة في الفداء أي تفدوهم فداءً حريصاً.»[٣٥٥]

وأما قراءة (تفدوهم) فتفيد أن على اليهود فداء أسراهم عند غيرهم وإن لم يفد الآخرون أسراهم، قلوا أو كثروا. قال ابن زنجلة: «..وقرأ الباقون (تفدوهم) أي تشتروهم من العدو وحجتهم في ذلك أن في دين اليهود ألا يكون أسير من أهل ملتهم في إسار غيرهم وأن عليهم أن يفدوهم بكل حال وإن لم يفدهم القوم الآخرون كما قال ابن عباس.»[٣٥٦] وقال الإمام الطبري: «وهذه القراءة أعجب إلي من الأولى[٣٥٧] أعني أسرى تفادوهم لأن الذي على اليهود في دينهم فداء أسراهم بكل حال فدى الآسرون أسراهم منهم أم لم يفدوهم.»[٣٥٨]

وبالجمع بين القراءات يتبين لنا قبح ما ارتكبه اليهود وشناعة ما فعلوه؛ إذ نراهم يحرصون كل الحرص على فكاك أسراهم بلغوا ما بلغوا، حتى ولو لم يفد الآخرون أسراهم، وفي حين يقتل بعضهم بعضا، فيفرقون بين نصوص توراتهم، فيأخذون بعضاً ويتركون بعضاً، وهذا تلاعب بدين الله -عز وجل-.

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)البقرة

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير ويعقوب وخلف وأبو بكر (يعملون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تعملون) بالخطاب.[٣٥٩]

٣٥٤ – مجمع البيان ج١ ص٢٢٦.
٣٥٥ – تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٥٩٠-٥٩١.
٣٥٦ – حجة القراءات ص١٠٤.
٣٥٧ هذه العبارة غير جائزة منه رحمه الله، وقد سبق التعرض لمثلها في السابق.
٣٥٨ – جامع البيان ج١ ص٤٠٠.
٣٥٩ – انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية باستخدام أسلوب الالتفات في الخطاب.

فعلى قراءة (يعملون) ففيها التفات من الخطاب إلى الغيب القصد منه التحقير لهم بعدم مواجهتهم بالخطاب.

وأما قراءة الخطاب (تعملون) ففيها التهديد والوعيد لبني إسرائيل المعاصرين للرسول- ﷺ - بسبب مخالفتهم لأوامر الله وما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بحيث واجههم بالخطاب.

قال الدكتور/ فضل حسن عباس: "أسلوب الغيبة يدل على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكن أسلوب الخطاب فيه نظر إلى جهة أخرى وهو توجيه التهديد توجيها مباشراً لهم."[٣٦٠]

١٦- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦

القراءات:

١. قرأ يعقوب (تَعملون) بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (يَعملون) بالغيب.[٣٦١]

التفسير:

يبين المولى- ﷻ -في هذه الآية مدى حرص اليهود والمشركين على الحياة أي حياة ولو كانت حياة ذل ومهانة ولهذا نكر الحياة لبيان حقارتها، ومع

٣٦٠ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨-٢٩.

٣٦١ - انظر النشر ج٢ ص٢١٩.

هذا فالموت لهم بالمرصاد مهما عمروا في هذه الحياة الدنيا.

قال الطبري: "يا محمد لتجدن أشد الناس حرصا على الحياة في الدنيا وأشدهم كراهة للموت اليهود، وإنما وصف الله -عز وجل- اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقر به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث؛ لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب وأن المشركين لا يصدقون بالبعث ولا العقاب فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت.(٣٦٢)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية من خلال استخدام أسلوب الالتفات من الغيب إلى الخطاب بقصد التهديد والوعيد للمخاطبين. وقد تقدم الحديث عن مثلها.(٣٦٣)

١٧- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ البقرة: ١٠٢

٣٦٢ - جامع البيان ج١ ص٤٢٨ باختصار.

٣٦٣ - راجع مبحث الأثر البلاغي للقراءات من هذا البحث ص٥٠، وانظر ص٩٢.

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف النون من (ولكنِ) ورفع الاسم بعدها (الشياطينُ).

٢. قرأ الباقون بالتشديد والنصب (ولكنَّ الشياطينَ).[٣٦٤]

التفسير:

يعني بقوله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه وذلك هو الخسار والضلال المبين، واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)، فقال بعضهم عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله لأنهم خاصموا رسول الله-ﷺ- بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة تأمره من اتباع محمد وتصديقه بمثل الذي يأمر به القرآن فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان، وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان.[٣٦٥]وقال الشيخ السعدي في تفسيره: «لما كان من العوائد القديمة والحكمة الإلاهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمان ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجائه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله

٣٦٤ - انظر النشر ج٢ ص٢١٩.

٣٦٥ - انظر جامع البيان ج١ ص٤٤٤ — ٤٤٥.

في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان-عليه السلام-كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم، وهم كذبة في ذلك فلم يستعمله سليمان-عليه السلام-بل نزهه الصادق في قيله (وما كفر سليمان) أي بتعلم السحر، فلم يتعلمه (ولكن الشياطين كفروا) بذلك.»[٣٦٦]

ثم تتحدث الآية عن فتنة الملكين الذين نزلا بالسحر لتعليمه للناس فتنة لهم وحتى لا يغتر به أحد. قال الزمخشري: «والذي أنزل عليهما هو السحر ابتلاء من الله للناس. مَن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا، ومَن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه، ولئلا يغتر به كان مؤمنا.»[٣٦٧] ثم بين تعالى أن السحر لا يقع ضرره إلا بإذن الله، وأن من استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله فليس له في الآخرة من نصيب.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد التأكيد على عصمة سليمان- عليه السلام -والمبالغة في نفي ما نسب إليه من السحر كما زعمه اليهود عليهم من الله ما يستحقون من اللعنات.

فبالنسبة لقراءة (ولكنِ الشياطينُ) على تخفيف النون ورفع الشياطين على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط. وأما قراءة التشديد مع النصب (لكنَّ الشياطينَ) فهي تفيد مع الاستدراك التأكيد على نفي السابق

٣٦٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق - ص٦٠-٦١ باختصار - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٢١هـ.

٣٦٧ - تفسير الكشاف ج١ ص١٧٢.

وإثبات اللاحق والمبالغة في الأمر. قال القرطبي: " (لكن) كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل."[٣٦٨] وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (لكنَّ) أنه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لكنَّ) لأنها من أخوات إنَّ فشددها على أصلها، وحاول في ذلك معنى التأكيد، الذي فيه معنى الاستدراك.»[٣٦٩]

١٨- ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر من غير طريق الداجواني[٣٧٠] عن هشام (ما نُنْسِخ) بضم النون الأولى وكسر السين.
٢. قرأ الباقون بفتح النون والسين (ما نَنْسَخ).
٣. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نَنْسَأها) بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء.
٤. قرأ الباقون (نُنْسِها) بضم النون وكسر السين من غير همز.[٣٧١]

المعنى اللغوي للقراءات:

النَّسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس بالظل، والظل بالشمس، والشيب بالشباب. فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران، ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه.[٣٧٢]

٣٦٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٣.
٣٦٩ - الكشف ج١ ص٢٥٧.
٣٧٠ - محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان، أبو بكر الضرير الرملي، من رملة لد، يعف بالداجواني الكبير، إمام كامل ناقل رحال مشهور ثقة، صنف كتابا في القراءات، توفي سنة ٣٢٤هـ ﴿انظر غاية النهاية ج٢ ص٧٧﴾.
٣٧١ - انظر النشر ج٢ ص٢١٩-٢٢٠.
٣٧٢ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٠١.

النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه ؛ وإما عن غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره ...وقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها) فإنسائها حذف ذكرها عن القلوب بقوة إلاهية.[٣٧٣]

التفسير:

مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أن اليهود اعتذروا عن الإيمان بالنبي -ﷺ- بقولهم (نؤمن بما أنزل علينا) وأرادوا به أنهم يكفرون بغيره وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تنسخ ويقولون إن محمداً وصف التوراة بأنها حق وأنه جاء مصدقاً لها فكيف يكون شرعه مبطل للتوراة ويموهون على الناس ...فجاءت هذه الآية لنقض تلك الشبهة التي راموا ترويجها على الناس.[٣٧٤]

أما معنى الآية فقد قال ابن الجوزي[٣٧٥]:« وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال:

أحدها : رفع اللفظ والحكم.

والثاني: تبديل الآية بغيرها رويا عن ابن عباس.

والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود ... (أو نَنْسأها) نؤخرها ... (أو نُنْسِها) من النسيان. (نأت بخير منها) قال ابن عباس: بألين منها وأيسر على الناس (أو مثلها) أي في الثواب والمنفعة فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختبار. (ألم تعلم) لفظه لفظ الاستفهام ومعناه التوقيف والتقرير، والملك في اللغة تمام القدرة واستحكامها فالله

---

٣٧٣ – انظر المصدر السابق ص١٠٣-١٠٤.

٣٧٤ – تفسير التنوير والتحرير ج١ ص٦٥٤-٦٥٥ باختصار.

٣٧٥ – عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي أبو فرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التميمي البغدادي الحنبلي، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف، وتفرد بفن الوعظ، توفي سنة ٥٩٧ هـ ﴿انظر البداية والنهاية ج١٣ ص٣١﴾.

عز وجل يحكم بما يشاء على عباده ويغير ما يشاء من أحكام.»[٣٧٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (ما نَنْسَخ) و (ما نُنْسِخ) فذهب البعض أنهما لغتان بمعنى واحد.

قال الطبرسي: «أما قراءة ابن عامر نُنْسِخ فلا يخلو من أن يكون أفعل لغة في فَعَلَ، نحو بدأ وأبدأ، وحل من إحرامه وأحل، أو تكون الهمزة للنقل نحو ضرب وأضربته ونسخ الكتاب وأنسخته الكتاب، أو يكون المعنى في أنسخت الآية وجدتها منسوخة كقولهم أحمدت زيدا وأبخلت، والوجه الصحيح هو الأول وهو أن يكون نسخ وأنسخ لغتين متفقتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.»[٣٧٧] وقال الألوسي: «وقرأ طائفة وابن عامر من السبعة (نُنسِخ) من باب الأفعال، والهمزة كما قال أبو علي الفارسي للوجدان على صفة نحو أحمدته أي: وجدته محمودا. فالمعنى ما نجده منسوخا وليس نجده كذلك إلا بأن ننسخه فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ وجوز ابن عطية كون الهمزة للتعدية فالفعل حينئذ متعد إلى مفعولين والتقدير: ما ننسخك من آية أي ما نبيح لك نسخه كأنه لما نسخها الله تعالى أباح لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تركها بذلك النسخ فسمى تلك الإباحة إنساخا، وجعل بعضهم الإنساخ عبارة عن الأمر بالنسخ والمأمور هو النبي- ﷺ -أو جبرائيل عليه السلام واحتمال أن يكون من نسخ الكتاب أي ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله.»[٣٧٨]

---

٣٧٦ - زاد المسير في علم التفسير - أبي الفرج جمال الدين الجوزي: خرج أياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين - ج١ ص١١٠ بتصرف - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٤هـ، وحيث يأتي سأكتفي بقولي: زاد المسير.

٣٧٧ - مجمع البيان ج١ ص٢٦٤.

٣٧٨ - روح المعاني ج١ ص٣٥٢.

وأما بالنسبة لقراءتي (نَنْسَأها) و(نُنْسِها) فمختلفتان في الأصل اللغوي لكل منهما.

قال الطبرسي: «وأما نَنْسَأها فهي من النساء وهو التأخير يقال نسأت الإبل عن الحوض أنسأها نَسْأً إذا أخرتها عنه وانتسأت أنا أي تأخرت ومنه قولهم أنسأ الله أجلك ونسأ في أجلك، وأما القراءة الأخرى فمن النسيان الذي بمعنى السهو أو بمعنى الترك.»[٣٧٩] ومع هذا فإنهما تتفقان في معنى الترك والنسيان أي رفع الحكم بغير بدل. قال الطاهر بن عاشور: «فعلى قراءة ترك الهمز: فهو من النسيان والهمزة للتعدية ومفعوله محذوف للعموم أي ننسي الناس إياها وذلك بأمر النبي-ﷺ-بترك قراءتها حتى ينساها المسلمون.

وعلى قراءة الهمز: فالمعنى أو نؤخرها، أي نؤخر تلاوتها أو نؤخر العمل بها، والمراد إبطال العمل بقراءتها أو بحكمها فكني عنه بالنسئ وهو قسم آخر مقابل للنسخ وهو أن لا يذكر الرسول الناس بالعمل بحكم مشروع ولا يأمر من يتركه بقضائه حتى ينسى الناس العمل به فيكون ذلك إبطالا للحكم لأنه لو كان قائما لما سكت الرسول-ﷺ-عن إعادة الأمر به ولما أقر تاركه عند موجب العمل به.»[٣٨٠]

١٩- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ البقرة: ١١٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (قالوا) بغير واو، وكذا هو في المصحف الشامي.

٣٧٩ - مجمع البيان ج١ ص٢٦٤.

٣٨٠ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٦٥٨-٦٥٩.

٢. قرأ الباقون (وقالوا) بالواو كما هو في مصاحفهم.[٣٨١]

التفسير:

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى (سبحانه) أي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا (بل له ما في السماوات والأرض) أي ليس الأمر كما افتروا وإنما له ملك السماوات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له... (كل له قانتون) قال عكرمة وأبو مالك مقرون له بالعبودية.[٣٨٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لاختلاف القراءات في إثبات الواو، أو حذفها أثر معنوي ونحوي من حيث جواز عطف جملة على جملة من غير الإتيان بحرف العطف استغناء بالترابط المعنوي بين الجملتين، مع ما يفيده إعادة حرف العطف من تأكيد في الربط.

فلقد أفادت قراءة (وقالوا) بإعادة حرف العطف (الواو) التأكيد على الربط بين الجملتين، في حين أن قراءة (قالوا) بغير (واو) أفادت جواز العطف من غير الإتيان بحرف العطف استغناء بالترابط المعنوي بين الجملتين.

قال أبو حيان: «والجمهور على قراءة (وقالوا) بالواو، وهو آكد في الربط، فيكون عطف جملة خبرية على جملة مثلها...وقرأ ابن عباس وابن عامر وغيرهما (قالوا) بغير واو ويكون على استئناف الكلام، أو ملحوظا فيه

٣٨١ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٠.

٣٨٢ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٢٢١-٢٢٢.

معنى العطف، واكتفى بالضمير والربط به عن الربط بالواو.»[٣٨٣]

وقال الدكتور/ فضل حسن عباس: «إن لوجود الواو وحذفها أسرار بيانية لا يسعنا الحديث عنها الآن. إن حذف الواو قد يكون ناشئا عن سؤال مقدر في جملة سابقة فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدر خالية من الواو، وهذا ما يعبرون عنه بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافا، وقد يكون ناشئا عن تغاير بين الكلام السابق والذي يليه، وهو ما يسمونه كمال الانقطاع. فقوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا) جاء قبلها قوله سبحانه (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) واختلف المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة، فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في بعض النصارى الذين خربوا بيت المقدس، وآخرون إلى أنها نزلت في أهل مكة، والآية محتملة لذلك كله ولغيره كذلك. وعلى هذا فيمكن أن تشير كل من القراءتين في الآية الكريمة إلى معنى، فالقراءة بحرف العطف فيها تعداد لجرائم أولئك الأقوام التي بدأت بقوله سبحانه (وقالوا لن يدخل الجنة..) ثم قال: (وقالت اليهود ليست النصارى.. وقالت النصارى ليست اليهود) ثم قال: (وقالوا اتخذ الله ولدا) وبعدها (وقال الذين لا يعلمون..)... وعلى هذا يكون قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) اعتراضا بين المعطوف (وقالوا اتخذ الله ولدا) والمعطوف عليه (وقالوا لن يدخل الجنة) ونرجح حينذاك أن يكون المقصود بالمانعين مشركي العرب.

وأما القراءة بحذف حرف العطف ففيها إشارة إلى تقبيح قولهم هذا كأنما غيره لا يعد شيئا إذا قيس به، فهو أفظع من سابقه وأشد وأنكى، فبعد أن أخبر القرآن الكريم عن بعض مفترياتهم وشرك بينها بالواو ذكر هذه

٣٨٣ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٥٣٢.

الفرية بدون واو، فكأنه قيل: هل هناك شيء آخر اقترفه أولئك؟ فقيل إن هنالك ما هو أعظم من كل ما تقدم وأكثر استحقاقا للمقت والعذاب، وأعظم إيغالا في الكفر قالوا اتخذ الله ولدا، جل الله عن ذلك. وعلى هذه نرجح أن المقصود بالمانعين هم أهل الكتاب.»[٣٨٤]

٢٠- ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ البقرة: ١١٧

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (فيكونَ) بنصب النون.
٢. قرأ الباقون (فيكونُ) بالرفع.[٣٨٥]

التفسير:

هذه حجة ثانية لإبطال مقالة اليهود والنصارى ومشركي العرب في دعوى البنوة لله تعالى. قال ابن جرير الطبري: "فمعنى الكلام سبحان الله أن يكون له ولد وهو مالك ما في السماوات والأرض، تشهد له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة ؛ وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده، أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله- عز وجل-بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض من غير أصل، وعلى غير مثال، هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته ... وأما قوله (فإنما يقول له كن فيكون) فإنه يعني بذلك وإذا أحكم أمرا فحتمه فإنما يقول لذلك

٣٨٤ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٤-٣٥.
٣٨٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٠.

الأمر كن فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله أن يكون وأراده."[٣٨٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن لاختلاف القراءات (فيكونَ) و (فيكونُ) أثر كبير على المعنى من الناحية العقدية من حيث بيان أن الأمر الإلهي لا يحتاج إلى مهلة لتحقيقه بل يتحقق بمجرد توجه الإرادة الإلهية إليه بحيث يعامل معاملة الخبر. وبيان ذلك أن قراءة (فيكونَ) توحي بأن الأمر في قوله (كن) حقيقي يحتاج إلى جواب. ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور (فيكونُ) يتحقق لدينا أن الأمر ليس حقيقيا، بل هو أمر في صورة الخبر. قال الطاهر ابن عاشور: « (كان) في الآية تامة لا تطلب خبرا أي يقول له إيجد فيوجد والظاهر أن القول والمقول والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما بأن شبه فعل الله تعالى بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة توجه الآمر للمأمور بكلمة الأمر وحصول امتثاله عقب ذلك لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بها في الأمور التي لا تتسع اللغة للتعبير عنها وإلى نحو هذا مال صاحب الكشاف.»[٣٨٧]

وقال القرطبي: « (فيكونُ) قُرِء برفع النون على الاستئناف. قال سيبويه: فهو يكون أو فإنه يكون. وقال غيره: هو معطوف على يقول. فعلى الأول كائنا بعد الأمر وإن كان معدوما فانه بمنزلة الموجود إذ هو عنده معلوم على ما يأتي بيانه وعلى الثاني كائنا مع الأمر.»[٣٨٨] وقال أبو حيان: «ووجه النصب أنه جواب على لفظ كن، لأنه جاء بلفظ الأمر فشبه بالأمر

٣٨٦ - جامع البيان ج١ ص٥٠٨-٥٠٩ باختصار.

٣٨٧ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٦٨٧-٦٨٨.

٣٨٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٩٠.

الحقيقي ولا يصح نصبه على جواب الأمر الحقيقي، لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجزاء نحو ائتني فأكرمك إذ المعنى إن تأتني أكرمك، وهنا لا ينتظم ذلك إذ يصير المعنى إن يكن يكن، فلا بد من اختلاف بين الشرط والجزاء، إما بالنسبة إلى الفاعل، وإما بالنسبة إلى الفعل في نفسه، أو في شيء من متعلقاته.»[٣٨٩]

وقال الإمام الطبري: «وإذا كان الأمر في قوله جل ثناؤه (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود المأمور بالوجود فتبين بذلك أن الذي هو أولى بقوله (فيكون) رفع على العطف على قوله يقول لأن القول والكون حالهما واحد، وهو نظير قول القائل: تاب فلان فاهتدى واهتدى فلان فتاب ؛ لأنه لا يكون تائبا إلا وهو مهتد ولا مهتديا إلا وهو تائب. فكذلك لا يمكن أن يكون الله آمرا شيئا بالوجود إلا وهو موجود ولا موجودا إلا وهو آمره بالوجود ولذلك استجاز من استجاز نصب، فيكون من قرأ (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن يقول له كن فيكون) بالمعنى الذي وصفنا على معنى أن نقول فيكون. وأما رفع من رفع ذلك فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله (إذا أردناه أن نقول له كن) إذ كان معلوما أن الله إذا حتم قضاءه على شيء كان المحتوم عليه موجودا، ثم ابتدأ بقوله فيكون كما قال جل ثناؤه (لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء) الحج ٥ .[٣٩٠]

٢١- ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ البقرة: ١١٩

٣٨٩ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٥٣٦.

٣٩٠ - جامع البيان ج١ ص٥١١.

القراءات:

١. قرأ نافع ويعقوب (ولا تَسألْ) بفتح الفاء وجزم اللام على النهي.

٢. قرأ الباقون بضم التاء والرفع على الخبر (ولا تُسألُ)[٣٩١]

المعنى اللغوي للقراءات:

السؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال، والسؤال للمعرفة تارة يكون للاستعلام، وتارة للتبكيت، وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليُخبَر ويُعلَم.[٣٩٢]

التفسير:

يبين المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة تأييده لنبيه صلى الله عيه وسلم بالحجج والبراهين وبعثه بالحق بشيرا ونذيرا.

"(إنَّا أرسلناك بالحق) ملتبسا ومؤيدا به، وفُسِّر الحق بالقرآن، وبالإسلام، وبقاؤه على عمومه أولى، والمعنى: نحن يا محمد أرسلناك بالشريعة النيرة، والدين القويم، وبالهدي الساطع، والحق المبين (بشيرا ونذيرا) أي تبشر المؤمنين بجنات النعيم، وتنذر الكافرين بعذاب الجحيم، وأكثر ما يستعمل الإنذار في التخويف، والبشارة بالخبر السار (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أي ولست يا محمد مسؤولا عن أصحاب النار إن لم يؤمنوا، بعد أن أديت الأمانة، وبلغت الرسالة .[٣٩٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (ولا تُسألُ) أن النبي- ﷺ -غير مسؤول عن كفر من كفر من أصحاب النار، كما قال تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء) الأنعام

٣٩١ - انظر النشر ج٢ ص٢٢١.

٣٩٢ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص.٤٣٧.

٣٩٣ - المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١٤٧.

٥٢، وكما قال تعالى (فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم)النور٥٤ .
وأما قراءة (ولا تَسألْ) ففيه نهي النبي-ﷺ-عن السؤال عن أحوالهم وما ينتظرهم.
قال مكي بن أبي طالب: "(ولا تَسألْ) قرأه نافع بفتح التاء والجزم، على النهي من السؤال عن ذلك. وفي النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي: لا تَسأل يا محمد عنهم، فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد. وقرأه الباقون بضم التاء، والرفع على النفي والعطف على (بشيرا ونذيرا) فهو في موضع الحال تقديره: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا، وغير سائل عن أصحاب الجحيم. ويجوز أن يرفع على الاستئناف.[٣٩٤]
قال الإمام الطبري: «قرأت عامة القراء (ولا تُسأَلُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وإنما عليك البلاغ والإنذار ولست مسئولا عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزما بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا لتَسأل عن أصحاب الجحيم فلا تَسأل عن حالهم.»[٣٩٥]
وبالجمع بين القراءتين: يظهر لنا أن رسالة النبي-ﷺ -قاصرة على البشارة والنذارة وأنه ليس فقط غير مسؤول عن أصحاب الجحيم بل منهي عن السؤال عن أحوالهم، كما ورد في بعض الأحاديث من نهي النبي عن السؤال

٣٩٤ - الكشف ج١ ص٢٦٢ باختصار.
٣٩٥ - جامع البيان ج١ ص٥١٥.

عن أحوال أبويه، ولم يثبت منها شيء، أو يكون في النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي لا تَسألْ يا محمد-ﷺ -عنهم فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد. قال تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) المائدة ٩٩، وقال تعالى (ليس عليك هداهم) البقرة ٢٧٢.

٢٢-﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر (واتخَذوا) بفتح الخاء على الخبر.
٢. قرأ الباقون بكسرها على الأمر(واتخِذوا)[٣٩٦]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قصة بناء الكعبة وما حباها الله من تكريم وما شرعه من مناسك. قال ابن كثير في سبب نزول الآية "وقال البخاري باب قوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) مثابة يثوبون يرجعون حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله-ﷺ-لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).[٣٩٧]

٣٩٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٢.

٣٩٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٣٣. الحديث رواه البخاري كما في فتح الباري – ج٨ ص١٦٨ - كتاب التفسير – باب٩ قوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) – رقم الحديث ٤٤٨٣.

وقال النسفي في تفسير الآية: «(وإذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه (وأمنا) وموضع أمن، فان الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه، وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام إبراهيم (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أمرناهما(أن طهرا بيتي) بفتح الياء مدني وحفص أي: بأن طهرا أو أي طهرا، والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها(للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين) المجورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمعا راكع وساجد.»[398]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الفتح (واتخَذوا) بفتح الخاء أنه إخبار عما كان عليه الناس من أتباع إبراهيم عليه السلام قبل الإسلام من اتخاذ المقام كمصلى لهم. في حين أن قراءة (واتخِذوا) بكسر الخاء فتبين أنه أمر من الله لهذه الأمة باتخاذ مقام إبراهيم مصلى.

قال ابن زنجلة: "قرأ ابن عامر ونافع (واتخَذوا من مقام إبراهيم) بفتح الخاء وحجتهما أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم صلى الله عليهم أنهم اتخذوا مقام إبراهيم مصلى وهو مردود إلى قوله (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

---

٣٩٨ – تفسير النسفي ج١ ص٧٣-٧٤.

وقرأ الباقون (واتخِذوا) بكسر الخاء وحجتهم في ذلك ما روي في التفسير أن النبي-ﷺ-أخذ بيد عمر فلما أتى على المقام قال له عمر هذا مقام أبينا إبراهيم-ﷺ-قال: نعم قال أفلا نتخذه مصلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) يقول وافعلوا.[٣٩٩]

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: اتخذوا مقام إبراهيم مصلى كما اتخذه أتباع إبراهيم عليه السلام. قال صاحب التحرير والتنوير: «والقراءتان تقتضيان أن اتخاذ مقام إبراهيم مصلى كان من عهد إبراهيم عليه السلام.»[٤٠٠]

٢٣- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ البقرة: ١٢٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (فأَمْتِعه) بتخفيف التاء.
٢. قرأ الباقون (فأُمَتِّعُه) بالتشديد.[٤٠١]

المعنى اللغوي للقراءات:

المتاع: انتفاع ممتد الوقت، يقال: متَّعه الله بكذا، وأمتعه ؛ وتمتع به ...وكل موضع ذكر فيه تمتعوا في الدنيا فعلى طريق التهديد، وذلك لما فيه من معنى التوسع.[٤٠٢]

---

٣٩٩ – حجة القراءات ج١ ص١١٣.
٤٠٠ – تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٧١١.
٤٠١ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٢.
٤٠٢ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٥٧.

التفسير:

ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره مناسبة الآية بما قبلها حيث قال: "عطف على (وإذ جعلنا البيت مثابة) لإفادة منقبة ثالثة لإبراهيم- عليه السلام -في استجابة دعوته بفضل مكة والنعمة على ساكنيها إذا شكروا، وتنبيه ثالث لمشركي مكة يومئذ ليتذكروا دعوة أبيهم إبراهيم المشعرة بحرصه على إيمانهم بالله واليوم الآخر.[٤٠٣]

وقال الصابوني في تفسيره: «(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) أي اجعل هذا المكان والمراد مكة المكرمة بلدا ذا أمن يكون أهله في أمن واستقرار (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) أي وارزق يا رب المؤمنين من أهله وسكانه من أنواع الثمرات ليقبلوا على طاعتك ويتفرغوا لعبادتك وخص بدعوته المؤمنين فقط. قال تعالى جوابا له: (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) أي قال الله وأرزق من كفر أيضا كما أرزق المؤمن، أأخلق خلقا ثم لا أرزقهم ؟ أما الكافر فأمتعه في الدنيا متاعا قليلا وذلك مدة حياته فيها (ثم أضطره إلى عذاب النار) أي ثم ألجئه في الآخرة وأسوقه إلى عذاب النار فلا يجد عنها محيصا (وبئس المصير) أي وبئس المآل والمرجع للكافر أن يكون مأواه نار جهنم. قاس الخليل الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أن الرزق رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة فإنها خاصة بالخواص من المؤمنين.»[٤٠٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في صاحب القول في قوله تعالى (قال ومن كفر ...) على قولين بحسب اختلاف القراءات في قوله (فأمتعه).

٤٠٣ - تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٧١٣.

٤٠٤ - صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني: ج١ ص٩٤ - دار القرآن الكريم - بيروت - ط٢ - سنة ١٤٠١ هـ.

قال القرطبي في تفسيره: "واختلف هل هذا القول من الله تعالى أو من إبراهيم عليه السلام فقال أبي بن كعب وغيره هو من الله تعالى وقرءوا (فأُمَتِّعُهُ) بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التاء (ثم أَضطرُّه) بقطع الألف وضم الراء وكذلك القراء السبعة خلا ابن عامر فإنه سكن الميم وخفف التاء ... وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة هذا القول من إبراهيم- عليه السلام -وقرءوا (فأَمْتِعْه) بفتح الهمزة وسكون الميم (ثم اضطرَّه) بوصل الألف وفتح الراء فكأن إبراهيم- عليه السلام -دعا للمؤمنين وعلى الكافرين وعليه فيكون الضمير في قال لإبراهيم وأعيد قال لطول الكلام أو لخروجه من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين."[405]

وقال الطبري: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا والتأويل ما قاله أبي بن كعب وقراءته لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك وشذوذ ما خالفه من القراءة[406] وغير جائز الاعتراض بمن كان جائزا عليه في نقله الخطأ والسهو على من كان ذلك غير جائز عليه في نقله. وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: قال الله يا إبراهيم قد أجبت دعوتك ورزقت مؤمني أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم متاعا لهم إلى بلوغ آجالهم ثم أضطر كفارهم بعد ذلك إلى النار. وأما قوله (فأمتعه قليلا) يعني فأجعل ما أرزقه من ذلك في حياته متاعا يتمتع به إلى وقت مماته وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأن الله تعالى ذكره إنما قال ذلك لإبراهيم جوابا لمسألته ما سأل من رزق الثمرات لمؤمني أهل مكة فكان معلوما بذلك أن الجواب إنما هو فيما سأله إبراهيم لا في غيره.»[407]

٤٠٥ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١١٩ باختصار.

٤٠٦ - يقصد بذلك قراءة ﴿ثم اضطرَّه﴾ بوصل الألف وفتح الراء وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر.

٤٠٧ - جامع البيان ج١ ص٥٤٥.

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن قراءة الجمهور بالتشديد قد فسَّرت المقصود من قراءة التخفيف وأن قائل (ومن كفر فأمتعه ...) هو الله- عَزَّ وَجَلَّ - مع ما تفيده قراءة التشديد من معنى تكرير الفعل.

٢٤- ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ البقرة: ١٣٢

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر (وأوصى) بهمزة مفتوحة صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف الصاد، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام.
٢. قرأ الباقون (ووصَّى) بتشديد الصاد من غير همز بين الواوين وكذلك هو في مصاحفهم.(٤٠٨)

المعنى اللغوي للقراءات:

أوصاه ووصاه توصية: عهد إليه.(٤٠٩)

والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ، من قولهم أرض واصية: متصلة النبات، ويقال أوصاه ووصاه.(٤١٠)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن وصية كل من إبراهيم ويعقوب -عليهما السلام- لأبنائهم باتباع ملة الإسلام والثبات عليها حتى الممات.

"(ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) أي وصَّى الخليل أبناءه باتباع ملة الإسلام، وكذلك وصَّى يعقوب بنيه بها أيضا، وإنما خص بنيه لأنهم كانوا

٤٠٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٢-٢٢٣.
٤٠٩ – انظر القاموس المحيط ج١ ص١٧٥٩.
٤١٠ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٣-٨٧٤.

أئمة يقتدى بهم. ثم فصل الوصية التي أوصى بها (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) أي أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان، وهو دين الإسلام (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) والمراد بالأمر الثبات على الإسلام.[٤١١]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان تتفقان في المعنى العام إلا أن قراءة التشديد (ووصّى) أبلغ في الوصية إذ تفيد الكثرة والتكرار في الفعل.

قال الطبري: "وقد قرأ جماعة من القراء (وأوصى بها إبراهيم) البقرة ١٣٢، بمعنى عهد. وأما من قرأ (ووصّى) مشددة فإنه يعني بذلك أنه عهد إليهم عهدا بعد عهد وأوصى وصية بعد وصية.[٤١٢] وقال ابن زنجلة: «وصّى أبلغ من أوصى لأن أوصى جائز أن يكون مرة، ووصّى لا يكون إلا مرات كثيرة.»[٤١٣] وقال مكي بن أبي طالب: «القراءتان متوافقتان، غير أن التشديد فيه معنى تكرير الفعل فكأنه أبلغ في المعنى.»[٤١٤]

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن إبراهيم ويعقوب- عليهما السلام -لم يكتفيا بالوصية لأبنائهم مرة واحدة، بل كررا ذلك مرة بعد أخرى لتأكيد الوصية ولترسخ في النفوس، وركزت على جانب واحد وهدف واحد وهو التمسك بالدين القويم. وهذا إن دل فإنما يدل على حرصهما الشديد على دعوة التوحيد. كما قال الله تعالى عن إبراهيم -عليه السلام- (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي) البقرة ١٢٤.

٤١١ - المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١٥٨-١٥٩بتصرف.

٤١٢ - جامع البيان ج١ ص٥٦١.

٤١٣ - حجة القراءات ص١١٥.

٤١٤ - الكشف ج١ ص١١٥.

٢٥- ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ البقرة: ١٤٠

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس (أم تَقولون) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (أم يقولون) بالغيب.[٤١٥]

التفسير:

ينكر المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة على أهل الكتاب مجادلتهم بالباطل في حقيقة ما كان عليه إبراهيم عليه السلام وبنيه، وما زعموا في حقهم من أنهم كانوا هودا أو نصارى وهو استمرار للإنكار السابق ومجادلتهم في الله بالباطل.

قال الصابوني في تفسيره للآية الكريمة: "(أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى) ؟ أي أم تدّعون يا معشر أهل الكتاب أن هؤلاء الرسل وأحفادهم كانوا هودا أو نصارى (قل ءأنتم أعلم أم الله) أي: هل أنتم أعلم بديانتهم من الله ؟ وقد شهد الله لهم بملة الإسلام وبرأهم من اليهودية والنصرانية (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي لا أحد أظلم ممن أخفى وكتم ما اشتملت عليه آيات التوراة والإنجيل من البشارة برسول الله، أو لا أحد أظلم ممن كتم ما أخبر الباري عنه من أن الأنبياء الكرام كانوا على الإسلام (وما الله بغافل عما تعملون) أي مطلع على أعمالهم ومجازيهم عليها وفيه وعيد شديد.[٤١٦]

---

٤١٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

٤١٦ - صفوة التفاسير ج١ ص٩٩-١٠٠ بتصرف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية من خلال استخدام أسلوب الالتفات في مخاطبة أهل الكتاب بقصد الإنكار. قال القاضي شهاب الدين الخفاجي في حاشيته[٤١٧]: «إن قرئ (أم يقولون) بياء الغيبة لا تكون أم إلا منقطعة للإضراب عن الخطاب في أتحاجوننا أي: بل أتقولون.. الخ وهو للإنكار بمعنى ما كان ينبغي ذلك. وإن قرئ بالخطاب فيجوز الإضراب والمعنى ما ذكر، ويجوز الاتصال والمراد أيهما يكون بمعنى أنه لا ينبغي ذلك وإلا فالعلم حاصل بثبوت الأمرين.»[٤١٨] وقال الطبرسي في توجيهه للقراءتين: «على قراءة الخطاب تكون أم متصلة بما قبلها من الاستفهام كأنه قال أتحاجوننا في الله أم تقولون: إن الأنبياء كانوا على دينكم، والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في أمرنا بالتوحيد فنحن موحدون أم باتباع دين الأنبياء فنحن لهم تبعون. وأما قراءة الياء (يقولون) فهي على العدول من الحجاج الأول إلى حجاج آخر فكأنه قال: بل تقولون: إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراة والإنجيل كانوا هودا أو نصارى، وتكون أم هذه هي المنقطعة فيكون قد أعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول: قد قامت عليه الحجة.»[٤١٩]

وبالجمع بين القراءات يتضح أنهم قد قالوا ذلك بالفعل كما قال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من

٤١٧ - شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، توفي سنة ١٠٦٩هـ ﴿الأعلام - خير الدين الزركلي ج١ ص٢٣٨ - دار العلم للملايين - ط٨ - سنة ١٩٨٩م﴾.

٤١٨ - حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي / للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: ضبطه عبد الرزاق المهدي - ج٢ ص٤٠٨-٤٠٩ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٧ هـ.

٤١٩ - مجمع البيان ج١ ص٣٢١.

بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) آل عمران ٦٥-٦٦ ، وادعوا أن الأنبياء المذكورين كانوا على ملتهم فاستحقوا أن يعرض الله عن مخاطبتهم لبشاعة جرمهم وشناعة موقفهم وافترائهم على الله، فاستخدم معهم أسلوب الالتفات كما ذهب إليه الطبرسي.

٢٦-﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ البقرة: ١٤٤

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وروح (تعملون) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (يعملون) بالغيب.[٤٢٠]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن موضوع تحويل القبلة وما أعقبه من شبهات وأباطيل أثارها اليهود، قال ابن كثير في سبب نزول الآية: "عن ابن عباس كان أول ما نسخ من القرآن القبلة

وذلك أن رسول الله -ﷺ- لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله -ﷺ- بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء) إلى قوله (فولوا

٤٢٠ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

وجوهكم شطره.)[٤٢١] وقال البيضاوي[٤٢٢] في تفسيره «(قد نرى تقلب وجهك في السماء) تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي، وكان رسول الله -ﷺ- يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان ولمخالفة اليهود؛ وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل (فلنولينك قبلة) فلنمكننك من استقبالها، أو فلنجعلنك تلي جهتها (ترضاها) تحبها وتتشوق إليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك) اصرف وجهك (شطر المسجد الحرام) نحوه، (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول بالخطاب تعظيما له وإيجابا لرغبته، ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لأمر القبلة (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) جملة لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم أنه-ﷺ -يصلي إلى القبلتين والضمير للتحويل أو التوجه (وما الله بغافل عما تعملون) وعد ووعيد للفريقين.[٤٢٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءة تتضمن وعد ووعيد. فعلى قراءة (يعملون) فإن الضمير يعود إلى الذين أوتوا الكتاب، فيكون تهديدا لهم لمخالفتهم وهذا يستلزم الوعد للمسلمين إن استجابوا بالأجر العظيم وعلى قراءة (تعملون) فالضمير يعود على المسلمين، وفيه وعد لهم إن امتثلوا أمر الله في تحويل القبلة

٤٢١ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٦٣.

٤٢٢ - عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، الإمام ناصر الدين أبو الخير البيضاوي - إماما في فقه الشافعية، له منهاج الأصول وشرحه، وشرح مختصر ابن الحاجب، توفي سنة ٦٩١هـ ﴿ انظر: طبقات المفسرين - أحمد الأدنروي - ص٢٥٤ - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - سنة ١٩٩٧م. وحاشية الشهاب على البيضاوي - ج١ ص٥ ﴾.

٤٢٣ - تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الإمام البيضاوي: ج١ ص٨٨ باختصار - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط٢ - سنة ١٣٨٨ هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البيضاوي.

وهذا يستلزم التهديد والوعيد لأهل الكتاب إن خالفوا أمر الله وأثاروا الشبهات وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: أن على المسلمين التمسك بأمر الله في تحويل القبلة لما فيه من الخير والأجر العظيم لهم، وعليهم أن لا يغتروا بما يثيره أعداء الإسلام من أهل الكتاب من شبهات حول تحويل القبلة فإن الله سيجازيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة.(٤٢٤)

قال الألوسي: «(وما الله بغافل عما يعملون) اعتراض بين الكلامين جيء به للوعد والوعيد للفريقين من أهل الكتاب الداخلين تحت العموم السابق المشار إليهما فيما سيجيء قريبا إن شاء الله تعالى وهما من كتم ومن لم يكتم، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (تعملون) بالتاء فهو وعد للمؤمنين. وقيل: على قراءة الخطاب وعد لهم، وعلى قراءة الغيبة وعيد لأهل الكتاب مطلقا وقيل: الضمير على القراءتين لجميع الناس فيكون وعدا ووعيدا لفريقين من المؤمنين والكافرين.»(٤٢٥)

٢٧- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ البقرة: ١٤٨

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (مُوَلاَّها) بفتح اللام وألف بعدها، أي مصروف إليها.
٢. قرأ الباقون (مُوَلِّيها) بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبلها.(٤٢٦)

المعنى اللغوي للقراءات:

تولى: إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية، وحصوله في أقرب المواضع

٤٢٤ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٣٤-٣٥.
٤٢٥ - روح المعاني ج٢ ص١٠.
٤٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

منه، يقال: وليت سمعي كذا، ووليت عيني كذا، ووليت وجهي كذا: أقبلت به عليه.[427]

وقال البغوي: «وليته ووليت إليه: إذا أقبلت إليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه.»[428]

التفسير:

"يقول المولى عز وجل (ولكل وجهة) أي لأهل كل ملة قبلة، والوجهة اسم للمتوجه إليه (هو موليها) أي مستقبلها ويقبل إليها (فاستبقوا الخيرات) أي إلى الخيرات، يريد: بادروا بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول (أينما تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (إن الله على كل شيء قدير)[429]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (مُوَلِّيها) أن لكل صاحب ملة طريقة ومنهاج حياة هو متبعها وراضيها. في حين أفادت القراءة الأخرى (مُوَلاَّها) أن الله تعالى يولى صاحب كل طريقة ما تولاها. قال الألوسي في تفسيره: (هو مُوَلِّيها) الضمير المرفوع عائد إلى (كل) باعتبار لفظه، والمفعول الثاني للوصف محذوف أي: وجهه أو نفسه أي مستقبلها، ويحتمل أن يكون الضمير لله تعالى أي: الله موليها إياه. وقرأ ابن عامر (مُوَلاَّها) على صيغة اسم المفعول أي هو قد ولي تلك الجهة، فالضمير المرفوع حينئذ عائد إلى كل البتة، ولا يجوز رجوعه إلى الله تعالى لفساد المعنى.[430]

---

٤٢٧ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٨٦.

٤٢٨ – معالم التنزيل – محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون – ج١ ص١٦٤ – دار طيبة – الرياض – ط٢ – سنة ١٤١٤هـ.

٤٢٩ – معالم التنزيل ج١ ص١٦٤ باختصار.

٤٣٠ – روح المعاني ج٢ ص١٤–١٥ باختصار.

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: أن على كل إنسان أن يختار لنفسه ما يراه صوابا وأن يسعى في الخيرات فإن اختار الدين الحق ثبته الله عليه، وكان له الفوز والفلاح. وإن اختار غير سبيل المؤمنين واتبع غير ملتهم فله جهنم وبئس المصير، كما قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) النساء ١١٥.

٢٨- ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ البقرة: ١٤٩

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (يعملون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تعملون) بالخطاب.[٤٣١]

التفسير:

قال الشوكاني في تفسيره: "كرر سبحانه هذا لتأكيد الأمر باستقبال الكعبة، وللاهتمام به؛ لأن موقع التحويل كان معتنى به في نفوسهم، وقيل: وجه التكرير أن النسخ من مظان الفتنة ومواطن الشبهة فإذا سمعوه مرة بعد أخرى ثبتوا واندفع ما يختلج في صدورهم، وقيل: إنه كرر هذا الحكم لتعدد علله فإنه سبحانه ذكر للتحويل ثلاث علل: الأولى: ابتغاء مرضاته، والثانية: جرى العادة الإلهية أن يولي كل أهل ملة وصاحب دعوة جهة يستقل بها، والثالثة: دفع حجج المخالفين فقرن بكل علة معلولها، وقيل: أراد بالأول ول وجهك شطر الكعبة إذا صليت تلقائها، ثم قال: وحيثما كنتم معاشر المسلمين في سائر المساجد بالمدينة وغيرها فولوا وجوهكم

٤٣١ – انظر النشر ج٢ ص ٢٢٣.

شطره، ثم قال: (ومن حيث خرجت) يعني وجوب الاستقبال في الأسفار فكان هذا أمر بالتوجه إلى الكعبة في جميع المواطن من نواحي الأرض.[٤٣٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (تعملون) بالخطاب الوعيد للمؤمنين إن هم خالفوا أمر الله في نسخ القبلة والتوجه إلى المسجد الحرام.

وأما قراءة (يعملون) بالغيب ففيها الوعيد لليهود إن هم أصروا على مخالفة أوامر الله وانحرفوا عن جادة الصواب.

قال الألوسي في تفسيره: وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن الجزاء فهو وعيد للمؤمنين، وقرء (يعملون) على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين.[٤٣٣] وقال مكي بن أبي طالب: «ووجه القراءة بالياء أنه أجراه على لفظ الغيب والإخبار عن اليهود، الذين يخالفون النبي في القبلة وهم غيب. فالتقدير: ولِّ وجهك يا محمد نحو المسجد الحرام، وما الله بغافل عما يعمل من يخالفك من اليهود في القبلة. ووجه القراءة بالتاء أنه مردود على ما قبله، من الخطاب للنبي- ﷺ -وأصحابه، في قوله (فول وجهك)، والمعنى: فولُّوا وجوهكم شطر المسجد الحرام، وما الله بغافل عما تعملون، أيها المؤمنون من توليتكم نحو المسجد الحرام.[٤٣٤]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: التزموا أيها المؤمنون بشرع الله وما نزل في شأن القبلة واحذروا من مخالفته وعصيان أمره، ولا تلتفتوا إلى دسائس اليهود ومكرهم في شأن القبلة فإن الله مطلع عليكم جميعا وسيجازي المخالفين بالعقاب الأليم.

٤٣٢ - فتح القدير ج١ ص١٩٩.

٤٣٣ - روح المعاني ج٢ ص١٦.

٤٣٤ - الكشف ج١ ص٢٦٨.

٢٩ - ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ البقرة: ١٥٨

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (يَطَّوَّعْ) بالغيب وتشديد الطاء وإسكان العين على الاستقبال.

٢. قرأ الباقون (تَطَوَّعَ) بالتاء وتخفيف الطاء فيها وفتح العين على المضي.(٤٣٥)

المعنى اللغوي للقراءات:

الطَّوْع: الانقياد وضده الكره، والتطوع في الأصل: تكلف الطاعة، وتكلف كذا: تحمله طوعا.(٤٣٦)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن مشروعية الطواف بين الصفا والمروة وحكمه في الإسلام.

قال السيوطي في سبب نزول الآية: عن عائشة أن عروة قال لها: أرأيت قول الله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فما أرى على أحد جناحا أن يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل

---

٤٣٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

٤٣٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٢٩-٥٣١.

الله (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الآية.

قالت عائشة: ثم سن رسول الله-ﷺ-الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما.[٤٣٧] وقال الصابوني في تفسيره: «(إن الصفا والمروة) اسم لجبلين بمقربة من البيت الحرام (من شعائر الله) أي من أعلام دينه ومناسكه التي تعبدنا الله بها (فمن حج البيت أو اعتمر) أي من قصد بيت الله للحج أو قصده للزيارة بأحد النسكين الحج أو العمرة (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أي لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما، (ومن تطوع خيرا) أي من تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته المفروضة عليه، أو فعل خيرا فرضا كان أو نفلا (فإن الله شاكر عليم) أي أنه سبحانه شاكر له طاعته ومجازيه عليه الجزاء الحسن.»[٤٣٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز الاستغناء بحرف الشرط عن لفظ الاستقبال فتكون القراءتان متفقتان في المعنى، وهو الاستقبال.

قال الطبري: "وكلتا القراءتين معروفة صحيحة متفق معنياهما غير مختلفين لأن الماضي من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب. ومعنى ذلك ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه فإن الله شاكر له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه فمجازيه به عليم بما قصد وأراد بتطوعه بما تطوع به. وإنما قلنا إن الصواب في معنى قوله فمن تطوع خيرا هو ما وصفنا دون قول من زعم أنه معني به فمن تطوع بالسعي والطواف بين

٤٣٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي: ج١ ص٢٩١، وقال أخرجه البخاري ومسلم - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١١هـ. الحديث رواه البخاري كما ورد في فتح الباري ج٨ ص١٧٥ - كتاب التفسير - باب ٢١ قوله (ومن حيث خرجت فول وجهك..) - رقم الحديث ٤٤٩٥.

٤٣٨ - صفوة التفاسير ج١ ص١٠٨ باختصار.

الصفا والمروة لأن الساعي بينهما لا يكون متطوعا بالسعي بينهما إلا في حج تطوع أو عمرة تطوع لما وصفنا قبل، وإذ كان ذلك كذلك كان معلوما أنه إنما عنى بالتطوع بذلك التطوع بما يعمل ذلك فيه من حج أو عمرة.[٤٣٩]

وذهب بعض العلماء إلى أن لكل قراءة معنى مغاير عن الأخرى باعتبار أن قراءة (تَطَوَّعَ) تعني في الماضي، وقراءة (يطَّوَّعْ) في المستقبل. قال العكبري[٤٤٠]: «(ومَن تَطَّوَّعَ) يُقرأ على لفظ الماضي، فـ(مَن) على هذا يجوز أن تكون بمعنى الذي، والخبر (فإن الله) والعائد محذوف تقديره له. ويجوز أن يكون (مَن) شرطا، والماضي بمعنى المستقبل. وقُرِئَ (يَطَّوَّعْ) على لفظ المستقبل، فـ(مَن) على هذا شرط لا غير ؛ لأنه جزم بها، وأدغم التاء في الطاء.»[٤٤١]

وعلى هذا الرأي يصبح المعنى: أن من فعل خيرا قبل نزول الآية قبل منه، ومن يفعل خيرا بعد نزولها يقبل منه.

٣٠- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ البقرة: ١٦٤

القراءات:

١. قرأ حمزة وخلف والكسائي (الرِّيح) على الإفراد.

---

٤٣٩ – جامع البيان ج٢ ص٥٢.

٤٤٠ – عبد الله بن الحسين بن العكبري،أبو البقاء، من تصانيفه شرح اللمع، توفي سنة ٦١٦هـ ﴿انظر شذرات الذهب ج٥ ص٦٦ ، مقدمة كتابه التبيان في إعراب القرآن – تحقيق محمد حسين شمس الدين – ج١ ص٦ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – سنة ١٤١٩هـ﴾.

٤٤١ – التبيان في إعراب القرآن ج١ ص١١٤.

٢. قرأ الباقون (الرِّياح) على الجمع.[٤٤٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الريح معروف، وهي فيما قيل الهواء المتحرك. وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة.[٤٤٣]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل وحدانية الله ورحمته ومظاهر قدرته من خلال الكون المنظور؛ فبعد أن ذكر الله في الآيات السابقة (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ..خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) حال الكافرين الجاحدين لآيات الله وحال من كتم الآيات وعقابهم بالطرد من رحمة الله والخلود في نار جهنم، أتى ببيان سبب الكفر وهو الشرك، وأراد تعالى أن يعالج داء كفرهم بإثبات وحدانية الله بالبرهان وتعداد مظاهر رحمته وأدلة قدرته، وأن الخير في اللجوء إليه وحده، فذكر أنه خالق السماوات وما فيها من عوالم وأفلاك، وجاعل الأرض وسطا صالحا للعيش الهادئ المطمئن، ويسر للإنسان سبل العيش الكريم من خلال تعاقب الليل والنهار، وتسخير البحار، وإنزال الأمطار وتوجيه الرياح، وتكاثف السحاب وتجميعه، كل هذه الظواهر عبر ومواعظ لمن يعقل ويتدبر وينظر ليدرك الأسرار والعجائب ويستدل بما فيها من إتقان وإحكام على قدرة الخالق المبدع ووحدانية الإله المدبر.[٤٤٤]

---

٤٤٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

٤٤٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.

٤٤٤ - انظر التفسير المنير ج٢ ص٥٩-٦٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب المفسرون إلى أنه لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الإفراد (الريح) هي اسم جنس يدل على القليل والكثير فتتفق مع قراءة الجمع (الرياح).

قال ابن عاشور: "واستفادة العموم من اسم الجنس المعرف سواء كان مفردا أو جمعا سواء."[٤٤٥] وقال الألوسي: «(وتصريف الرياح) أي تقليب الله تعالى لها جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وتارة بالرحمة ومرة بالعذاب. وقرأ حمزة والكسائي الريح على الأفراد وأريد به الجنس.»[٤٤٦] وقال القرطبي: «فمن وحد الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح.»[٤٤٧] وفي هذا رد على من اعتبر أن الريح إذا جاءت في القرآن مفردة فإنه يراد بها ريح العذاب خاصة.

قال القرطبي: «ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن نحو (الرياح مبشرات) الروم ٤٦ ، (الريح العقيم) الذاريات ٤١ ، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في قوله (وجرين بهم بريح طيبة) يونس٢٢ ، وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح ...

فأفردت مع الفلك في يونس لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب.»[٤٤٨]

---

٤٤٥ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٨٦.

٤٤٦ - روح المعاني ج٢ ص٣٢.

٤٤٧ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٩٨-١٩٩.

٤٤٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٩٨-١٩٩

وحيث إن المقام هنا هو مقام تذكير بنعم الله ومظاهر قدرته الدالة على وحدانيته فناسب أن يكون المقصود من قراءة الإفراد الجنس كما قاله المفسرون فتتفق القراءتان.

٣١- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥

القراءات:

١. قرأ ابن عامر: ولو (تَرى) الذين ظلموا إذ (يُرَون) العذاب (أنَّ) القوة لله جميعا (وأنَّ) الله شديد العذاب.
٢. قرأ نافع: ولو (تَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (أنَّ) القوة لله جميعا (وأنَّ) الله شديد العذاب.
٣. قرأ يعقوب: ولو (تَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (إنَّ) القوة لله جميعا (وإنَّ) الله شديد العذاب.
٤. قرأ أبو جعفر: ولو (يَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (إنَّ) القوة لله جميعا (وإنَّ) الله شديد العذاب.
٥. قرأ الباقون: ولو (يَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (أنَّ) القوة لله جميعا (وأنَّ) الله شديد العذاب.[٤٤٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤية: إدراك المرئي وذلك أضرب بحسب قوى النفس ...ورأى إذا عدّي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم. والرأي: اعتقاد النفس أحد النقيضين

٤٤٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٤.

عن غلبة الظن ...وإذا عدّي رأيت بـ (إلى) اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار.[٤٥٠]

التفسير:

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله-ﷻ-أخبر أن مع وضوح هذه الآيات والدلالات التي سبق ذكرها أقام قوم على الباطل وإنكار الحق فكأنه قال: أبعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله أندادا.[٤٥١]

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومالهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا بدله ولا شريك معه، عن عبد الله بن مسعود قال: (قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك)[٤٥٢] وقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجأون في جميع أمورهم إليه، ثم توعد تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا أي أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه (وأن الله شديد العذاب) كما قال (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الفجر ٢٤-٢٥، يقول لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع

٤٥٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٤.

٤٥١ - انظر مجمع البيان ج١ ص٢٧٦.

٤٥٢ - رواه البخاري – انظر فتح البخاري بشرح صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ٤٠ - ج١٣ ص٤٩٠ – رقم ٧٥٢٠ ، صحيح مسلم - كتاب الإيمان - ح ١٤١ ، ١٤٢.

المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال.»[٤٥٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة نافع وابن عامر (ولو تَرى الذين ظلموا) فالمقصود بالخطاب هو الرسول-ﷺ - فهو الفاعل، ويصبح الذين ظلموا مفعول به، وجواب لو محذوف للتهويل.

والمعنى: ولو ترى يا محمد -ﷺ- هؤلاء المشركين عند رؤيتهم العذاب لرأيت أمرا عظيما ينزل بهم (وأنَّ) بمعنى لأن القوة لله جميعا ولأن الله شديد العذاب، وهذا خطاب للنبي-ﷺ- يراد به الناس أي لرأيتم أيها المخاطبون أن القوة لله أو لرأيتم أن الأنداد لم تنفع وإنما بلغت الغاية في الضرر.

وأما على قراءة الباقين (ولو يرى الذين ظلموا) بالياء فالمقصود من الخطاب المشركين فهم الفاعل. والمعنى: لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعا.

وبالنسبة لقراءة ابن عامر (إذ يُرَون العذاب) بضم الياء على ما لم يسم فاعله والمقصود به الله. وقراءة الباقين (إذ يَرون) بفتح الياء يعني الكفار.[٤٥٤]

فالمعنى: إن الكفار يَرَون العذاب بأمر الله.

وأما قراءة أبي جعفر ويعقوب (إنَّ) في الموضعين بكسر الهمزة فهو على الاستئناف البياني كأن سائلا قال: ماذا أرى وما هذا التهويل ؟ فقيل إنَّ القوة لله.

وقراءة الباقين (إنَّ) في الموضعين فتكون على البدل، أو على التعليل باعتبار حذف لام التعليل والتقدير لأن القوة لله جميعا والتعليل بمضمون الجواب

٤٥٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٧٦ باختصار.

٤٥٤ - انظر حجة القراءات ص١٢٠، الكشف ج١ ص٢٧١-٢٧٣.

المقدر أي لرأيت ما هو هائل لأنه عذاب الله ولله القوة جميعا.[455]

قال الطبري في تأويله للآية: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة أهل المدينة والشام (ولو تَرى الذين ظلموا) بالتاء (إذ يَرون العذاب) بالياء (أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) بفتح أن وأن كلتيهما بمعنى: ولو ترى يا محمد -ﷺ- الذين كفروا وظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب.

وقرأ آخرون من سلف القراء (ولو تَرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب إن القوة لله جميعا وإن الله شديد العذاب) بمعنى: ولو ترى يا محمد-ﷺ- الذين ظلموا حين يعاينوا عذاب الله لعلمت الحال التي يصيرون إليها.[456]

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: لو رأيت أيها السامع حال الذين كفروا حين يريهم الله العذاب الهائل المخيف لرأيت عجبا لأن القوة لله جميعا ولأن الله شديد العذاب.

٣٢- ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

القراءات:

١. قرأ حمزة وحفص (ليس البرَّ) بالنصب.

---

٤٥٥ – انظر تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٩٥.

٤٥٦ – جامع البيان ج٢ ص٦٧ باختصار.

٢. قرأ الباقون (ليس البرُّ) بالرفع.[٤٥٧]

٣. قرأ نافع وابن عامر (ولكنِ البرُّ) بتخفيف نون لكن، مخففة من الثقيلة جيء بها لمجرد الاستدراك فلا عمل لها ورفع البر.

والباقون (ولكنَّ البرَّ) بتشديد النون ونصب البر.[٤٥٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

البر: التوسع في الخير، وينسب ذلك إلى الله وإلى العبد، وبر الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما، وضده العقوق.[٤٥٩]

التفسير:

وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها أنه تعالى ذكر في الآية السابقة أن أهل الكتاب اختلفوا في دينهم اختلافا كبيرا صاروا بسببه في شقاق بعيد، ومن أسباب شقاقهم أمر القبلة إذ أكثروا الخوض فيه وأنكروا على المسلمين التحول إلى استقبال القبلة، وادعى كل من الفريقين — اليهود والنصارى — أن الهدي مقصور على قبلته، فرد الله عليهم مبينا أن العبادة الحقة وعمل البر ليس بتوجه الإنسان جهة المشرق والمغرب، ولكن بطاعة الله وامتثال أوامره وبالإيمان الصادق الراسخ بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين وإعطاء المال على محبته له ذوي قرابته فهم أولى بالمعروف، واليتامى والمساكين والمنقطع عن ماله والتزم بأركان الإسلام من الصلاة والزكاة، والوفاء بالعهود والصبر على الشدائد من فقر ومرض، فأولئك هم الصادقون في إيمانهم الكاملون في تقواهم.[٤٦٠]

---

٤٥٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

٤٥٨ – انظر إتحاف فضلاء البشر ص١٩٩.

٤٥٩ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١١٤.

٤٦٠ – انظر صفوة التفاسير ج١ ص ١١٧–١١٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى بعض العلماء أن هناك أثر بلاغي من خلال التقديم والتأخير باعتبار أن الموقف موقف إنكار على كل من اليهود والنصارى بسبب اهتمامهم الزائد بأمر القبلة وما أثاروه من شبهات حولها فجاءت القراءتان (ليس البرَّ) و (ليس البرُّ) لتأكيد هذا الإنكار، من خلال تقديم اسم ليس وتأخيره.

قال الطاهر بن عاشور: "بالنسبة لقراءة الجمهور (ليس البرُّ) برفع البر على أنه اسم ليس، والخبر هو (أن تولوا)، وأما بالنسبة لقراءة حفص وحمزة (ليس البرَّ) بنصب البرَّ على أن قوله (أن تولوا) اسم ليس مؤخر، ويكثر في كلام العرب تقديم الخبر على الاسم في باب كان وأخواتها إذا كان أحد معمولي هذا الباب مركبا من أن المصدرية وفعلها، كان المتكلم بالخيار في المعمول الآخر بين أن يرفعه وأن ينصبه، وشأن اسم ليس أن يكون هو الجدير بكونه مبتدأ به، فوجه رفع البر: أن البرَّ أمر مشهور معروف لأهل الديار مرغوب للجميع، فإذا جعل المبتدأ في حال النفي أصغت الأسماع إلى الخبر. وأما توجيه قراءة النصب فلأن أمر استقبال القبلة هو الشغل الشاغل لهم فإذا ذكر خبره قبله ترقب السامع المبتدأ فإذا سمعه تقرر في علمه.[٤٦١]

ولكن بالجمع بين القراءتين نجد أنهما قد أفادتا استواء الأمرين تماما، وذلك لأن الآية تعاملت مع كل واحد منهما مرة على أنه اسم ليس ومرة أخرى على أنه خبر ليس فهما مستويان في الدرجة.

وأما بالنسبة لقراءة (ولكنِ البرُّ) على تخفيف النون ورفع البر على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط، بخلاف القراءة الأخرى (لكنَّ البرَّ) فهي تفيد

٤٦١ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج١ ص١٢٩.

مع الاستدراك التأكيد والمبالغة في الأمر باعتبار أن (لكنَّ) من أخوات إنَّ.

٣٣- ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ البقرة: ١٨٢

المعنى اللغوي للقراءات:

١. قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (مُوَصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد.
٢. قرأ الباقون (مُوصٍ) بالتخفيف مع إسكان الواو.[٤٦٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم: أرض واصية أي متصلة النبات، ويقال: أوصاه ووصاه، وتواصى القوم: إذا أوصى بعضهم إلى بعض.[٤٦٣]

التفسير:

"هذه الآية تفريع على الآية السابقة (فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إنَّ الله سميع عليم) وهو تحريم التبديل، فكما تفرع عن الأمر بالعدل في الوصية وعيد المُبَدِّل لها، تفرع عن وعيد المبدِّل الإذن في تبديل هو من المعروف، وهو تبديل الوصية التي فيها جور وحيف بطريقة الإصلاح بين المُوصَى لهم وبين من ناله الحيف من تلك الوصية.
والمعنى: إنْ وِجِد في وصية الموصِي إضرارا ببعض أقربائه، بأن حرمه من وصيته أو قدم عليه من هو أبعد نسبا ... فسعى في إصلاح ذلك وطلب من الموصِي تبديل وصيته، فلا إثم عليه في ذلك.[٤٦٤]

---

٤٦٢ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

٤٦٣ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٣-٨٧٤.

٤٦٤ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص١٥٣-١٥٤ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد (مُوَصٍّ) التكرار في الوصية، وهذا يدل على مدى الاهتمام بالوصية وتوثيقها، بخلاف قراءة التخفيف (مُوْصٍ) والتي تفيد الوصية من غير تكرار.

قال مكي بن أبي طالب: "في التشديد معنى التكرير والتكثير والقراءتان متكافئتان حسنتان."[٤٦٥]

وبالجمع بين القراءتين يصبح معنى الآية: أنه يجوز التبديل والتغيير في الوصية المشتملة على جور في كل حال، بما يوافق الشرع، وعليه أن لا يمتنع عن النصح للموصِي، سواء كانت الوصية مكتوبة وموثقة أو لم تكن كذلك، وسواء كرر المُوصِي الحديث عنها والإشهاد عليها أو لم يكرر. ولا إثم يقع على المبَدِّل ما دام التبديل للإصلاح ورفع الظلم عن الآخرين من أصحاب الحقوق.

٣٤- ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ البقرة: ١٨٤

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن ذكوان عن ابن عامر (فديةُ طعامِ مساكين).
٢. قرأ هشام عن ابن عامر (فديةٌ طعامُ مساكين).
٣. قرأ الباقون (فديةٌ طعامُ مسكين).[٤٦٦]

---

٤٦٥ - الكشف ج١ ص ٢٨٢.

٤٦٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

الفدى والفداء: حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه ... وما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادة قصَّر فيها يقال له: فدية، ككفارة اليمين وكفارة الظهار.[467]

السكون: ثبات الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان ... والمسكين قيل هو الذي لا شيء له، وهو أبلغ من الفقير.[468]

التفسير:

بعد أن أمر الله عباده المؤمنين بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع بنية خالصة لله تعالى، وأنه مما أوجبه الله على الأمم السابقة بين هنا مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمل أدائه، بل هو في أيام معدودات، ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر، وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الإطعام إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وإن صام فهو أفضل من الإطعام. قاله ابن مسعود وابن عباس وغيرهم من السلف، ولهذا قال تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون).[469]

٤٦٧ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٢٧.

٤٦٨ – انظر المصدر السابق ص٤١٧ باختصار.

٤٦٩ – تفسير ابن كثير ج١ ص٢٩٠ بتصرف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (فديةُ طعامِ مساكين) تحديد نوع الفدية، أي أن فدية الإفطار طعام مساكين باعتبار أن قوله: (طعامِ) بيان (للفدية). في حين أفادت القراءة الأخرى (فديةٌ طعامُ مسكين) بيان مقدار هذه الفدية باعتبار أن قوله: (طعامٌ مساكين) بدل من (فدية).

قال ابن عاشور: «وقد فسرت الفدية بالإطعام إما بإضافة المبيَّن إلى بيانه كما قرأ نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو جعفر: (فديةُ طعامِ مساكين)، بإضافة فدية إلى طعام، وقرأ الباقون بتنوين (فديةٌ) وإبدال طعام من فدية.»[470]

وبالجمع بين قراءتي (فديةُ طعامِ) و(فديةٌ طعامُ) يتبين لنا: أن على من أفطر يوما بسبب العذر من مرض أو سفر فديةٌ بأن يطعم طعاماً.

وبالجمع بين قراءتي (مساكين) و (مسكين) يتبين لنا: جواز دفع طعام الفدية إلى مسكين واحد أو إلى مجموعة مساكين، إلا أن قراءة (فديةُ طعامِ مساكين) بإضافة فدية إلى طعام ترجح دفع الفدية لأكثر من مسكين.

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: أن على من أفطر في رمضان بسبب العذر أن يطعم عن كل يوم مسكينا، وهو بالخيار بين أن يدفع هذا الطعام إلى مسكين واحد أو مجموعة مساكين، والأفضل أكثر من مسكين.

- فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ البقرة

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (يطَّوَّعْ) بالغيب وتشديد الطاء وإسكان العين على الاستقبال.

٤٧٠ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص١٦٧.

٢. وقرأ الباقون (تطَوَّعَ) بالتاء وتخفيف الطاء وفتح العين على المضى.[٤٧١]

التفسير:

المقصود بالخير في الآية هو كل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معاني دون تخصيص قال الطبري في تأويل الآية: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمم بقوله فمن تطوع خيرا فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير، وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله فمن تطوع خيرا أي هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه فهو خير له لأن كل ذلك من تطوع الخير ونوافل الفضل.»[٤٧٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن لاختلاف القراءات أثراً نحوياً من حيث جواز الاستغناء بحرف الشرط عن لفظ الاستقبال، لأن حرف الشرط يدل على الاستقبال، فتكون القراءتان متفقتان في المعنى، وهو الاستقبال، والمعنى: فمن تطوع فيما يستقبل خيرا فهو خير له.[٤٧٣]

٣٥- ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥

٤٧١ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣ ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص١٩٥.

٤٧٢ - جامع البيان ج٢ ص١٤٣.

٤٧٣ - انظر الكشف ج١ ص٢٦٩-٢٧٠.

القراءات:

١. قرأ يعقوب وأبو بكر (ولتكَمِّلوا العدة) بتشديد الميم.

٢. قرأ الباقون (ولتكْمِلوا) بالتخفيف.[٤٧٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

كمال الشيء: حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كمل ذلك، فمعناه حصل ما هو الغرض منه.[٤٧٥] وقال الفيروزآبادي: «الكمالُ: التَّمام، وأكمَلَه واستكْمَلَه وكَمَّلَه: أتمَّه وجمَّله.»[٤٧٦]

التفسير:

تبين الآية الكريمة أيام الصيام المذكورة في الآية السابقة. فهي شهر رمضان (الذي أنزل فيه القرآن) بمعنى أن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل-عليه السلام -على رسول الله-ﷺ- نجوما في ثلاث وعشرين سنة، هذا القرآن فيه هداية من الضلال ودلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام وفارق بين الحق والباطل من أدركه الشهر مقيما صحيحا فعليه صومه ومن كان مريضا أو مسافرا فله الفطر وعليه القضاء، ثم بين عز وجل أن هذه الرخصة يُراد بها التخفيف والتيسير على الأمة، مع وجوب إكمال عدة رمضان إما بصيام شهره كاملا أو بقضاء ما أفطره فيه. ثم أرشد الأمة لتعظيم الله عز وجل بالتكبير عقب انتهاء شهر الصيام ليكونوا من الشاكرين فينالوا الثواب العظيم.[٤٧٧]

---

٤٧٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

٤٧٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٦.

٤٧٦ - القاموس المحيط ج٢ ص١٣٩٢ باختصار.

٤٧٧ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٢٩٢-٢٩٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد (ولِيُكَمِّلوا) التأكيد والتكرار. كما قال الإمام مكي بن أبي طالب: "هما لغتان، يقال أكملت العدد وكمَّلته .....ويقوي معنى التشديد أن فيه معنى التأكيد والتكرير.[٤٧٨] وهذا معناه الحرص والتأكيد على وجوب إكمال العدة.

ولقد ذكر القرطبي في تفسيره في بيان معنى قوله تعالى (ولتكملوا العدة) تأويلان: «أحدهما : إكمال عدة الأداء لمن أفطر في سفره أو مرضه، والثاني: عدة الهلال سواء كانت تسعا وعشرين أو ثلاثين.»[٤٧٩]

وبالنظر إلى القراءتين نرى أن كل قراءة تحمل على معنى من المعنيين السابقين: فتحمل قراءة التخفيف (ولِتكْملوا العدة) على وجوب إكمال الشهر ثلاثين يوما عندما يلتبس الأمر ولا يُرى هلال شوال. وتحمل قراءة التشديد (ولِتكَمِّلوا العدة) على وجوب إكمال الشهر سواء كان تسعا وعشرين أو ثلاثين يوما بقضاء الأيام التي أفطرها الإنسان بسبب العذر أو الفدية عند العجز عن الصيام.

والذي دفعنا إلى هذا التأويل أن الأمر في الآية الكريمة جاء بإكمال العدة وليس الشهر، وهذا يوحي بأهمية العدد، وأنه المقصود في الآية.

فبالنظر إلى قراءة التخفيف نجد أنها لا توحي بوجود نقص في الشهر،والواجب علينا في هذه الحالة هو فقط إكمال شهر رمضان عند الغم ثلاثين يوما أطول العدتين.

وهذا بخلاف قراءة التشديد (ولتكَمِّلوا العدة) فإنها توحي بوجود نقص في الشهر لا بد من إكماله، وهذا لا يكون إلا عند إفطار بعض أيامه،

٤٧٨ - الكشف ج١ ص٢٨٣ باختصار

٤٧٩ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٠٢.

والواجب علينا في هذه الحالة إكمال النقص بالقضاء أو دفع الفدية، سواء كان الشهر تسعا وعشرين أو ثلاثين.

وعليه يصبح معنى الآية: أنه لابد من إكمال الشهر ثلاثين يوما عندما يغم الأمر علينا، مع قضاء الأيام التي أفطرها الإنسان بسبب العذر، أو الفدية عند العجز، والله أعلم.

٣٦-﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ البقرة: ١٨٩

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر (ولكنِ البرُّ) بتخفيف النون ورفع البر.
٢. قرأ الباقون (ولكنَّ البرَّ) بتشديد النون ونصب البر.[٤٨٠]

التفسير:

ذكر البخاري في صحيحه عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .)[٤٨١]

«نزلت الآية لتبين الحكمة الظاهرة في ذلك وهي كونها من معالم الناس، يوقِّتون بها أمورهم، ومعالم لعباداتهم، وهذا هو الأولى لهم معرفته دون السؤال عن تفصيلات ذلك، وهذا ما يعرف في علم البديع بالأسلوب الحكيم. ثم أتبع ذلك بتوجيه المؤمنين إلى دخول البيوت من أبوابها لا كما جرت عليهم عادت الأنصار في الجاهلية من دخول البيوت من ظهورها

٤٨٠ - إتحاف فضلاء البشر ص٢٠٠.

٤٨١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج٨ ص١٨٣ - كتاب التفسير - باب٢٩ (وليس البر بان تأتوا البيوت..) - رقم ٤٥١٢.

بعد القدوم من الحج فنزلت الآية لبيان ذلك، وأن هذا هو الخير لهم وفيه فلاحهم.»[٤٨٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة (ولكنِ البرُ) على تخفيف النون ورفع البرُ على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط، بخلاف القراءة الأخرى (لكنَّ البرَّ) فهي تفيد مع الاستدراك التأكيد والمبالغة في الأمر ولقد تم تفسير مثلها عند قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق أو المغرب ولكنَّ البرَّ من أمن بالله..) ١٧٧ من هذه السورة[٤٨٣].

٣٧- ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ البقرة: ١٩١

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولا تَقتلوهم..حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم) بحذف الألف فيهن.
٢. قرأ الباقون (ولا تقاتلوهم..حتى يقاتلوكم، فإن قاتلوكم) بإثبات الألف فيهن.[٤٨٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المُتَولِّي لذلك يقال: قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت، والمقاتلة: المحاربة وتحري القتل.[٤٨٥]

٤٨٢ – انظر المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص٢٠٩–٢١٠.

٤٨٣ – انظر ص١١٩.

٤٨٤ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٤٨٥ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ٦٥٥–٦٥٦.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن فريضة الجهاد وقتال أعداء الله ووجوب قتال من قاتل منهم حتى ولو كان ذلك عند المسجد الحرام؛ لأن ما يقوم به أعداء الله من فتنة الناس عن دينهم، وإخراجهم من ديارهم أعظم عند الله من انتهاك حرمة الشهر، الذي يتظاهر بالتمسك به أعداء الله من المشركين. قال الطبرسي:" خاطب الله المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال: (واقتلوهم) أي الكفار (حيث ثقفتموهم) أي وجدتموهم (وأخرجوهم من حيث خرجتم) يعني أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها (والفتنة أشد من القتل) أي شركهم بالله وبرسوله أعظم من القتل في الشهر الحرام وسمّى الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك، كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك وقيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) نهي عن ابتدائهم بقتال أو قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك (فإن قاتلوكم) أي بدأوكم بذلك (فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) أن يقتلوا حيث ما وجدوا، وفي الآية دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكة.»[٤٨٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) بإثبات الألف فيهن النهي عن قتال الكفار حتى يبدأوا هم بقتال المسلمين، فتفيد التعميم. قال الإمام الطبري:« ولا تبتدئوا أيها المؤمنون المشركين بالقتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوكم به، فإن بدءوكم به هنالك عند المسجد الحرام في الحرم فاقتلوهم، فإن الله جعل

٤٨٦ - مجمع البيان ج٢ ص٢.

ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة القتل في الدنيا، والخزي الطويل في الآخرة.»[٤٨٧]

في حين أفادت القراءة الأخرى (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم) بحذف الألف فيهن النهي عن قتلهم حتى يقتلوا بعض المسلمين، فتفيد التخصيص. قال الطبري في تأويل هذه القراءة: «ولا تبدءوهم بقتل حتى يبدءوكم به.»[٤٨٨] وقال البيضاوي: «(فإن قتلوكم) والمعنى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو أسد.»[٤٨٩]

وبالجمع بين القراءتين يحمل العام على الخاص فيصبح المعنى: أنه لا يجوز قتل الكفار ولا حتى بدؤهم بالقتال عند المسجد الحرام لحرمته حتى يبدأ الكفار بالقتال فيه، وقتل بعض المسلمين فحينها يجب قتالهم وإخراجهم، وإن أدى ذلك إلى قتلهم فيه، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى حرمة المسجد الحرام ومكانته عند الله، كما أنه استجابة لدعوة إبراهيم، كما قال تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) البقرة ١٢٦ .[٤٩٠]

أما ما يتعلق بنسخ الآية أو كونها محكمة فهذا يُرجع فيه إلى كتب الفقه.

٣٨- ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ).

٤٨٧ – جامع البيان ج٢ ص١٩٢.
٤٨٨ – جامع البيان ج٢ ص١٩٢.
٤٨٩ – تفسير البيضاوي ج١ ص١٠٥.
٤٩٠ – الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٤٧.

٢. زاد أبو جعفر وحده فرفع (ولا جدالٌ).

٣. قرأ الباقون (فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ) بالفتح.[٤٩١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرفث: كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع.[٤٩٢]

فسق فلان: خرج من حَجْر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير، ولكن تُعورف فيما كان كثيرا، وسميت الفأرة فويسقة لما اعتقد فيها من الخبث والفسق وقيل لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى.[٤٩٣]

الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل: أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.[٤٩٤]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض محظورات الإحرام وما ينبغي أن يكون عليه الحاج إذا تلبس بالنسك. قال النسفي في تفسيره: "وقت الحج أشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم (فمن فرض) ألزمه على نفسه بالإحرام (فيهن الحج) في هذه الأشهر (فلا رفث) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصي أو السباب (ولا جدال في الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين و إنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج، والمراد بالنفي وجوب انتفائها، وأنها حقيقة بأن لا تكون، ثم حث على

٤٩١ – انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٠١.

٤٩٢ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٩.

٤٩٣ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦-٦٣٧.

٤٩٤ – انظر المصدر السابق ص١٨٩.

الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أعلم بأنه عالم به يجازيكم (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم، أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات (فإن خير الزاد) اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابي، (يا أولى الألباب) يا ذوى العقول.[٤٩٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة النصب (فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ) المبالغة والتعميم في النهي باعتبار أن (لا) هنا نافية للجنس. قال ابن عاشور: "وقد نفي الرفث والفسوق والجدال نفي الجنس مبالغة في النهي عنها وإبعادها عن الحاج، حتى جعلت كأنها قد نهى الحاج عنها فانتهى فانتفت أجناسها.[٤٩٦]

وأما على قراءة أبي جعفر برفع الثلاثة مع التنوين فإن (لا) هنا ليست نافية للجنس، بل هي غير عاملة، تفيد نفيا مخصوصا، وهو نفي المشروعية لا نفي الوجود حسا. قال ابن العربي في توجيهه للآية الكريمة « ليس نفيا لوجود الرفث، بل نفي لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس فيه، وأخبار الله لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره، وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعا لا إلى وجوده محسوسا.[٤٩٧]

وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ) فقد قال الزمخشري في توجيهها: «أنهم حملوا الأولين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار

٤٩٥ – تفسير النسفي ج١ ص١٠١ باختصار.

٤٩٦ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٢٣٣.

٤٩٧ – أحكام القرآن – لابن العربي: تحقيق علي محمد البجاوي – ج١ ص١٣٤ – دار المعرفة – بيروت.

بانتفاء الجدال، كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج.[498]
وبالجمع بين القراءات يصبح معنى الآية: يجب على مَن ألزم نفسه بالحج أن يتجنب الجماع ومقدماته وجميع أنواع الذنوب والمعاصي، والابتعاد عن الجدال سواء في مشروعية الحج أو غيره من خصومات، فهذه أمور ينبغي المبالغة في اجتنابها خصوصاً للحاج لحرمتها وأثرها السيئ عليه؛ حيث إن بعض صورها كالجماع والزنا والكفر تفسد الحج وتبطله.

٣٩- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن كثير والكسائي (السَّلم) بفتح السين.
٢. قرأ الباقون (السِّلم) بكسرها.[499]

المعنى اللغوي للقراءات:
السِّلم والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة. والسَّلام والسِّلم والسَّلم: الصلح. وقيل السِّلم: اسم بإزاء حرب، والإسلام الدخول في السِّلم وهو أن يَسْلَم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه.[500]

التفسير:
هذه الآية دعوة لجميع المؤمنين بالالتزام بجميع شرائع الإسلام وعدم الجري وراء الشيطان لما يجره ذلك من المصائب والآفات.
قال ابن كثير في تفسيره: "يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين

٤٩٨ - الكشاف ج١ ص٢٤١.
٤٩٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.
٥٠٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣.

برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، عن ابن عباس وغيره (ادخلوا في السلم) يعني الإسلام، وقيل: يعني الطاعة وقوله (كافة) أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر، ومن المفسرين من يجعل قوله (كافة) حالا من الداخلين أي أدخلوا في الإسلام كلكم، والصحيح الأول وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام وهي كثيرة جدا ما استطاعوا منها. وقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي اعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان.[٥٠١]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن قراءة النصب (السَّلم) تعني المصالحة والمسالمة، في حين أن قراءة الكسر (السِّلم) تعني الإسلام. قال الإمام الطبري: "فأما الذين فتحوا السين من السلم فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسالمة بمعنى ادخلوا في الصلح والمسالمة وترك الحرب وإعطاء الجزية. وأما الذين قرءوا ذلك بالكسر من السين فإنهم مختلفون في تأويله: فمنهم من يوجهه إلى الإسلام بمعنى ادخلوا في الإسلام كافة ومنهم من يوجهه إلى الصلح بمعنى ادخلوا في الصلح.[٥٠٢]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن على المسلمين جميعا الدخول في الإسلام والتمسك بجميع شرائعه، ومن ذلك الرضى بصلح الحديبية الذي أبرمه الرسول-ﷺ-مع أهل مكة؛ لأن الرضى به دخول في الإسلام؛ باعتبار أن طاعة الرسول-ﷺ-من شرائع الإسلام. قال صاحب التحرير والتنوير: "فالذي يبدوا لي أن تكون مناسبة ذكر هذه الآية عقب ما تقدم هي أن قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم...الآيات) تهيئة لقتال

٥٠١ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٣٥ باختصار.

٥٠٢ - جامع البيان ج٢ ص٣٢٣.

المشركين لصدهم المسلمين عن البيت وإرجافهم بأنهم أجمعوا أمرهم على قتالهم، والإرجاف بقتل عثمان ابن عفان حين أرسله رسول الله-ﷺ- إلى قريش، فذكر ذلك واستطرد بعده ببيان أحكام الحج والعمرة، فلما قضى حق ذلك كله وألحق به ما أمر الله بوضعه في موضعه بين تلك الآيات، استؤنف هنا أمرهم بالرضا بالسلم والصلح الذي عقده رسول الله-ﷺ- مع أهل مكة عام الحديبية، لأن كثيرا من المسلمين كانوا آسفين من وقوعه ومنهم عمر بن الخطاب.(٥٠٣)

٤٠- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ البقرة: ٢١٠

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (والملائكةِ) بالخفض.
٢. قرأ الباقون (والملائكةُ) بالرفع.(٥٠٤)
٣. قرأ يعقوب وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف (تَرجِع) بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.
٤. قرأ الباقون (تُرجَع) بضم حرف المضارعة وفتح الجيم.(٥٠٥)

التفسير:

يقول تعالى مهددا للكافرين بمحمد-ﷺ- (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولهذا قال

٥٠٣ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٢٧٦ – ٢٧٧.

٥٠٤ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٠٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.

تعالى (وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور)، كما قال تعالى (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) الفجر ٢١- ٢٣ ، وقال (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك)[٥٠٦] الأنعام ١٥٨ .

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (والملائكةِ) بالجر فإنه عطفها على الغمام أي في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة، أي جماعة من الملائكة. ومن قرأ (الملائكةُ) بالرفع عطفا على قوله (الله) أي إلا أن يأتيهم الله وإلا أن يأتيهم الملائكة.[٥٠٧]

قال أبو حيان: «وقيل في هذا الكلام تقديم وتأخير، فالإتيان في الظلل مضاف إلى الملائكة، والتقدير: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل، فالمضاف إلى الله هو الإتيان فقط، ويؤيد هذا قراءة عبد الله (إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل).»[٥٠٨]

وخالفه الإمام الطبري فقال: «وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجه قوله في ظلل من الغمام إلى أنه من صلة فعل الرب -عز وجل- وأن معناه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة.[٥٠٩]

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: ما ينظر هؤلاء الكافرون إلا أن يأتيهم الله إتيانا يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف والملائكة صفوفا كالغمام للفصل بين العباد. كما قال تعالى في آية أخرى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر ٢٢ .

---

٥٠٦ – انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٣٣٦.

٥٠٧ – انظر مجمع البيان ج٢ ص٤٦.

٥٠٨ – تفسير البحر المحيط ج٢ ص ١٣٤ . وهذه قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في الأربع عشرة.

٥٠٩ – جامع البيان ج٢ ص٣٢٩.

أما قراءتي (تَرْجِع) و (تُرْجَع) فقد تم الحديث عن مثلها[510]عند قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) البقرة ٢٨ .

٤١ -﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (ليُحكَم) بضم الياء وفتح الكاف.
٢. قرأ الباقون (ليَحكُم) بفتح الياء وضم الكاف.[511]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحُكم: بالضم القضاء. والحِكْمَة بالكسر: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل. وأحكمه: أتقنه فاستحكم، ومنعه من الفساد.[512]

قال الراغب الأصبهاني: «حكَم أصله: منع منعا لإصلاح، ومنه سميت اللجام: حَكَمَة الدابة، فقيل حَكَمْته وحكمتُ الدابة: منعتها بالحَكَمَة، وأحكمتها: جعلت لها حَكَمة.

والحُكم بالشيء: أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه، والحِكْمَة: إصابة الحق بالعلم والعقل، والحُكْم أعم من الحِكمة، فكل حِكْمة حُكْم وليس كل حُكْم حِكْمة.[513]

٥١٠ - راجع صفحة ٦٩.
٥١١ - النشر ج٢ ص٢٢٧.
٥١٢ - انظر القاموس المحيط ج٢ ص١٤٤٤.
٥١٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٤٨-٢٤٩.

التفسير:

جاءت هذه الآية استئناف لتبين أن اختلاف الأديان أمر كان في البشر لحكمة اقتضته وأنه قد ارتفع ذلك ورجع الله بالناس إلى وحدة الدين بالإسلام.[514] قال النسفي في تفسيره: «(كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا (فبعث الله النبيين مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) أي مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في دين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) في الحق (إلا الذين أوتوه) أي الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لمَّا أنزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (بإذنه) بعلمه (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم).[515]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (لِيَحكُم) بين علة الإنزال للكتب. قال أبو حيان في تفسيره: "اللام لام العلة ويتعلق بـ (أنزل) والضمير في (ليحكم) عائد على الله في قوله (فبعث) وهو المضمر في أنزل وهو الظاهر، والمعنى: أنه

514 – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٢٩٨.

515 – تفسير النسفي ج٢ ص١٠٦ باختصار.

تعالى أنزل الكتاب ليفصل بين الناس.[516]

أما قراءة أبي جعفر (ليُحكَم) فتفيد الغاية من إنزال الكتب، حيث جاء بناء الفعل للمفعول.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن إنزال الكتب جاء لحكمة وهي أن تكون هي الحكم بين الناس والدستور الذي ينبغي الرجوع إليه خصوصا عند الاختلاف كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء ٥٩ ، ولما كانت القراءة الأولى تدل على أن الله أنزل الكتب ليُحكم بها بين الناس، والقراءة الثانية تدل على أن الكتب نزلت لتحكم بين الناس فهذا يدل على أن تحكيم كتاب الله يساوي تحكيم الله في المسألة، وهذا المعنى له ما له من قداسة وقيمة واعتبار.

٤٢-﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٤

القراءات:

١. قرأ نافع (يقولُ) بالرفع.
٢. قرأ الباقون (يقولَ) بالنصب[517]

التفسير:

قال ابن كثير في تفسيره: "(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قبل أن تبتلوا

٥١٦ - تفسير البحر المحيط ج٢ ص١٤٥.

٥١٧ - النشر ج٢ ص٢٢٧.

وتختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ولهذا قال (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء) وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب، جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال: (قلنا يا رسول الله-ﷺ-ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال: إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون).[٥١٨] وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب كما قال الله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) الأحزاب ١٠-١٢ ، وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها .»[٥١٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنظر إلى قراءتي الرفع والنصب نجد أنَّ كلاً منهما يؤدي إلى غرض مستقل. قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "لمَّا كانت الآية مخبرة عن مسٍ حل بمن تقدم من الأمم ومنذرة بحلول مثله بالمخاطبين وقت نزول الآية، جاز في فعل يقول أن يعتبر قولَ رسول أمة سابقة أي زلزلوا حتى يقول رسول

٥١٨ - رواه البخاري – انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري -ج٦ ص٦١٩ – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام -رقم الحديث ٣٦١٢.

٥١٩ - تفسير ابن كثير ج١ ص٣٣٩ باختصار.

المزلزلين فـ (أل) للعهد، أو حتى يقول كل رسول لأمة سبقت فتكون (أل) للاستغراق، فيكون الفعل محكيا به تلك الحال العجيبة فيرفع بعد حتى؛ لأن الفعل المراد به الحال يكون مرفوعا، وبرفع الفعل قرأ نافع، وجاز فيه أن يعتبر قول رسول المخاطبين -ﷺ- فـ (أل) فيه للعهد والمعنى: وزلزلوا وتزلزلون مثلهم حتى يقولَ الرسول، فيكون الفعل منصوبا؛ لأن القول لمَّا يقع وقتئذ، وبذلك قرأ بقية العشرة، فقراءة الرفع أنسب بظاهر السياق وقراءة النصب أنسب بالغرض المسوق له الكلام، وبكلتا القراءتين يحصل كلا الغرضين.[٥٢٠]

فبالنظر إلى قراءة النصب تعتبر (حتى) غائية، والمعنى أن البأساء والضراء يستمران إلى أن يقول الرسول متى نصر الله وعندها يتوقف الابتلاء ويأتي الفرج والنصر من الله.

وأما على قراءة الرفع فلا يمكن اعتبار أن (حتى) تفيد الغاية وبالتالي يصبح المعنى أن البأساء والضراء يستمران حتى بعد أن يقول الرسول والذين معه متى نصر الله.

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الابتلاء سنة الأنبياء، وأن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ- حيث قال: (خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.) [٥٢١] وأن هذا الابتلاء قد يستمر حتى بعد أن يسأل النبي -ﷺ- ربه، وفي هذا تنبيه للمبتلين في الأرض بأن يثبتوا ويصبروا على ما أصابهم فلهم في نبين-ﷺ -وإخوانه من الأنبياء الأسوة الحسنة في الصبر على الشدائد.

---

٥٢٠ - تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٣١٦ باختصار.

٥٢١ - رواه الترمذي بنحوه . وقد تقدم ص٧٥.

٤٣- ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ البقرة: ٢١٩

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (كثير) بالثاء المثلثة.

٢. قرأ الباقون (كبير) بالباء الموحدة.[٥٢٢]

التفسير:

(يسألونك عن الخمر والميسر) القمار ما حكمها (قل) لهم (فيهما) أي في تعاطيهما (إثم كبير) عظيم وفي قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (ومنافع للناس) باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كد في الميسر (وإثمهما) أي ما ينشأ عنهما من المفاسد (أكبر) أعظم (من نفعهما) ولما نزلت شربها قوم وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة.[٥٢٣] قال الإمام الطبري: «والذي هو أولى بتأويل الآية الإثم الكبير الذي ذكر الله - جل ثناؤه - أنه في الخمر والميسر: فالخمر ما قاله السدي زوال عقل شارب الخمر إذا سكر من شربه إياها حتى يعزب عنه معرفة ربه وذلك أعظم الآثام وذلك معنى قول ابن عباس إن شاء الله. وأما في الميسر فما فيه من الشغل به عن ذكر الله وعن الصلاة ووقوع العداوة والبغضاء بين المتياسرين بسببه كما وصف ذلك به ربنا جل ثناؤه بقوله إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.[٥٢٤]

٥٢٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٢٣ - تفسير الجلالين ص ٣٤ . والآية هي (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ..) المائدة ٩٠.

٥٢٤ - جامع البيان ج٢ ص٣٥٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (كثير) تعدد آثام الخمر والميسر على الفرد والمجتمع.

في حين أن القراءة الأخرى (كبير) أفادت أن ضرر الخمر والميسر عظيم.

قال مكي بن أبي طالب: "قوله (إثم كبير) قرأه حمزة والكسائي بالثاء، جعلاه من الكثرة حملا على المعنى، وذلك أن الخمر تحدث مع شربها آثام كثيرة من لغط وتخليط، وسب وأيمان، وعداوة وخيانة، وتفريط في الفرائض، وفي ذكر الله وفي غير ذلك، فوجب أن توصف بالكثرة. وقرأ الباقون بالباء من الكبر، على معنى العظم، أي: فيهما إثم عظيم، وقد أجمعوا أن شرب الخمر من الكبائر، فوجب أن يوصف إثمه بالكبر، والقراءتان حسنتان متداخلتان، لأن القراءة بالتاء مراد بها العظم، ولا شك أن ما عظم فقد كثر، وقد كبر.[٥٢٥]

وبالجمع بين القراءتين: فإن الآية تبين أن في الخمر والميسر آثام كثيرة وعظيمة على الفرد والمجتمع من خلال تعدد مضارهما، مما يوجب على الناس اجتنابهما والحذر منهما.

وهذا التحذير كان توطئة لتحريمهما فيما بعد.

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ البقرة

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (العفوُ) بالرفع.
٢. قرأ الباقون (العفوَ) بالنصب.[٥٢٦]

٥٢٥ - الكشف ج١ ص٢٩١ بتصرف.

٥٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

المعنى اللغوي للقراءات:

العفو: القصد لتناول الشيء، يقال: عفاه واعتفاه أي قصده متناولا ما عنده، وعفت الريح الدار: قصدتها متناولة آثارها.[527] وعفوت عنه: قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه، والعفو هو التجافي عن الذنب، قال تعالى (فمن عفا وأصلح) الشورى ٤٠.

التفسير:

يبين المولى عز وجل الشيء الذي تكون منه الصدقة وهو ما زاد عن الحاجة.

قال الإمام الطبري: "العفو: الفضل من مال الرجل عن نفسه وأهله في مؤنتهم وما لا بد لهم منه، وذلك هو الفضل الذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله بالإذن في الصدقة وصدقة في وجه البر.[528]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة (العفوُ) و(العفوَ) فالعلاقة بينهما نحوية.

فمن قرأ (العفوُ) بالرفع جعل (ما) اسما و (ذا) خبرها وهي في موضع الذي، كأنه قال: ما الذي ينفقون ؟ فقال العفو أي الذي ينفقون العفو فيخرج الجواب على معنى لفظ السؤال.

ومن قرأ (العفوَ) بالنصب جعل (ماذا) اسما واحدا بمعنى الاستفهام أي: أي شيء ينفقون؟ رد: العفو عليه، فينصب: أي شيء ينفقون فخرج الجواب على لفظ السؤال منصوبا.[529]

فقراءة الرفع (العفوُ) تشير إلى اسمية الجملة والتي تفيد الثبات

٥٢٧ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٧٤.

٥٢٨ - جامع البيان ج٢ ص٣٦٥.

٥٢٩ - انظر حجة القراءات ص١٣٣-١٣٤.

والاستقرار. وقراءة النصب (العفوَ) تشير إلى فعلية الجملة والتي تفيد التجدد والاستمرار.

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن فيهما حث للناس على الإنفاق مما زاد عن حاجتهم مع الثبات والاستمرار عليها ولو بالقليل.

٤٤- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء.
٢. قرأ الباقون (يَطْهُرْن) بتخفيفها.[٥٣٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الطُهْر: بالضم نقيض النجاسة، كالطهارة، طهَرَ، كنَصَرَ وكَرَمَ، فهو طاهر. طَهَرَت وطَهُرَت: انقطع دمها، واغتسلت من الحيض وغيره والتطهر: التنزه والكف عن الإثم.[٥٣١]

التفسير:

قال القرطبي في تفسيره عن سبب نزول الآية: "وفي صحيح مسلم عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي -ﷺ- فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) إلى أخر الآية فقال

٥٣٠ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٣١ – القاموس المحيط ج١ ص٦٠٥ باختصار.

رسول الله-ﷺ-: اصنعوا كل شيء إلا النكاح.»[٥٣٢]

«(يسألونك عن المحيض) أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل النساء فيه (قل هو أذى) قذر أو محله (فاعتزلوا النساء) اتركوا وطأهن (في المحيض) أي وقته أو مكانه(ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) بسكون الطاء وتشديدها والهاء، أي يغتسلن بعد انقطاعه (فإذا تطهرن فأتوهن) بالجماع (من حيث أمركم الله) بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره (إن الله يحب) يثيب ويكرم (التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الأقذار.»[٥٣٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى (حتى يطهرن) هل المقصود حتى انقطاع الدم بحيث يجوز وطأ الزوجة وإن لم تغتسل غسل الجنابة أو المقصود الغسل بعد انقطاع الدم ؟.

ولكن بالنظر إلى قراءة التشديد يترجح المعنى الثاني وهو وجوب الغسل بعد انقطاع الدم حتى يُباح للزوج وطأ الزوجة. قال ابن عاشور في تفسيره: "ولمَّا ذُكر أن المحيض أذىً علم السامع أن الطهر هنا هو النقاء من ذلك الأذى، فإن وصف حائض يُقابل بطاهر وقد سميت الأقراء أطهارا. وقد يراد بالتطهر الغسل بالماء كقوله تعالى]فيه رجال يحبون أن يتطهروا) التوبة ١٠٨ ، فإن تفسيره الاستنجاء في الخلاء بالماء. فإن كان الأول أفاد منع القربان إلى حصول النقاء من دم الحيض بالجفوف، وكان قوله تعالى (فإذا تطَهَّرن) بعد ذلك شرطا ثانيا دالاً على لزوم تطهر آخر وهو غسل

٥٣٢ – الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٨١ – الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض – باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله – رقم الحديث ٣٠٢.

٥٣٣ – تفسير الجلالين ص٣٥.

ذلك الأذى بالماء؛ لأن صيغة تطهر تدل على طهارة مُعْمَلة. وإن كان الثاني كان قوله (فإذا تطَهَّرن) تصريحا بمفهوم الغاية ليبني عليه قوله (فأتوهن)، وعلى الاحتمال الثاني جاءت قراءة (حتى يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء فيكون المراد الطهر المكتسب وهو الطهر بالغسل، ويتعين على هذه القراءة أن يكون مرادا منه مع معناه لازمُه أيضا وهو النقاء من الدم ليقع الغسل موقعه بدليل قوله قبله (فاعتزلوا النساء في المحيض) وبذلك كان مآل القراءتين واحدا."[٥٣٤] وقال مكي بن أبي طالب: «فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته. وهو الاختيار لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم والتطهر بالماء. وقرأ الباقون بفتح الهاء مشددا، على معنى التطهر بالماء دليله إجماعهم على التشديد في قوله (فإذا تطهرن) فحمل الأول على الثاني، وأيضا فإن التخفيف في الأول يوهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم، وإن لم تطهر بالماء فكأن التشديد فيه رفع التوهم، أو هي في حكم الحائض ما لم تطهر.»[٥٣٥]

٤٥ - ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٩

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر ويعقوب وحمزة (يُخافا) بضم الياء.

---

٥٣٤ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٣٦٧ .

٥٣٥ – الكشف ج١ ص٢٩٣-٢٩٤.

٢. قرأ الباقون (يَخافا) بفتحها.[٥٣٦]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أحكام الطلاق من حيث العدد، وكيفية إيقاعه، وعن حكم الخلع بين الزوجين.

قال ابن كثير في تفسيره: "هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وأبانها بالكلية في الثالثة فقال (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)."[٥٣٧]

يبين المولى عز وجل أن التطليق الذي يراجع بعده (مرتان) أي اثنتان (فإمساك) فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (أو تسريح) أي إرسالهن (بإحسان ولا يحل لكم) أيها الأزواج (أن تأخذوا مما آتيتموهن) من المهور (شيئا) إذا طلقتموهن (إلا أن يَخافا) أي الزوجان (أن لا يقيما حدود الله) أي أن لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق (فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله (تلك) الأحكام المذكورة (حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون).[٥٣٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقدأفادت قراءة (يَخافا) أن الفاعل هم الأزواج أي إلا أن يخاف الزوجان.

٥٣٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٣٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٣٦٦.

٥٣٨ - انظر تفسير الجلالين ص٣٦.

قال القرطبي في تفسيره: "(إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) حرم الله تعالى في هذه الآية ألا يأخذ إلا بعد الخوف ألا يقيما حدود الله وأكد التحريم بالوعيد لمن تعدى الحد والمعنى أن يظن كل واحد منهما بنفسه ألا يقيما حق النكاح لصاحبه حسب ما يجب عليه فيه لكراهة يعتقدها فلا حرج على المرأة أن تفتدى ولا حرج على الزوج أن يأخذ والخطاب للزوجين والضمير في أن يخافا لهما و ألا يقيما مفعول به."(٥٣٩)

وأما على قراءة (يُخافا) فالفاعل المحذوف هنا: هم الولاة والحكام. قال القرطبي: «وقرأ حمزة إلا أن (يخافا) بضم الياء على ما لم يسم فاعله والفاعل محذوف وهو الولاة والحكام واختاره أبو عبيد قال لقوله عز وجل فإن خفتم قال فجعل الخوف لغير الزوجين ولو أراد الزوجين لقال فإن خافا وفى هذا حجة لمن جعل الخلع إلى السلطان قلت: وهو قول سعيد بن جبير(٥٤٠) والحسن وابن سيرين(٥٤١). «(٥٤٢) وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة قراءة حمزة بضم الياء أنه بنى الفعل للمفعول، والضمير في (يُخافا) مرفوع لم يُسم فاعله، يرجع للزوجين، والفاعل محذوف وهو الولاة والحكام. ووجه القراءة بفتح الياء أنه حُمل على ظاهر الخطاب، يُراد به الزوجان، إذا خاف كل واحد منهما ألا يقيما حدود الله حلَّ الافتداء، فهما الفاعلان.»(٥٤٣)

قال الإمام الطبري: «وأولى هذه الأقوال بالصحة قول من قال لا يحل

---

٥٣٩ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٣٧.

٥٤٠ - سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي مولاهم، أبو محمد، تابعي كوفي، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ ، وقيل سنة ٩٤هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٣٠٥﴾ .

٥٤١ - محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، توفي سنة ١٢٠هـ ﴿انظر غاية النهاية ج٢ ص١٥١﴾ .

٥٤٢ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٣٧-١٣٨ ، وانظر حجة القراءات ص١٣٥.

٥٤٣ - الكشف ج١ ص٢٩٥ باختصار.

للرجل أخذ الفدية من امرأته على فراقه إياها حتى يكون خوف معصية الله من كل واحد منهما على نفسه في تفريطه في الواجب عليه لصاحبه، ومن قال في ذلك قولهما لأن الله تعالى ذكره إنما أباح للزوج أخذ الفدية من امرأته عند خوف المسلمين عليهما أن لا يقيما حدود الله.»(٥٤٤)

وبالجمع بين القراءتين: يتضح لنا أنه لا يجوز الخلع إلا إذا تحقق الخوف من الزوجين ومن الحكام بعدم قيام الزوجين بالحقوق الزوجية، كل تجاه صاحبه. ويحرم طلب الزوجة الخلع لمجرد الهوى من غير سبب شرعي مقنع؛ لأن مسألتها إياه الفرقة على ذلك الوجه معصية منها لله، عن ثوبان مولى رسول الله -ﷺ- عن النبي -ﷺ- أنه قال: (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس حرم الله عليها رائحة الجنة.)(٥٤٥)

٤٦- ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان (لا تضارُ) برفع الراء.
٢. واختلف عن أبي جعفر بين تسكين الراء وتخفيفها (لا تضارْ) وفتحها مع التشديد (لا تضارَّ).

٥٤٤- جامع البيان ج٢ ص٤٦٥ باختصار.

٥٤٥- رواه الترمذي وقال غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.ج٢ ص٤٠٢ ، حديث ١١٩٠

٣. وقرأ الباقون (لا تضارَّ) بفتحها.[٥٤٦]

٤. قرأ ابن كثير (ما أتيتم) بقصر الهمزة، من باب المجيء.

٥. وقرأ الباقون (ما آتيتم) بالمد من باب الإعطاء.[٥٤٧]

المعنى اللغوي للقراءات:

الضُّرُّ: سوء الحال؛ إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة؛ وإما في بدنه لعدم جارحةٍ ونقصٍ؛ وإما في حالةٍ ظاهرةٍ من قلة مال وجاه. والضراء يقابل بالسراء والنعماء، والضر بالنفع. والإضرار: حمل الإنسان على ما يضره، وهو في التعارف حمله على ما يكرهه.[٥٤٨]

التفسير:

انتقال من أحكام الطلاق والبينونة؛ فإنه لما نهى عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات؛ لأن ذلك قد يضر بالأولاد، ويقلل رغبة الأزواج فيهن، كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهن في ذلك.[٥٤٩]

«قوله (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر في معنى الأمر المؤكد، وهذا الأمر على وجه الندب أو على وجه الوجوب (حولين) ظرف (كاملين) تامين (لمن أراد أن يتم الرضاعة) (وعلى المولود له) وهو الوالد (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا إسراف ولا تقتير (لا تكلف نفس إلا وسعها) وجدها أو قدر إمكانها (لا تضار والدة بولدها) أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل

٥٤٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧-٢٢٨.

٥٤٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.

٥٤٨ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٣-٥٠٤.

٥٤٩ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٤٢٩.

قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئراً[550] وما أشبه ذلك (ولا مولود له بولده) أي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد إرضاعه (وعلى الوارث) عطف على قوله (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الأب (مثل ذلك) أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة (فإن أرادا) يعنى الأبوين (فصالاً) فطاماً صادراً (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زاد على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي (و إن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم (فلا جناح عليكم إذا سلمتم) إلى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم إيتاءه من الأجرة (بالمعروف) متعلق بـ(سلمتم) أي سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور (واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها.»[551]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (لا تضارَّ) بالفتح، وموضعه جزم على النهي منع إضرار أي الزوجين بالآخر بسبب الولد. أي لا تأبى الأم أن ترضعه إضرارا بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها ولا يحل للأب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع.

وأما قراءة (لا تضارُّ) بالرفع على الخبر على أن الأمر لا يحتاج إلى نهي

---

٥٥٠ - الظئر هي المرضع

٥٥١ - تفسير النسفي ج١ ص١١٧-١١٨ باختصار.

صريح لفظاً؛ لأنه ينبغي أن يكون مركوز في نفس الزوج والزوجة الحرص على ابنيهما، وأن لا يدفعهما البعض إلى الإضرار بالولد.

قال ابن عاشور: "وأما قراءة الجمهور(لا تضارَّ) بفتح الراء المشددة على أن (لا) حرف نهي و(تضار) مجزوم بلا الناهية، والفتحة للتخلص من التقاء الساكنين، وقراءة الرفع على أن لا حرف نفي، والكلام خبر في معنى النهي. وكلتا القراءتين يجوز أن تكون على نية بناء الفعل للفاعل، بتقدير لا تضارِرْ، وبنائه للنائب بتقدير نهي أن يكلف أحدهما الآخر ما هو فوق طاقته، أو تضر الوالدة ولدها، ولا المولود له ولده أي: لا يكن أحد الأبوين سبباً في إلجاء الآخر إلى الامتناع مما يعين على إرضاع الأم ولدها."[٥٥٢]

وأما بالنسبة لقراءة (ما أتيتم) والتي هي من باب المجيء، فإنها جاءت مفسرةً لقراءة الجمهور (ما آتيتم) والتي هي من باب الإعطاء، بمعني ما جئتم به من مال عن طيب نفس منكم وسلمتموه إلى المرضعة.

وبالجمع بين القراءات نجد أن الآية الكريمة تحث الأزواج ممن وقع بينهم طلاق وكان لديهم مولود أن يتقوا الله في أنفسهم وفي المولود فلا يضر أحدهما الآخر مستغلا وجوده؛ بل الواجب في حقهما الحرص عليه وتوفير الرعاية التامة له، وأن يبادر الأزواج إلى دفع نفقات المرضعة عن طيب نفس ومسارعة؛ حتى لا يتأذى المولود. وهذا إن دل فإنما يدل على حرص الإسلام على الأسرة المسلمة وعلى رعاية الأبناء والاهتمام بهم حتى في حال الفصال وتفرق الأزواج.

٥٥٢- تفسير التحرير والتنوير ج٢ ص٤٣٣، ٤٣٤ باختصار، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٦٧، وانظر حاشية حجة القراءات ص١٣٦.

٤٧- ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٦

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (تُماسُوهن) بضم التاء، وألف بعد الميم.
٢. وقرأ الباقون (تَمسوهن) بفتح التاء من غير ألف.
٣. وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص (قَدَره) بفتح الدال فيهما.
٤. وقرأ الباقون (قَدْره) بإسكانها منهما.[٥٥٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

المَس: كاللمس، والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكني به عن النكاح، فقيل مسها وماسها.[٥٥٤]

القُدْرَة: إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له، بها يتمكن من فعل شيء ما.[٥٥٥] قال الفيروز آبادي: «القَدْرُ: الغنى، واليسار، والقوة، كالقدرة والمقدرة.»[٥٥٦]

التفسير:

لمَّا جرى الكلام في الآيات السابقة على الطلاق الذي تجب فيه العدة، وهو طلاق المدخول بهن، عرج هنا على الطلاق الواقع قبل الدخول. قال صاحب الجلالين: "(لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أي تجامعوهن (أو) لم (تفرضوا لهن فريضة) مهرا أي لا تبعة عليكم في

٥٥٣ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.
٥٥٤ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦٦-٧٦٧.
٥٥٥ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٧.
٥٥٦ – القاموس المحيط ج١ ص٦٤١.

الطلاق زمن عدم المسيس والفرض، بإثم ولا مهر فطلقوهن وأعطوهن ما يتمتعن به (على الموسع) الغني منكم (قدره وعلى المقتر) الضيق الرزق (قدره) يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) شرعا (حقا على المحسنين) المطيعين.[٥٥٧]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (تُماسوهن)، (تَمسوهن) فالقراءتان بمعنى واحد أي تجامعوهن، على الرغم من أن قراءة (تُماسوهن) تعني المفاعلة من اثنين. قال القرطبي: "(تُماسوهن) من المفاعلة لأن الوطء تم بهما. وقد يرد في باب المفاعلة فاعل بمعنى فعل نحو: طارقت النعل وعاقبت اللص، والقراءة الأولى تقتضي معنى المفاعلة في هذا الباب بالمعنى المفهوم من المس."[٥٥٨]

وقال الإمام الطبري: «والذي نرى في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وإن كان في إحداهما زيادة معنى غير موجبة اختلافا في الحكم والمفهوم، وذلك أنه لا يجهل ذو فهم إذا قيل له مسست زوجتي أن الممسوسة قد لاقى من بدنها بدن الماس ما لاقاه مثله من بدن الماس فكل واحد منهما وإن أفرد الخبر عنه بأنه الذي ماس صاحبه معقول كذلك الخبر نفسه أن صاحبه الممسوس قد ماسه، فلا وجه للحكم لإحدى القراءتين مع اتفاق معانيهما وكثرة القراءة بكل واحدة منهما بأنها أولى بالصواب من الأخرى بل الواجب أن يكون القارئ بأيتهما قرأ مصيب الحق في قراءته.»[٥٥٩]

---

٥٥٧ - تفسير الجلالين ج١ ص٥١ .

٥٥٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٩٩.

٥٥٩ - جامع البيان ج٢ ص٥٢٩.

وأما بالنسبة لقراءتي «(قَدْره)، (قَدَره) فذهب بعض العلماء إلى أنهما لغتان بمعنى واحد. قال أبو حيان في تفسيره: (هما لغتان فصيحتان بمعنى حكاه الأخفش وغيره، ومعناه ما يطيقه الزوج، وعلى أنهما بمعنى واحد أكثر أئمة العربية. وقيل الساكن مصدر والمتحرك اسم كالعدّ والعدد، والمدّ والمدد، وكان القدر بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره أي: وسعه.»[٥٦٠]

ولكن بالتدقيق في معنى القراءتين: نجد أن قراءة (قدْره) بالتسكين تفيد أن على كل إنسان أن يبذل ما يستطيع من النفقة بقدر جهده. وأما قراءة (قدَره) فتفيد أن النفقة لا بد أن تكون بحسب حال المطلق من السعة أو القلة. قال الألوسي في تفسيره: «وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبا بكر وابن ذكوان (قدره) بفتح الدال والباقون بإسكانها وهما لغتان فيه، وقيل: القدر بالتسكين الطاقة، وبالتحريك المقدار.»[٥٦١]

وبالجمع بين القراءتين: نجد أنه ينبغي على من طلق زوجته قبل الجماع وقبل أن يفرض لها مهرا، عليه أن يدفع لها متعة الطلاق بحسب حاله ووضعه المالي وأن يبذل جهده وطاقته في ذلك.

٤٨- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٠

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص (وصيةً) بالنصب.

٥٦٠ - تفسير البحر المحيط ج٢ ص٢٤٣.

٥٦١ - روح المعاني ج٢ ص١٥٣.

٢. قرأ الباقون (وصيةٌ) بالرفع.[٥٦٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ، من قولهم أرض واصية: متصلة النبات.[٥٦٣]

التفسير:

يبين المولى عز وجل في هذه الآية ما كان عليه الحال من وجوب الوصية للمطلقة فقال تعالى: "(والذين يتوفون منكم) يا معشر الرجال ويتركون زوجات فليوصوا وصية (متاعا إلى الحول) والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج إليه من غير إخراج، (فإن خرجن) يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للنكاح (والله عزيز حكيم)."[٥٦٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام الطبري: "(وصيةً لأزواجهم) بنصب الوصية بمعنى: فليوصوا وصية لأزواجهم أو عليهم وصية لأزواجهم.

وقرأ آخرون (وصية لأزواجهم) برفع الوصية. ثم اختلف أهل العربية في وجه رفع الوصية فقال بعضهم رفعت بمعنى كتبت عليهم الوصية واعتل في ذلك بأنها كذلك في قراءة عبد الله. فتأويل الكلام على ما قاله هذا القائل: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا كتبت عليهم وصية لأزواجهم ثم ترك ذكر كتبت ورفعت الوصية بذلك المعنى وإن كان متروكا ذكره. وقال

٥٦٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.

٥٦٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٣.

٥٦٤ - انظر معالم التنزيل ج١ ص٢٩٠-٢٩١ .

آخرون منهم: بل الوصية مرفوعة بقوله (لأزواجهم) فتأول لأزواجهم وصية والقول الأول أولى بالصواب في ذلك وهو أن تكون الوصية في ذلك، وهو أن تكون الوصية إذا رفعت مرفوعة بمعنى كتب عليكم وصية لأزواجكم أما من قرأ (وصيةً) بالنصب فالمعنى: فليوصوا وصية لأزواجهم.[٥٦٥]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن قراءة الرفع (وصيةٌ) قد جاءت مفسرة لقراءة النصب (وصيةً) ومبينة حكم الوصية، بحيث أوجبت على من حضرته الوفاة الوصية، فهي واجبة في حقه ويصبح معنى الآية: أن على من حضرته الوفاة وترك أزواجاً أن يوصي لهن بالمتاع لأن هذا فرض لهن وحق لهن.[٥٦٦]

٤٩- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ البقرة: ٢٤٥

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف (فيضاعفُه) بتخفيف العين وألف قبلها مع رفع الفاء على الاستئناف أي فهو يضاعفه.
٢. قرأ ابن كثير وأبو جعفر (فيضعِّفُه) بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء على الاستئناف أيضا.
٣. قرأ ابن عامر ويعقوب (فيضعِّفَه) بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء.
٤. قرأ عاصم (فيضاعِفَه) بتخفيف العين وألف قبلها مع نصب الفاء.[٥٦٧]

٥٦٥ - جامع البيان ج٢ ص٥٧٨.

٥٦٦ - انظر روح المعاني ج٢ ص١٥٨-١٥٩.

٥٦٧ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

الضِّعف هو من الألفاظ المتضايفة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر، ويختص بالعدد، فإذا قيل: أضعفت الشيء وضعَّفته وضاعفته: ضممت إليه مثله فصاعدا.

قال بعضهم ضاعفت أبلغ من ضعَّفت.[٥٦٨]

التفسير:

يبين المولى -عَجَلَّ- في هذه الآية ما أعده الله للمنفقين في سبيل الله تعالى. قال الطبري في تفسيره: "من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين ذا ضعف، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترا، وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه. وإنما جعله تعالى ذكره حسنا، لأن المعطي يعطي ذلك عن ندب الله إياه، وحثه له عليه احتسابا منه، فهو لله طاعة، وللشياطين معصية، وليس ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه، (والله يقبض ويبسط) يعني تعالى ذكره بذلك أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره ممن ادعى أهل الشرك به أنهم آلهة. وأما قوله (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فإنه عدة من الله تعالى ذكره مقرضه ومنفق ماله في سبيل الله من إضعاف الجزاء له على قرضه ونفقته ما لا حد له ولا نهاية.[٥٦٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

توجيه قراءة النصب أن الفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لوقوعها بعد الاستفهام.

---

٥٦٨ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٨.

٥٦٩ - جامع البيان ج٢ ص٥٩٢ باختصار.

ووجه التشديد والتخفيف في العين أنهما لغتان.[570]

قال مكي بن أبي طالب: "أما بالنسبة لقراءتي التشديد والتخفيف فهما لغتان بمعنى واحد يقصد بهما التكثير والمضاعفة."[571] وقال ابن زنجلة: «قال الكسائي: المعنى فيهما واحد ضعَّف وضاعَف.»[572] وقال القرطبي: «التشديد والتخفيف لغتان.»[573]

وأما بالنسبة لقراءتي الرفع والنصب فعلاقتهما نحوية، ومعناهما واحد. قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من نصب حمل الكلام على المعنى، فجعله جوابا للشرط لأن المعنى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له. وحجة من رفعه أنه قطعه مما قبله، ولم يدخله في صلة (الذي) في قولك: من ذا الذي يقرض الله فالله يضاعفه له. ويجوز أن يرفع على العطف على ما في الصلة على يقرض.»[574] وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «ورفع (فيضاعفه) على قراءة الجمهور، على العطف على (يقرض) ليدخل في حيز التحضيض معاقبا للإقراض في الحصول، وقرأه ابن عامر وعاصم ويعقوب: بنصب الفاء على جواب التحضيض، والمعنى على كلتا القراءتين واحد.»[575]

٥٠- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ

٥٧٠ - انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة - ج١ ص٧٠ د. محمد سالم محيسن: دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة - ط١ - ١٣٩٦هـ

٥٧١ - انظر الكشف ج١ ص٣٠٠.

٥٧٢ - حجة القراءات ص١٣٨.

٥٧٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٤٢.

٥٧٤ - الكشف ج١ ص٣٠٠-٣٠١ باختصار.

٥٧٥ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٤٨٢-٤٨٣.

فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة: ٢٤٩

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو (غَرفة) بفتح الغين.

٢. قرأ الباقون (غُرفة) بضمها.[٥٧٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغَرْفُ: رفع الشيء وتناوله، يقال: غَرَفت الماء والمرق، والغُرْفَة: ما يُغْتَرَف، والغَرْفَة: للمرَّة، والمِغْرَفة: لما يتناول به.[٥٧٧]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما حصل للقائد طالوت وجنده بعد انفصالهم عن بيت المقدس وخروجهم لملاقاة الأعداء، والابتلاء الذي وضعهم فيه طالوت بأمر الله لتمحيص هذه الفئة فلا يبقى معه إلا الصادقون وهم الذين يكتب على أيديهم النصر بإذن الله. قال صاحب الجلالين: "(فلما فصل) خرج (طالوت بالجنود) من بيت المقدس وكان الحر شديدا وطلبوا منه الماء (قال إن الله مبتليكم) مختبركم (بنَهر) ليظهر المطيع منكم والعاصي (فمن شرب منه) أي من ماءه (فليس مني) أي من أتباعي (ومن لم يطعمه) يذقه (فإنه مني إلا من اغترف غرفة) بالفتح والضم (بيده) فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني (فشربوا منه) لما وافوه بكثرة (إلا قليلا منهم)

٥٧٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.

٥٧٧ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٥.

فاقتصروا على الغرفة (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) وهم الذين اقتصروا على الغرفة (قالوا) أي الذين شربوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قال الذين يظنون) يوقنون (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم) خبرية بمعنى كثير (من فئة) جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) بإرادته (والله مع الصابرين) بالعون والنصر.[578]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل قراءة معنى مستقلاً عن الآخر، ومكملاً له.

فبالنسبة لقراءة (غُرفة) بالضم: فتعني المقدار الذي يباح لهم شربه.

وبالنسبة لقراءة (غَرفة) بالفتح: فتعني عدد المرات التي يباح لهم تناول الماء فيها وهي مرة واحدة. وهذا قول الطبري والقرطبي.[579] وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من ضم أنه جعله اسم الماء المغترف، فعدي الفعل إليه، لأنه مفعول به، كأنه قال: إلا من اغترف ماء على قدر مثل ملء اليد . وحجة من فتح أنه جعله مصدرا، فهو نصب على المصدر، والمفعول به محذوف، تقديره: إلا من اغترف ماء غرفة، أي مرة واحدة.»[580] وقال الطبرسي: «(إلا من اغترف غرفة بيده) إلا من أخذ الماء مرة واحدة باليد، ومن قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه.»[581] وقال الطاهر بن عاشور: «(والغَرفة) بفتح الغين المرَّة من الغَرْف، وهو أخذ الماء باليد . ومن قرأ (غُرفة) بضم الغين: هو المقدار المغروف من الماء. ووجه تقييده بقوله (بيده) مع أن الغرف لا يكون إلا باليد لدفع توهم أن يكون المراد

٥٧٨ - تفسير الجلالين ص٤١ باختصار.

٥٧٩ - انظر جامع البيان ج٢ ص٦١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٥٣.

٥٨٠ - الكشف ج١ ص ٣٠٤باختصار.

٥٨١ - مجمع البيان ج٢ ص ١١٤.

تقديرَ مقدار الماء المشروب، فيتناوله بعضهم كرها، فربما زاد على المقدار فجعلت الرخصة الأخذ باليد.»[582]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إلا من تناول ماء ملء كفه مرةً واحدةً فقط.

٥١- ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١

القراءات:

١. قرأ المدنيان ويعقوب (دِفاع) بكسر الدال وألف بعد الفاء.
٢. قرأ الباقون (دَفع) بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف.[583]

المعنى اللغوي للقراءات:

الدَّفع: إذا عُدِّي بـ (إلى) اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى (فادفعوا إليهم أموالهم) النساء ٦ ، وإذا عُدِّي بـ (عن) اقتضى معنى الحماية، نحو قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) الحج ٣٨ ، وقال (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض)[584] الحج ٤٠ .

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما آلت إليه المعركة من انتصار كاسح للفئة المؤمنة على الفئة الكافرة، وبروز نجم داود ذاك الشاب الشجاع الذي تمكن

٥٨٢ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٤٩٨.
٥٨٣ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.
٥٨٤ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣١٦.

من قتل الطاغية جالوت، وكيف أكرمه الله بالملك على بني إسرائيل، مع الحكمة والنبوة، كما تتحدث الآية عن حكمة الله في إيجاد قانون التدافع بين البشر من أجل استمرارية الحياة وصلاحها . قال النسفي في تفسيره: "(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) أي ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل، أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين (لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بإزالة الفساد عنهم."[٥٨٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام الطبري: "قرأت جماعة من القراء (ولولا دفع الله) على وجه المصدر من قول القائل دفع الله عن خلقه فهو يدفع دفعا واحتجت لاختيارها ذلك بأن الله تعالى ذكره هو المتفرد بالدفع عن خلقه ولا أحد يدافعه فيغالبه. وقرأت ذلك جماعة أخرى من القراء (ولولا دفاع الله الناس) على وجه المصدر من قول القائل دافع الله عن خلقه فهو يدافع مدافعة ودفاعا، واحتجت لاختيارها ذلك بأن كثيرا من خلقه يعادون أهل دين الله وولايته والمؤمنين به، فهو بمحاربتهم إياهم ومعاداتهم لهم لله مدافعون بباطلهم ومغالبون بجهلهم، والله مدافعهم عن أوليائه وأهل طاعته والإيمان به."[٥٨٦] وقال البغوي: «قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع.»[٥٨٧] وقال ابن عاشور: «والدفاع

٥٨٥ - تفسير النسفي ج١ ص١٢٦ باختصار.

٥٨٦ - جامع البيان ج٢ ص٦٣٤.

٥٨٧ - معالم التنزيل ج١ ص٣٠٧.

مصدر دافع الذي هو مبالغة في دفع، لا للمفاعلة.»[٥٨٨] فلا مانع من أن تكون (دفاع) هي من باب الفاعلة، كما ذهب إلى ذلك الطبري ولكن بين البشر أنفسهم بحيث نجد من كل فريق الحرص في الدفاع عن نفسه.

وهذا هو المطلوب من أصحاب الحقوق أن يدافعوا عنها بكل ما أوتوا من قوة، ورد الظلم عن المظلومين والأخذ على يد السفهاء والعابثين، لينعم المجتمع بالأمن والأمان.

٥٢-﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٤

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان (لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ) بالفتح من غير تنوين.
٢. قرأ الباقون (لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ) بالرفع والتنوين.[٥٨٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

البيع: إعطاء المُثَمن وأخذ الثَمن، والشراء: إعطاء الثمن وأخذ المُثَمن، ويقال للبيع: الشراء، وللشراء البيع، وذلك بحسب ما يتصور من الثمن والمثمن.[٥٩٠]

الخُلة: المودة، إما لأنها تتخلَّ النفس، أي تتوسطها، وإما لأنها تُخلُّ النفس فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال: خالَلته مُخالَّة وخِلالاً فهو خليل.[٥٩١]

٥٨٨ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٥٠٠.

٥٨٩ - انظر النشر ج٢ ص٢١١.

٥٩٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٥.

٥٩١ - انظر المصدر السابق ص٢٩٠-٢٩١.

الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى.[٥٩٢]

التفسير:

مناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنه لما ذكر أن الله تعالى أراد الاختلاف إلى مؤمن وكافر، وأراد الاقتتال، وأمر به المؤمنين، وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه، أمر تعالى بالنفقة من بعض ما رزق، فشمل النفقة في الجهاد، وهي وإن لم ينص عليها مندرجة في قوله (أنفقوا) وداخلة فيها دخولا أوليا إذ جاء الأمر بها عقب ذكر المؤمن والكافر واقتتالهم.[٥٩٣]

قال ابن كثير: «يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أي لا يباع أحد من نفسه ولا يفادي بمال لو بذله ولو جاء بملء الأرض ذهبا، ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته بل ولا نسابته كما قال (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون(المؤمنون١٠١ ، (ولا شفاعة) أي ولا تنفعهم (شفاعة الشافعين(المدثر ٤٨ ، وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره أي: ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا.»[٥٩٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان متساويتان معنى، وإنما أثرهما يظهر من الناحية النحوية فقط.

قال ابن زنجلة: "اعلم أن (لا) إذا وقعت نكرة جعلت هي والاسم الذي

٥٩٢ - انظر المصدر السابق ص٤٥٨.

٥٩٣ - تفسير البحر المحيط ج٢ ص٢٨٤-٢٨٥.

٥٩٤ - تفسير ابن كثير / ج١ ص٤٠٨.

بعدها كاسم واحد وبني ذلك على الفتح، فإذا كررت جاز الرفع والنصب، وإذا لم تكرر فالوجه فيه الفتح. قال تعالى (لا ريب فيه)البقرة ٢ .[٥٩٥] وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور لا بيع – وما بعده – بالرفع لأن المراد بالبيع والخلة والشفاعة الأجناس لا محالة، إذ هي من أسماء المعاني التي لا أحاد لها في الخارج فهي أسماء أجناس لا نكرات، ولذلك لا يحتمل نفيها إرادة الواحد حتى يحتاج عند قصد التنصيص على إرادة نفي الجنس إلى بناء الاسم على الفتح، بخلاف نحو لا رجل في الدار ...وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح لنفي الجنس نصا، فالقراءتان متساويتان معنى، ومن التكلف هنا قول البيضاوي إنَّ وجه قراءة الرفع وقوع النفي في تقدير جواب لسؤال قائل: هل بيع فيه أو خلة أو شفاعة.»[٥٩٦] وقال الألوسي في تفسيره: «وإنما رفعت هذه المنفيات الثلاثة مع أن المقام يقتضي التعميم والمناسب له الفتح لأن الكلام على تقدير هل بيع فيه أو خلة أو شفاعة والبيع وأخواه فيه مرفوعة فناسب رفعها في الجواب مع حصول العموم في الجملة وإن لم يكن بمثابة العموم الحاصل على تقدير الفتح، وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل في ذكر ما هو نص في العموم كذا قالوا. ولعل الأوجه القول بأن الرفع لضعف العموم في غالبها وهو الخلة والشفاعة للاستثناء الواقع في بعض الآيات والمغلوب منقاد لحكم الغالب.»[٥٩٧]

٥٣- ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

٥٩٥ - حجة القراءات ص١٤١.

٥٩٦ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٣ ص١٤-١٥.

٥٩٧ - روح المعاني ج٣ ص٤.

يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة: ٢٥٩

القراءات:

١. قرأ ابن عامر والكوفيون (نُنْشِزُها) بالزاي المنقوطة.

٢. قرأ الباقون (نُنْشِرُها) بالراء المهملة.[٥٩٨]

٣. قرأ حمزة والكسائي (قال اعلمْ) بالوصل وإسكان الميم على الأمر.

٤. قرأ الباقون (قال أعلمُ) بقطع الهمزة والرفع على الخبر.[٥٩٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

النَّشْر: الريح الطيبة، أو أعم، وإحياء الميت، كالنشور والانتشار، والحياة، نشره فنشر.[٦٠٠]

النَّشْز: المرتفع من الأرض، ويعبر عن الإحياء بالنشر والإنشاز؛ لكونه ارتفاع بعد اتضاع ونشوز المرأة: بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته، وعينها عنه إلى غيره.[٦٠١]

التفسير:

القصة السابقة لإثبات وجود الله، وهذه القصة والتي تليها في قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم) لإثبات الحشر والبعث بعد الفناء.[٦٠٢] قال ابن عاشور في تفسيره: «وإذ قد قرر بالآية قبلها ثبوت انفراد الله بالألوهية، وذلك أصل

---

٥٩٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٣١.

٥٩٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٣١-٢٣٢.

٦٠٠ - انظر القاموس المحيط ج١ ص٦٦٩.

٦٠١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٠٦.

٦٠٢ - انظر التفسير المنير ج٣ ص٣٣.

الإسلام، أعقب بإثبات البعث الذي إنكاره أصل أهل الإشراك.»[٦٠٣]

قال صاحب الجلالين: «(أو كالذي مر على قرية) هي بيت المقدس راكبا على حمار، وهو عزير (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوطها لما خربها بختنصر (قال أنى) كيف (يحيي هذه الله بعد موتها) استعظاما لقدرته تعالى (فأماته الله) وألبثه (مائة عام ثم بعثه) أحياه ليريه كيفية ذلك (قال) تعالى له (كم لبثت) مكثت هنا (قال لبثت يوما أو بعض يوم) لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتغير مع طول الزمان (وانظر إلى حمارك) كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح، فعلنا ذلك لتعلم (ولنجعلك آية) على البعث (للناس وانظر إلى العظام) من حمارك (كيف ننشرها) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من أنشر ونشر لغتان، وفي قراءة بضمها والزاي نحركها نرفعها (ثم نكسوها لحما) فنظر إليه وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فلما تبين له) ذلك بالمشاهدة (قال أعلم) علم مشاهدة (أن الله على كل شيء قدير) وفي قراءة (اعلمْ) أمر من الله له.»[٦٠٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (نُنْشِزُها) الارتفاع بتركيب العظام بعضها على بعض.

في حين أفادت قراءة (نُنْشِرُها) الإحياء بعد الموت.

قال مكي بن أبي طالب: "النشز: وهو المرتفع من الأرض، أي وانظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء. وحجة من قرأ بالراء أنه جعله من النشور وهو الإحياء، فالمعنى: وانظر إلى عظام

٦٠٣ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص٣٤

٦٠٤ – تفسير الجلالين ص٤٣ باختصار.

حمارك، التي قد ابيضت من مرور الزمان عليها، كيف نحييها."[٦٠٥]

وقال الإمام الطبري: «(كيف نُنْشِزها) فإن القراء اختلفت في قراءته فقرأ بعضهم (وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزُها) بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراءة الكوفيين بمعنى: وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم. وقرأ ذلك آخرون (وانظر إلى العظام كيف نُنْشِرها) بضم النون قالوا من قول القائل أنشر الله الموتى فهو ينشرهم إنشارا وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى: وانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما.»[٦٠٦] وقال ابن عاشور: «فحصل من القراءتين معنيان لكلمة واحدة، فيصبح المعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها حين نركب بعضها على بعض ثم تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم ثم نحييها بنفخ الروح فيها.»[٦٠٧]

وأما بالنسبة لقراءة القطع (أعلمُ) فهذا إخبار من الذي مر علي القرية عن نفسه. في حين أن قراءة الوصل (اعلمْ) أنه أمر من الله له. قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بالقطع أنه أخبر عن نفسه، عندما عاين من قدرة الله في إحياء الموتى، فتيقن ذلك بالمشاهدة، فأقر أنه يعلم أن الله على كل شيء قدير ...وحجة من قرأ بوصل الألف أنه جعلها أمرا، معناه الخبر ...وفي حرف عبد الله ما يدل على أنه أمر من الله له بالعلم، على معنى: الزم هذا العلم لما عاينت، وذلك أن في حرفه (قيل اعلم)، وأيضا فإنه موافق لما قبله من الأمر.»[٦٠٨]

٦٠٥ – الكشف ج١ ص٣١٠-٣١١ باختصار.

٦٠٦ – جامع البيان ج٣ ص ٤٣ باختصار.

٦٠٧ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص٣٧.

٦٠٨ – الكشف ج١ ص٣١٢ باختصار.

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى أمره أن يقر بما شاهده عيانا من قدرة الله عز وجل فأقر بأن الله على كل شيء قدير.

٥٤- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

البقرة: ٢٦٠

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس (فصِرهن) بكسر الصاد.

٢. قرأ الباقون (فصُرهن) بالضم.[٦٠٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

صُرْهُنَّ: معناه قطعهن، يقال: صار الشيء يَصُوره أي قطعه، والصَّور: القطع.[٦١٠]

قال الراغب الأصبهاني: «الصَّرَّة: الجماعة المنضم بعضهم إلى بعض كأنهم صُرُّوا، أي: جُمعوا في وعاء.»[٦١١]

التفسير:

هنا عطف على قوله (أو كالذي مر على قرية) فهو مثال ثالث لقضية قوله (الله ولي الذين آمنوا) الآية، ومثال ثاني لقضية (أو كالذي مر على قرية) فالتقدير: أو هو كإبراهيم إذ قال رب أرني ...الخ. فإن إبراهيم- عليه السلام -لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام

٦٠٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٢.

٦١٠ - انظر الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٠١.

٦١١ - مفردات ألفاظ القرآن ص٤٨٢.

الانتقال من العلم النظري البرهاني إلى العلم الضروري فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس.(٦١٢)

تتحدث الآية الكريمة عن طلب إبراهيم-عليه السلام -من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى عيانا، وإبراهيم عليه السلام ما كان شاكا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وإنما أراد أن ينتقل من علم القين إلى عين اليقين.

قال النسفي في تفسيره: «وإنما قال له (أو لم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و(بلى) إيجابا لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكونا وطمأنينة (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) بكسر الصاد حمزة أي أملهن واضممهن إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفى أرضك (ثم ادعهن) قل لهن تعالين بإذن الله (يأتينك سعيا) مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن، وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيأتها وحلاها لئلا تلتبس عليه الأحياء ولا يتوهم أنها غير تلك (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة.»(٦١٣)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد باعتبار أن معنى (فصرهُن) بالكسر والضم واحد وهو: فقطعهن أو فأَملِهن. وقيل إن قراءة الضم (فصُرهن) بمعنى أملهن وضمهن، وقراءة الكسر (فصِرهن) بمعنى

٦١٢ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج ٣ ص٣٨.

٦١٣ - تفسير النسفي ج١ ص١٣٢-١٣٣ باختصار.

قطعهن.[٦١٤] قال الألوسي في تفسيره: «(فصرهن) قرأ حمزة ويعقوب بكسر الصاد والباقون بضمها مع التخفيف من صاره يصوره ويصيره: لغتان بمعنى قطعه أو أماله لأنه مشترك بينهما كما ذكره أبو علي[٦١٥]، وقال الفراء: الضم مشترك بين المعنيين، والكسر بمعنى القطع فقط. وقيل الكسر بمعنى القطع، والضم بمعنى الإمالة. وعن الفراء إن صاره مقلوب صراه عن كذا قطعه ...أي إجمعهن وضمهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءا من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلا.»[٦١٦]

وعلي كلا الرأيين فمعنى القراءتين: خذ أربعة من الطير فأملهن وضمهن إليك لتتعرف عليهن ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا.

٥٥-﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩

القراءات:

١. قرأ يعقوب (يُؤتِ) بكسر التاء وهو على أصله في الوقف على الياء، وذلك يقتضي أن تكون (مَن) عنده موصولة: أي والذي يؤتيه الله الحكمة؛ ولو كانت عنده شرطية لوقف عليها بالحذف كما يقف على (ومن تق السيئات) غافر ٩ ، ونحوه.

٢. قرأ الباقون (يُؤتَ) بفتح التاء ولا خلاف عنهم في الوقف على التاء.[٦١٧]

---

٦١٤ - انظر الكشف ج١ ص٣١٣ ، وانظر جامع البيان ج٣ ص٥٢-٥٦.

٦١٥ - المقصود به أبو علي الفارسي وقد تقدمت ترجمته.

٦١٦ - روح المعاني ج٣ ص٢٩ باختصار.

٦١٧ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٥.

التفسير:

يصف الله تعالى نفسه فيقول (يؤتي الحكمة) أي يؤتي الله الحكمة (من يشاء) وذكر في معنى الحكمة وجوها، قيل إنه علم القرآن، وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: إنه علم الدين وقيل هي النبوة ..(ومن يؤت الحكمة) أي ومن يؤتى ما ذكرنا (فقد أوتي) أي أعطي (خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو ا الألباب) أي وما يتعظ بآيات الله إلا ذوو العقول.[618] قال الإمام الطبري بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى الحكمة: «فإذا كان ذلك كذلك معناه كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة. وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله فقيها عالما وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور والنبوة بعض معاني الحكمة.

فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا.»[619]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة (يؤتَ) المبنية للمفعول مبهمةً للفاعل.

في حين أن قراءة (يؤتِ) المبنية للفاعل جاءت مبينه للفاعل وهو الله.[620]

وبالجمع بين القراءتين يتبين معنى الحكمة الواردة في الآية: وهي الفهم الحقيقي للدين الذي يعطيها الله من اصطفاهم من عباده؛ باعتبار أن

٦١٨ - انظر مجمع البيان ج٢ ص١٥١-١٥٢.

٦١٩ - جامع البيان ج٣ ص٩١.

٦٢٠ - راجع كتاب المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د . محمد سالم محيسن ج١ ص٨٣.

المعطي هو الله -ﷻ- وأن أصحاب هذه الحكمة هم الذين يستحقون أن يوصفوا بالحكماء. وبالتالي فإن غيرهم من أصحاب المعارف غير المؤمنين لا يسمون حكماء وإن وصلوا إلى أعلى المعارف الدنيوية حتى يجمعوا مع العلم والمعرفة الإسلام.

٥٦- ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ البقرة: ٢٧١

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحفص (يكفرُ) بالياء والرفع.
٢. قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف (نكفرْ) بالنون والجزم.
٣. قرأ الباقون (نكفرُ) بالنون والرفع.[٦٢١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكفر: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها.[٦٢٢]

التفسير:

استئناف بياني عن قوله في الآية السابقة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) إذ أشعر تعميم (من نفقة) بحال الصدقات الخفية فيتساءل السامع في نفسه هل إبداء الصدقات يعد رياء، فجاء هذا الاستئناف يدفع توهما من شأنه تعطيل الصدقات والنفقات، وهو أن يمسك المرء عنها إذا لم يجد بدا من ظهورها فيخشى أن يصيبه

٦٢١ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٦.
٦٢٢ - مفردات ألفاظ القرآن ص٧١٤ باختصار.

الرياء.[٦٢٣] جاء في تفسير تيسير الكريم الرحمن: «(إن تبدوا الصدقات) فتظهرونها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله (فنعما هي) أي: فنعم الشيء هي (وإن تخفوها) تسروها (وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ففي هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيرا من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله (وتؤتوها الفقراء) على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجا وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن حصول الثواب قال (ويكفر عنكم من سيئاتكم) ففيه دفع العقاب (والله بما تعملون خبير) من خير وشر، قليل وكثير، والمقصود من ذلك المجازاة.»[٦٢٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (نكفرُ) بنون العظمة، (يكفرُ) فالمعنى فيهما واحد باعتبار أن الذي يكفر الذنوب هو الله وحده.

وأما بالنسبة لقراءتي (يكفرُ) بالياء والرفع، (نكفرْ) بالنون والجزم ففيهما تأثير على المعنى من حيث إن قراءة الجزم (نكفرْ) تفيد تخصيص التكفير بالإخفاء؛ لأنها معطوفة على جواب الشرط الثاني (فهو خير لكم).

في حين أن قراءة الرفع (يكفرُ) فتفيد العموم، باعتبار أنها جملة استئنافية، وأن التكفير يكون على الإنفاق سواء كان ذلك سراً أو جهراً، وإن كانت السرية خير من الجهرية عموماً.[٦٢٥]

---

٦٢٣ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٦٦-٦٧.

٦٢٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن السعدي ص١١٦.

٦٢٥ - راجع تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٦٩ ، الكشف ج١ ص٣١٧.

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن تكفير السيئات لا يتوقف على إخفاء الصدقات، وإن كان هو الأفضل عموما، بل مجرد الإنفاق في سبيل الله يكفر السيئات سواء كانت النفقة سرية أو جهرية، بل قد تكون الجهرية خير من السرية إن كان القصد منها تشجيع المسلمين على النفقة والبذل في سبيل الله.

٥٧- ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٩

القراءات:

١. قرأ حمزة وأبو بكر (فآذنوا) بقطع الهمزة ممدودة وكسر الذال.
٢. قرأ الباقون (فأذَنوا) بفتحها ووصل الهمزة.[٦٢٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

أَذِن: استمع، ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع، والإذن والأذان لما يسمع، ويُعبر بذلك عن العلم، إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا، وأَذنته وآذنته بمعنى، والمؤذِّن كل من يُعلِم بشيءٍ نداءً.[٦٢٧]

التفسير:

يحذر المولى -عز وجل- في هذه الآية الكريمة من التعامل بالربا ويؤذن صاحبه بحرب لا قبل له بها، حرب مع الله. فأنى له القدرة على ذلك. قال الشوكاني في تفسيره: «قوله (فإن لم تفعلوا) يعني ما أمرتم به من الاتقاء، وترك ما بقي من الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي: فاعلموا بها، وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة (فآذنوا) على معنى فأعلموا غيركم أنكم

٦٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٦.
٦٢٧ - مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠ بتصرف.

على حربهم. وقد دلت هذه على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر ولا خلاف في ذلك، وتنكير الحرب للتعظيم، وزادها تعظيما نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله -ﷺ- الذي هو أشرف خليقته.(٦٢٨) ثم بين تعالى أنه من تاب من الربا فعليه أن يقتصر على رأس ماله دون زيادة، على أن يلتزم المدين بسداد ما عليه دون إنقاص أو مطل.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يلاحظ أن قراءة (فآذنوا) أعم من قراءة (فأذنوا) إذ هي تشتمل عليها وتزيد بإعلام الآخرين، حيث إن قراءة (فأذنوا) معناها: فاعلموا بها، وأما على قراءة (فآذنوا) فالمعنى: فأعلموا غيركم أنكم على حربهم، وهذا يقتضي أنهم علموا بها.

قال الإمام الطبري: "واختلف القراء في قراءة قوله (فأذنوا بحرب من الله ورسوله): فقرأته عامة قراء أهل المدينة (فأذَنوا) بقصر الألف من فأذنوا وفتح ذالها بمعنى: وكونوا على علم وإذن. وقرأه آخرون وهي قراءة عامة قراء الكوفيين فآذنوا بمد الألف من قوله (فآذِنوا) وكسر ذالها بمعنى فآذنوا غيركم أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم."(٦٢٩)

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن لم تتركوا ما بقي من الربا فاعلموا أنكم في حرب مع الله ورسوله، وأعلموا غيركم ممن لم ينته بمثل ذلك.

٥٨- ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠

٦٢٨ - فتح القدير ج١ ص٣٧٨ باختصار.

٦٢٩ - جامع البيان ج٣ ص١٠٧.

القراءات:

١. قرأ عاصم (تصَدقوا) بتخفيف الصاد.

٢. قرأ الباقون (تصدَّقوا) بالتشديد.[٦٣٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الصدَقَة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمُتَطَوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصِّدق في فعله.[٦٣١] قال الفيروز آبادي: «الصَّدَقَة: ما أعطيته في ذات الله تعالى.»[٦٣٢]

التفسير:

يحث المولى -عَجَلَّ- في هذه الآية على إنظار المعسرين وعدم التضييق عليهم، بل ويحث على ترك الدين كله صدقة لله لما في ذلك من الخير.

قال الشوكاني في تفسيره: "(وإن كان ذو عسرة) لما حكم سبحانه لأهل الربا برءوس أموالهم عند الواجدين للمال حكم في ذوي العسرة بالنظرة إلى يسار والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال، وأن تصدقوا على معسري غرمائكم بالإبراء خير لكم وفيه الترغيب لهم بأن يتصدقوا برءوس أموالهم على من أعسر وجعل ذلك خيرا من إنظاره."[٦٣٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب العلماء إلى أن الأصل في القراءتين تتصدقوا، فخفف في إحداهما بحذف إحدى التاءين، وفي الأخرى بالإدغام.[٦٣٤] ومع هذا فإن قراءة

٦٣٠ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٦.

٦٣١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٨٠.

٦٣٢ - القاموس المحيط ج٢ ص١١٩٤.

٦٣٣ - فتح القدير ج١ ص٣٧٨-٣٧٩ باختصار.

٦٣٤ - انظر مجمع البيان ج٢ ص١٦٤-١٦٥.

التشديد تفيد الإكثار من الصدقة والمبالغة في التصدق على المعسرين بترك رأس المال لهم، وأن الخيرية تكون في الصدقة القليلة والكثيرة إلا أنه في الصدقة الكثيرة أكثر. قال مكي بن أبي طالب في توجيه القراءتين: «هو مثل تظاهرون في الحجة في التخفيف والتشديد، لكن في التشديد معنى التكثير.»[٦٣٥]

٥٩- ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ البقرة: ٢٨١

القراءات:

١. قرأ يعقوب وأبو عمرو (تَرجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم.
٢. قرأ الباقون (تُرجَعون) بضم التاء وفتح الجيم.[٦٣٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرُّجوع: العَود إلى ما كان منه البَدْء، والرَّجع: الإعادة، والرَّجْعَة والرِّجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات.[٦٣٧]

التفسير:

يوجه المولى -عز وجل- في هذه الآية الكريمة الأنظار إلى ذلك اليوم الرهيب -يوم القيامة- يوم الحساب والجزاء يوم العرض على الله للحساب. قال الشوكاني في تفسيره: "قوله (واتقوا يوما) هو يوم القيامة وتنكيره للتهويل، وقوله (ترجعون فيه إلى الله) وصف له، وقوله (إلى الله) فيه مضاف محذوف تقديره إلى حكم الله (ثم توفى كل نفس) من النفوس المكلفة (ما

٦٣٥ - الكشف ج١ ص٣١٩.
٦٣٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.
٦٣٧ - انظر المفردات ص٣٤٢.

كسبت) أي جزاء ما عملت من خير أو شر وجملة (وهم لا يظلمون) حالية، وهذه الآية فيها الموعظة الحسنة لجميع الناس."[٦٣٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي بن أبي طالب: "قوله (يوما تُرجَعون فيه) قرأه أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم، أضاف الفعل إلى المخاطبين، فهم الفاعلون. وقرأه الباقون بضم التاء وفتح الجيم، أضاف الفعل إلى من يُرجِع المخاطبين، فالمخاطبون مفعول بهم، قاموا مقام الفاعل."[٦٣٩] وعليه يمكن اعتبار قراءة الجمهور (تُرجَعون) بيان حال الكافر فهو لا يريد ولا يرغب في الرجوع، فيُرجَع رغما عنه. وأما قراءة (تَرجِعون) فتبين حال المؤمن المطمئن الراغب في لقاء الله والرجوع إليه. وقد تقدم عن مثلها.[٦٤٠]

٦٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ

٦٣٨ - فتح القدير ج١ ص٣٧٩ باختصار.

٦٣٩ - الكشف ج١ ص٣١٩-٣٢٠.

٦٤٠ - راجع ص ٦٩.

إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ البقرة: ٢٨٢

القراءات:

١. قرأ حمزة (إن) بكسر الهمزة (فتذكِّرُ) بتشديد الكاف ورفع الراء.

٢. قرأ ابن كثير والبصريان (أن) بفتح الهمزة (فتذْكِرَ) بتخفيف الكاف وفتح الراء.

٣. قرأ الباقون (أن) بفتح الهمزة (فتذكِّرَ) بتشديد الكاف وفتح الراء.[٦٤١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية .[٦٤٢]

الذِّكر: بالكسر حفظ للشيء، كالتذكار، والشيء يجري على اللسان.[٦٤٣]

التفسير:

هذه الآية هي أطول آية في القرآن الكريم وهي معروفة بآية الدين يتحدث فيها المولى -عَجَلَّ- عن أحكام الدين وما ينبغي أن يكون عليه الحال. قال صاحب التفسير المنير: " لما ذكر الله تعالى الإنفاق وجزاءه الطيب، والربا وخطره، أعقبه بذكر القرض الحسن بلا فائدة، والتعامل بالدين المؤجل، وطريق توثيقه وحفظه بالكتابة والشهادة والرهن، وطريق تنميته بالتجارة التي تقتضي السرعة."[٦٤٤]

قال صاحب الجلالين: «(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم) تعاملتم (بدين) كسلم وقرض (إلى أجل مسمى) معلوم (فاكتبوه) استيثاقا ودفعا للنزاع (وليكتب) كتاب الدين (بينكم كاتب بالعدل) بالحق في كتابته لا يزيد في

٦٤١ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٦-٢٣٧ و إتحاف فضلاء البشر ص٢١٣.

٦٤٢ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٩.

٦٤٣ – انظر القاموس المحيط ج٢ ص٥٦٠ .

٦٤٤ – التفسير المنير ج٣ ص١٠٦.

المال والأجل ولا ينقص (ولا يأب) يمتنع (كاتب) من (أن يكتب) إذا دعي إليها (كما علمه الله) أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بـ(يأب)، (فليكتب) تأكيد (وليملل) يمل الكاتب (الذي عليه الحق) الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه (وليتق الله ربه) في إملائه (ولا يبخس) ينقص (منه) أي الحق (شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها) مبذرا (أو ضعيفا) عن الإملاء لصغر أو كبر (أو لا يستطيع أن يمل هو) لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فليملل وليه) متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم (بالعدل واستشهدوا) أشهدوا على الدين (شهيدين) شاهدين (من رجالكم) أي بالغي المسلمين الأحرار (فإن لم يكونا) أي الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) يشهدون (ممن ترضون من الشهداء) لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل (أن تضل) تنسى (إحداهما) الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن (فتذكر) بالتخفيف والتشديد (إحداهما) الذاكرة (الأخرى الناسية وجملة الإذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر أن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) إلى تحمل الشهادة وأدائها .»[٦٤٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة حمزة الشرطية (إن تضلَّ إحداهما فتذَكِّرُ) أن اتخاذ امرأتين مكان الرجل في الشهادة حتى إن ضلت إحداهما ذكرتها الأخرى، في حين أن قراءة الآخرين (أن تضلَّ إحداهما فتذَكِّرَ، فتذْكِرَ) أفادت بيان العلة من اتخاذ المرأتين كشاهدتين مكان الرجل، أي خشية أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى إلا أن قراءة التشديد أفادت معنى التكثير، على

٦٤٥ – تفسير الجلالين ص٤٨ باختصار.

معنى تذكير بعد تذكير. وذهب الفراء إلى أن من خفف (فتذْكِرَ) فهو من الذَّكر، الذي هو ضد الأنثى. والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكَّرتها، أي جعلتها كالذَّكر، أي كالرجل الذي لا يحتاج إلى غيره.[٦٤٦] وقال الإمام الطبري: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) بفتح الألف من أن ونصب تضل وتذكر بمعنى فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير لأن التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل لأن المعنى ما وصفنا في قولهم. وقرأ ذلك آخرون كذلك غير أنهم كانوا يقرءونه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم في تأويل قراءتهم إياه كذلك، وكان بعضهم يوجهه إلى أن معناه فَتُصَيِّر إحداهما الأخرى ذكرا باجتماعهما بمعنى أن شهادتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين لأن شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون إلا باجتماع اثنتين على شهادة واحد فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور، فكأن كل واحدة منهما في قول متأولي ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكرا. وقرأ ذلك آخرون (إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) بكسر إن من قوله إن تضل ورفع تذكر وتشديده. كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان إن نسيت إحداهما شهادتها تذكرها الأخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك عما قبله، ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك: واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن

---

٦٤٦ - راجع الكشف ج٢ ص٣٢٠-٣٢١.

لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء فإن إحداهما إن ضلت ذكرتها الأخرى على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداهما شهادتها من تذكير الأخرى منهما صاحبتها الناسية.»[٦٤٧]

وقال الإمام الطبري بعد أن خطأ قول القائل بأن تذكير إحداهما الأخرى تجعلها كالذكر: «إلا إن أراد أن الذاكرة إذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها ستجرئها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته فقوتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك كما يقال للشيء القوي في عمله ذكر وكما يقال للسيف الماضي في ضربه سيف ذكر ورجل ذكر يراد به ماض في عمله قوي البطش صحيح العزم.»[٦٤٨]

وبالجمع بين القراءات: يتبين لنا أن اتخاذ المرأتين مكان الرجل في الشهادة خشية أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى، فإن نسيت إحداهما الشهادة فلابد للأخرى من تذكيرها مرة بعد مرة حتى تتذكر فتقومان مقام الذَّكر الذي لا يحتاج إلى غيره.

- وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا البقرة

القراءات:

١. قرأ عاصم (تجارةً حاضرةً) بالنصب.
٢. قرأ الباقون (تجارةٌ حاضرةٌ) بالرفع.[٦٤٩]

٦٤٧ - جامع البيان ج٣ ص١٢٤-١٢٥ باختصار.
٦٤٨ - المصدر السابق ج٣ ص١٢٥-١٢٦.
٦٤٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

التفسير:

ينهى المولى -ﷻ- عن ترك الكتابة حال الدين سواء كان الدين صغيرا أو كبيرا لما يترتب على ذلك من خلافات ناتجة من عدم توثيق الدين، كما أن في الكتابة بعد عن الشك، ويستثنى من الكتابة التجارة الحاضرة لما في الكتابة حينها من مشقة على الناس.

قال ابن عاشور في تفسيره: "(إلا أن تكون تجارة) استثناء من عموم الأحوال أو الأكوان في قوله (صغيرا أو كبيرا) وهو استثناء منقطع؛ لأن التجارة الحاضرة ليست من الدين، والتقدير: إلا كون تجارة حاضرة. وقيل الاستثناء متصل، والمراد بالتجارة الحاضرة المؤجلة إلى أجل قريب، فهي من جملة الديون، رخص فيها ترك الكتابة بها، وهذا بعيد."[650]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا تأثير لاختلاف القراءتين على المعنى، إنما يرجع الاختلاف في القراءتين إلى الناحية الإعرابية باعتبار كون (تكون) تامة أو ناقصة.

قال ابن زنجلة: «قرأ عاصم (إلا أن تكون تجارةً) بالنصب والمعنى إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة والمعاملة تجارة حاضرة. وقرأ الباقون بالرفع والمعنى إلا أن تقع تجارة حاضرة كقوله قبلها (وإن كان ذو عسرة) أي: وقع ذو عسرة.»[651]

وقال الألوسي في تفسيره: «ونصب عاصم تجارة على أنها خبر تكون واسمها مستتر فيها يعود إلى التجارة، كما قال الفراء: وعود الضمير في مثل ذلك على متأخر لفظا ورتبة جار في فصيح الكلام، وقال بعضهم: يعود إلى المداينة والمعاملة المفهومة من الكلام وعليه فالتجارة مصدر

---

٦٥٠ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١١٥-١١٦ باختصار.

٦٥١ - حجة القراءات ص١٥١، وانظر الكشف ج١ ص٣٢١-٣٢٢.

لئلا يلزم الأخبار عن المعنى بالعين ورفعها الباقون على أنها اسم (تكون) والخبر جملة (تديرونها) ويجوز أن تكون (تكون) تامة فجملة (تديرونها) صفة.»[٦٥٢]

- ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

القراءات:

١. اختلف عن أبي جعفر في قوله (لا يضار) بين تخفيف الراء وسكونها (لا يضارْ)، وبين قراءتها مشددة مع الفتح (لا يضارَّ).
٢. قرأ الباقون (لا يضارَّ) بفتح الراء مع التشديد.[٦٥٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

الضر: سوء الحال، يقال: ضَرَّهُ ضُراً: جلب إليه ضرا، والضراء: يقابل بالسراء. قال تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يجوز أن يكون مسندا إلى الفاعل كأنه قال: لا يضارِرْ، وأن يكون مفعولا أي: لا يضارَر، بأن يُشغل عن صنعته ومعاشه باستدعاء شهادته.[٦٥٤]

التفسير:

(وأشهدوا إذا تبايعتم) عليه فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة (وإن تفعلوا) ما نهيتم عنه (فإنه فسوق) خروج عن

٦٥٢ - روح المعاني ج٣ ص٦١.
٦٥٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧-٢٢٨.
٦٥٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٣-٥٠٤.

الطاعة لا حق (بكم واتقوا الله) في أمره ونهيه (ويعلمكم الله) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف (والله بكل شيء عليم)."[٦٥٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد المبالغة في النهي عن الإضرار، سواء كان من جهة الكاتب والشهيد، أو من جهة المكتوب له والمشهود له. قال ابن عاشور: "نهى عن المضارة، وهي تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدرا للإضرار، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مصدرا للإضرار؛ لأن يضارّ يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود، لاحتمالها حكمين، ليكون الكلام موجهاً فيحمل كلا معنييه لعدم تنافيهما، وهذا من وجه الإعجاز."[٦٥٦] وقال الجصاص في تفسيره: « كانت إحدى القراءتين نهيا لصاحب الحق عن مضارة الكاتب والشهيد والقراءة الأخرى فيها نهي الكاتب والشهيد عن مضارة صاحب الحق وكلاهما صحيح مستعمل فصاحب الحق منهي عن مضارة الكاتب والشهيد بأن يشغلهما عن حوائجهما ويلح عليهما في الاشتغال بكتابه وشهادته والكاتب والشهيد كل واحد منهما منهي عن مضارة الطالب بأن يكتب الكتاب ما لم يمل ويشهد الشهيد بما لم يستشهد ومن مضارة الشهيد للطالب القعود عن الشهادة وليس فيها إلا شاهدان فعليهما فرض أدائها وترك مضارة الطالب بالامتناع من إقامتها وكذلك على الكاتب أن يكتب إذا لم يجدا غيره.»[٦٥٧]

٦٥٥ – تفسير الجلالين ص٤٨ باختصار.

٦٥٦ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص١١٧.

٦٥٧ – أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٢٥٧-٢٥٨.

٦١- ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٣

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فرُهُن) بضم الراء والهاء من غير ألف.
٢. قرأ الباقون (فرِهَان) بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها.[٦٥٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّهن: ما يوضع وثيقة للدين، والرهان مثله، لكن يختص بما يوضع في الخطار[٦٥٩]، وأصلهما مصدر، يقال: رهنت الرهن وراهنته رهانا، فهو رهين ومرهون.

ويقال في جمع الرَّهن: رهانٌ ورهنٌ ورُهون.[٦٦٠]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الدين حال السفر وعدم وجود الكاتب، ففي هذه الحالة يجوز لصاحب الدين أن يضمن دينه من خلال أخذ ما يرتهن به من المدين كضمانة لدَينه بحيث إن قام المدين بسداد دَينه أعاد له صاحب الدين ما أخذه من رهن. قال الطبري في تفسيره: "وإن كنتم أيها المتداينون في سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى بينكم الذي أمرتكم باكتتابه والإشهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التي تداينتموها إلى الأجل المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينونه كذلك ليكون ثقة لكم بأموالكم،

٦٥٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

٦٥٩ - الخَطَر: السبق الذي يُترامى عليه في التراهن، والجمع أخطار. لسان العرب ج٢ ص١١٩٦

٦٦٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٦٧-٣٦٨.

فإن كان المدين أمينا عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهنا بدينه لأمانته عنده على ماله وثقته فليتق الله المدينُ ربَه يقول فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده أو يلط دونه أو يحاول الذهاب به فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه إليه."(٦٦١)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد. قال ابن عاشور في تفسيره: "الرِهان جمع رهن، ويجمع أيضا على رُهُن بضم الراء وضم الهاء."(٦٦٢)

إلا أن بعضهم الآخر ذهب إلى أن هناك فرق بينهما. قال الطبري في تفسيره: «(فرهان مقبوضة) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (فرهان مقبوضة) بمعنى جماع رهن كما الكباش جماع كبش، والبغال جماع بغل، والنعال جماع نعل. وقرأ ذلك جماعة آخرون (فرهن مقبوضة) على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف.»(٦٦٣) وعلى الحالين فالمعنى: أنه في حالة عدم التمكن من الكتابة فلابد للمدين من دفع ما يمكن رهنه ولو كثر بما يضمن السداد.

٦٢- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٤

٦٦١ - جامع البيان ج٣ ص١٣٩-١٤١ باختصار.

٦٦٢ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١٢٠.

٦٦٣ - جامع البيان ج٣ ص١٤٠.

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (فيغفرُ، ويعذبُ) برفع الراء والباء فيهما.

٢. قرأ الباقون (فيغفرْ، ويعذبْ) بجزمهما.[٦٦٤]

التفسير:

يخبر تعالى أن له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن وأنه المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر وإن دقت وخفيت وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير) آل عمران ٢٩، وقال (يعلم السر وأخفى) طه ٧ ، والآيات في ذلك كثيرة جدا وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها وهذا من شدة إيمانهم.[٦٦٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجزم (فيغفرْ، ويعذبْ) العطف على (يحاسبكم). في حين أن قراءة الرفع (فيغفرُ، ويعذبُ) تفيد الاستئناف. قال ابن زنجلة: "(فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاء) برفع الراء والباء على الاستئناف وحجتهم أن قوله (إن تبدوا) شرط (يحاسبكم) جزم لأنه جواب وقد تم الكلام فيرفع فيغفر و يعذب على تقدير ضمير فهو يغفرُ ويعذبُ. وقرأ

٦٦٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

٦٦٥ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٤٥١. والحديث أخرجه مسلم ج٢ ص١٤٥ ح١٢٥

الباقون بالجزم فيهما عطف على يحاسبكم به الله."[٦٦٦] وقال أبو حيان في تفسيره: «(فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ) بالرفع فيهما على القطع، وقرأ باقي السبعة بالجزم عطفا على الجواب.»[٦٦٧]

٦٣- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ البقرة: ٢٨٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وكتابه) على التوحيد.
٢. قرأ الباقون (وكتبه) على الجمع.
٣. قرأ يعقوب (لا يفرقُ) بالياء.
٤. قرأ الباقون (لا نفرقُ) بالنون.[٦٦٨]

التفسير:

بدأ الله تعالى هذه السورة بالكلام على القرآن والمؤمنين ومقارنتهم بالكافرين، ولا سيما أخبار اليهود، ثم أرشد تعالى إلى كثير من الأحكام كالصيام والحج والطلاق ومحاجة الضالين، وختم السورة بالكلام عن إيمان الرسول محمد -ﷺ- والمؤمنين بالكتب السماوية وبالرسل الكرام دون تفريق أو تفضيل في أصل الرسالة والتشريع.[٦٦٩] قال الشوكاني في تفسيره: «(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنين) أي بجميع ما أنزل الله (كل آمن بالله) أفرد الضمير في قوله (آمن بالله) مع رجوعه إلى كل

٦٦٦ - حجة القراءات ص١٥٢.

٦٦٧ - تفسير البحر المحيط ج٢ ص٣٧٦ باختصار.

٦٦٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

٦٦٩ - انظر التفسير المنير ج٣ ص١٣٢.

المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع (وملائكته) أي من حيث كونهم عباده المكرمين المتوسطين بينه وبين أنبيائه في إنزال كتبه (وكتبه) لأنها المشتملة على الشرائع التي تعبد بها عباده (ورسله) لأنهم المبلغون لعباده ما نزل إليهم (وقالوا سمعنا وأطعنا) أدركناه بأسماعنا وفهمناه وأطعنا ما فيه (غفرانك) أي اغفر غفرانك قاله الزجاج وغيره، وقدم السمع والطاعة على طلب المغفرة لكون الوسيلة تتقدم على المتوسل إليه.»[٦٧٠]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة (كتبه) بالجمع فلا شك أنها تعني جميع الكتب السابقة. أما بالنسبة لقراءة (كتابه) بالإفراد، فمن العلماء من اعتبر المقصود هو كتاب بعينه وهو القرآن، ومنهم من اعتبر أن المقصود بالكتاب اسم جنس يعم جميع الكتب السابقة. قال مكي بن أبي طالب: "فمن وحَّد أراد القرآن، ومن جمع أراد جميع الكتب التي أنزل الله، ويجوز في قراءة من وحَّد أن يراد به الجمع، يكون الكتاب اسما للجنس، فتستوي القراءتان."[٦٧١] قال الإمام الطبري: «واختلف القراء في قراءة قوله (وكتبه) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء أهل العراق (وكتبه) على وجه جمع الكتاب على معنى: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسوله. وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة (وكتابه) بمعنى: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد -ﷺ-.[٦٧٢]

وبالجمع بين القراءتين: يكون الرسول -ﷺ- والمؤمنون قد آمنوا بجميع

٦٧٠ - فتح القدير ج١ ص٣٩٠ باختصار.

٦٧١ - الكشف ج١ ص٣٢٣.

٦٧٢ - جامع البيان ج٣ ص١٥٢.

الكتب السماوية السابقة إيمانا عاما، وبالقرآن الكريم إيمانا خاصا يتضمن الإيمان والعمل الفعلي. ويمكن أن نقول: إن قراءة (وكتبه) بالجمع يدخل فيها القرآن، وقراءة (وكتابه) بالإفراد أرادت تخصيص القرآن بمزيد ذكر لكونه مصدقا للكتب السابقة ومهيمنا عليها.

وأما بالنسبة لقراءة (لا يفرق) فالضمير فيها عائد على (كل آمن) على تقدير كل آمن وكل لا يفرق على سبيل الوصف العام.

وأما على قراءة (لا نفرق) فالضمير فيها يعود أيضا على (كل آمن) والتقدير: وقالوا لا نفرق على سبيل الإقرار، والله سبحانه وتعالى أراد الأمرين أن يقولوا فيكونوا، أو أن يكونوا قائلين ... قال الطاهر بن عاشور: "وقوله (لا نفرق بين أحد من رسله) قرأه الجمهور بنون المتكلم المشارَك، وهو يحتمل الالتفات: بأن يكون من مقول قول محذوف دل عليه السياق وعطف (وقالوا) عليه. أو النون فيه للجلالة أي آمنوا في حال أننا أمرناهم بذلك، لأننا لا نفرق. فالجملة معترضة. وقرأه يعقوب بالياء: على أن الضمير عائد على (كل آمن بالله) ."(٦٧٣)



٦٧٣ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١٣٣ باختصار.

المبحث الثالث: سورة آل عمران

١- ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٢

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَيُغلَبون ويُحشَرون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (سَتُغلَبون وتُحْشَرون) بالخطاب.[٦٧٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغلبة: القهر، يقال: غلبته غَلْبا وغَلَبَة وغلَبا، فأنا غالب.[٦٧٥]

الحشر: إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها.[٦٧٦]

التفسير:

استئناف ابتدائي، للانتقال من النذارة إلى التهديد، ومن ضرب المثل لهم بأحوال سلفهم في الكفر، إلى ضرب المثل لهم بسابق أحوالهم المؤذنة بأن أمرهم صائر إلى زوال، وأن أمر الإسلام ستندك له صم الجبال.[٦٧٧]

قال الطبرسي في تفسيره: لما تقدم ذكر ما أصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب، حذر هؤلاء من أن يحل بهم ما حل بأولئك، فقال تعالى(قل للذين كفروا) إما مشركي مكة، أو اليهود (ستغلبون) ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا (وتحشرون) أي تجمعون (إلى جهنم) في الآخرة. وقد فعل الله ذلك، فاليهود غُلبوا بوضع الجزية عليهم،

٦٧٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨.

٦٧٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦١١.

٦٧٦ - انظر المصدر السابق ص٢٣٧.

٦٧٧ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١٧٤.

والمشركون غُلبوا بالسيف.(وبئس المهاد) أي بئس ما مهد لكم وبئس ما مهدتم لأنفسكم).[٦٧٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في المقصود من الكفار في قوله تعالى (قل للذين كفروا) هل المقصود بهم اليهود، أم المشركون، أم الجميع؟ وكذلك وقع الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى (سيغلبون ويحشرون).

قال الألوسي في تفسيره: "فالمراد من الموصول اليهود والسين لقرب الوقوع أي تغلبون عن قريب وأريد منه في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده رسوله -ﷺ- فقتل كما قيل من بنى قريظة في يوم واحد ستمائة جمعهم في سوق بنى قيننقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بحفر حفيرة ورميهم فيها وأجلى بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية عليهم وهذا من أوضح شواهد النبوة.[٦٧٩] وقال الإمام الطبري: «والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء بمعنى قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.»[٦٨٠]

وعلى قراءة (سيغلبون ويحشرون) بالغيب، فالمعنى: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لليهود وبلغهم بأن المشركين سيغلبون ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. قال الطبري في تفسيره: «وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة (سيغلبون ويحشرون) على معنى: قل لليهود سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم. ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز في قراءته غير الياء.»[٦٨١]

٦٧٨ - مجمع البيان ج٢ ص١٩٢ باختصار.
٦٧٩ - روح المعاني ج٣ ص٩٤-٩٥.
٦٨٠ - جامع البيان ج٣ ص١٩٢.
٦٨١ - المصدر السابق ج٣ ص١٩١.

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: قل يا محمد -ﷺ- لليهود ستغلبون أنتم والمشركين وستحشرون جميعكم إلى جهنم وبئس المهاد. وقد كان هذا فغُلبت اليهود وغُلب المشركون ولله الحمد والمنة.

٢-﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣

القراءات:

١. قرأ المدنيان ويعقوب (ترونهم) بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (يرونهم) بالغيب.[٦٨٢]

التفسير:

يتحدث المولى عز وجل عما وقع في بدر من معجزات تمثلت في نصرة الله للفئة المؤمنة القليلة العدد والعدة على الفئة الكثيرة الكافرة، مع ما وقع في المعركة من تكثير عدد المسلمين في أعين الكافرين. قال ابن كثير في تفسيره: "قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية أي دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله ومظهر كلمته ومعل أمره (في فئتين) أي طائفتين (التقتا) أي للقتال (فئة تقاتل في سبيل الله) وهم المسلمون (وأخرى كافرة) وهم مشركو قريش يوم بدر وقوله (يرونهم مثليهم رأي العين) قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر أن المسلمين مثليهم في العدد (رأي أعينهم) أي جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الإسلام عليهم، والقول الثاني أن المعنى في قوله تعالى (يرونهم مثليهم رأي العين)

٦٨٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨.

أي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم أي ضعفيهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) أي إن في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.[٦٨٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءة (ترونهم) بالخطاب فيتوقف المقصود منها على المقصود من الخطاب في قوله تعالى (قد كان لكم آية في فئتين) وهذا أمر اختلف فيه العلماء، حيث قال ابن عطية في تفسيره: "الآية تحتمل أن يكون يخاطب بها المؤمنون وأن يخاطب بها جميع الكفار وأن يخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم.[٦٨٤]

ولكن بالنظر إلى القراءة الأخرى (يرونهم) بالغيب يتبين لنا أن المقصود من الخطاب الجميع فلقد قال ابن عاشور في توجيه هذه القراءة: «قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب ترونهم بتاء الخطاب وقرأه الباقون بياء الغيبة على أنه حال من (أخرى كافرة) أو من (فئة تقاتل في سبيل الله) أي مثلي عدد المرئيين إن كان الراءون هم المشركين، أو مثلي عدد الرائين، إن كان الراءون هم المسلمين؛ لأن كليهما جرى ضميره على الغيبة وكلتا الرؤيتين قد وقعت يوم بدر، وكل فئة علمت رؤيتها وتحديث بهاته الآية. وعلى هذه القراءة يكون العدول عن التعبير بفئتكم وفئتهم إلى قوله (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) لقصد صلوحية ضمير الغيبة لكلتا الفئتين،

٦٨٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٦٧-٤٦٨ باختصار.

٦٨٤ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص٤٠٦.

فيفيد اللفظ آيتين على التوزيع، بطريقة التوجيه.»[685] وقال الألوسي في تفسيره: «وقال بعض أئمة التحقيق: القول بأن الخطاب عام للمؤمنين واليهود ومشركي مكة هو الذي يقتضيه المقام لئلا يقتطع الكلام ويقع التذييل بقوله سبحانه (والله يؤيد) الخ موقع المسك في الختام ثم إن من عد التعبير عن جماعة بطريق من الطرق الثلاثة مع التعبير بعد عن البعض بطريق آخر يخالفه منها من الالتفات قال بوجوده في الآية على بعض احتمالاتها، ومن لم يعد ذلك منه كما هو الظاهر أنكر الالتفات فيها وبهذا يجمع بين أقوال الناظرين في الآية من هذه الحيثية واختلافهم في وجود الالتفات وعدمه فيها فأمعن النظر فإنه لمثل هذا المبحث كله يدخر.»[686]

٣- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩) ﴾ آل عمران: ١٩

القراءات:

١. قرأ الكسائي (أَن الدين) بفتح الهمزة.
٢. قرأ الباقون (إِن الدين) بكسرها.[687]

المعنى اللغوي للقراءات:

الدين: يُقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يُقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة.[688]

---

٦٨٥ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص١٧٨.
٦٨٦ – روح المعاني ج٣ ص٩٨، وانظر جامع البيان ج٣ ص١٩٤-١٩٨.
٦٨٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٨.
٦٨٨ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٢٣.

التفسير:

هذه الآية لها علاقة بالآية التي سبقتها وهي قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) حيث جاءت هذه الآية لبيان الدين الحق والمقبول عند الله.

قال ابن كثير في تفسيره: "(إن الدين عند الله الإسلام) إخباراً منه -ﷻ- بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد -ﷺ- الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد -ﷺ- فمن لقي الله بعد بعثة محمد -ﷺ- بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) آل عمران ٨٥ ، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا ثم قال تعالى (ومن يكفر بآيات الله) أي من جحد ما أنزل الله في كتابه (فإن الله سريع الحساب) أي فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه."[٦٨٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أن) على البدل: شهادة الله على أن الدين الحق ينحصر في الإسلام. والمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو وأولوا العلم، وأن الدين الحق عند الله هو الإسلام.

٦٨٩ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٢ باختصار.

في حين أن قراءة (إن) الاستئنافية تفيد حصر الدين في الإسلام ولكن لا يندرج هذا ضمن الشهادة السابقة بل هي جملة ابتدائية، وتكون علاقتها بالآية السابقة أن المولى عز وجل بعد أن ذكر وحدانيته وأنه لا إله إلا هو، أعقبه بذكر الدين الواحد الذي لا يقبل الله سواه وهو الإسلام. قال ابن عاشور في تفسيره: "قرأ جمهور القراء (إن الدين) بكسر همزة إن، فهو استئناف ابتدائي لبيان فضيلة هذا الدين بأجمع عبارة وأوجزها."[٦٩٠]

وجاء قوله (إن الدين عند الله) بصيغة الحصر، وهي تقتضي في اللسان حصر المسند إليه، وهو الدين، في المسند وهو الإسلام، على قاعدة الحصر بتعريف جزئي الجملة، أي لا دين إلا الإسلام، وقد أكد هذا الانحصار بحرف التوكيد.[٦٩١]

وقرأ الكسائي (أن الدين) بفتح همزة أن، على أنه بدل من قوله (أنه لا إله إلا الله) أي شهد الله بأن الدين عنده هو الإسلام. قال الألوسي في تفسيره: «وقرأ أبى (إن الدين عند الله للإسلام)، والكسائي (أن الدين) بفتح الهمزة على أنه بدل الشيء من الشيء إن فسر الإسلام بالإيمان وأريد به الإقرار بوحدانية الله تعالى والتصديق بها الذي هو الجزء الأعظم، وكذا إن فسر بالتصديق بما جاء به النبي -ﷺ- مما علم من الدين بالضرورة لان ذلك عين الشهادة بما ذكر باعتبار ما يلزمها فهي عينة مآلا، وأما إذا فسر بالشريعة فالبدل بدل اشتمال لان الشريعة شاملة للإيمان والإقرار بالوحدانية وفسرها بعضهم بعلم الأحكام.[٦٩٢]

٦٩٠ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص١٨٨.

٦٩١ – المصدر السابق ج٣ ص١٩٠.

٦٩٢ – روح المعاني ج٣ ص١٠٦.

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن الدين الحق المقبول عند الله ينحصر في الإسلام بشهادة الله تعالى. قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران ٨٥

٤- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ آل عمران: ٢١

القراءات:

١. قرأ حمزة (ويُقاتِلون الذين يأمرون بالقسط) بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء من القتال.
٢. قرأ الباقون (ويَقْتُلون) بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء من القتل.[٦٩٣]

التفسير:

يتحدث المولى -عز وجل- في هذه الآية الكريمة عن بعض قبائح اليهود وظلمهم لأنفسهم بقتل الأنبياء والموحدين من الناس، وما أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم. قال أبو السعود في تفسيره: "(إن الذين يكفرون بآيات الله) أي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام (ويقتلون النبيين بغير حق) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا - قاتلهم الله تعالى - حائمين حول قتل النبي لولا أن عصم الله تعالى ساحته المنيعة وقد أشير إليه بصيغة الاستقبال، والتقييد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضا

٦٩٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨-٢٣٩.

بغير حق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) أي بالعدل ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافها في الوقت.[694]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

المقاتلة تعني: إعلان الحرب وإشهار السلاح والضرب به وقد يترتب عليها قتل وقد لا يترتب عليها قتل، وأما قراءة (يقتلون) فهي إخبار عنهم بالقتل. وبالجمع بين القراءتين: نجد أن العقوبة حاصلة سواء ترتب عليها إزهاق روح وهو القتل أو لم يترتب عليها ذلك، وفي هذا تهديد ووعيد لمن يحارب دين الله وأوليائه.

٥- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمران: ٢٣

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (ليُحكَم) بضم الياء وفتح الكاف.
٢. قرأ الباقون (ليَحكُم) بفتح الياء وضم الكاف.[695]

التفسير:

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من إتباع محمد - r -تولوا وهم معرضون عنهما وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد.[696]

٦٩٤ - تفسير أبي السعود ج١ ص٤٥٧-٤٥٨.

٦٩٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٦٩٦ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لما كانت القراءة الأولى (لِيُحكَم) تدل على أن الله أنزل الكتب لِيُحْكَم بها بين الناس، والقراءة الثانية (لِيَحكُم) تدل على أن الكتب نزلت لتَحْكُم بين الناس، فهذا يدل على أن تحكيم كتاب الله يساوي تحكيم الله في المسألة، وهذا المعنى له ما له من قداسة وقيمة واعتبار. ولقد تقدم الحديث عن مثلها عند تفسير قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله ...)[٦٩٧] البقرة ٢١٣

٦- ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ٣٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر (وضَعْتُ) بإسكان العين وضم التاء.
٢. قرأ الباقون (وضَعَتْ) بفتح العين وإسكان التاء.[٦٩٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوَضع أعم من الحط، ومنه الموضع، ويقال ذلك في الحَمل والحِمل، ويقال: وضعت الحَمل فهو موضوع.[٦٩٩] قال الفيروز آبادي: «وضَعه: حطه، والإبل وضيعة: رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، كأوضعت، فهي واضعةٌ وواضعٌ ومُوضعةٌ.»[٧٠٠]

---

٦٩٧ - راجع ص ١٣٣ عند تفسير قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ...) البقرة ٢١٣.
٦٩٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٩.
٦٩٩ - مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٤ باختصار.
٧٠٠ - القاموس المحيط ج٢ ص١٠٣٢ باختصار.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن ميلاد مريم عليها السلام بعد أن نذرت أمها ما في بطنها محررا لله. قال ابن كثير في تفسيره: "(فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) قُرِئَ برفع التاء على أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها، وقُرِئَ بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل، (وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا، وقوله إخبارا عن أم مريم أنها قالت (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك."[701]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن عاشور في تفسيره: "وقوله (والله أعلم بما وضعتْ) جملة معترضة، وقرأ الجمهور: وضعتْ — بسكون التاء — فيكون الضمير راجعا إلى امرأة عمران. وهو حينئذ من كلام الله وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت. وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها. وتعليم بأن من فوض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: بضم التاء (وضَعْتُ) على أنها ضمير المتكلمة امرأة عمران، فتكون الجملة من كلامها المحكي. وعليه فاسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة فيكون قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر."[702]

---

٧٠١ – تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٨-٤٧٦ باختصار.

٧٠٢ – تفسير التحرير والتنوير المجلد الثالث ج٣ ص٢٣٣.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح لنا أنها قالت ذلك تحسرا على أنها أنثى ليست كالرجل في خدمة البيت فأعلمها الله بنفاسة ما وضعت وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته.

٧- ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (وكفّلها) بتشديد الفاء.

٢. قرأ الباقون (وكفَلها) بتخفيفها[٧٠٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكفالة: الضمان تقول: تكفلت بكذا، وكفَّلته فلانا. وقرء (وكفَّلها زكريا) أي: كفَّلها الله، ومن خفف جعل الفعل لزكريا ، والمعنى: تضمنها.[٧٠٤]

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- في هذه الآية استجابته لدعاء أم مريم، فأنشأها نشأة صالحة في كنف نبي الله زكريا عليه السلام، وأكرمها بالرزق الوفير في غير أوانه كرامة لها.

قال صاحب الجلالين: «(فتقبلها ربها) أي قبل مريم من أمها (بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) أنشأها بخلق حسن، (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب) الغرفة وهي أشرف المجالس (وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى) من أين (لك هذا قالت) وهي صغيرة (هو من عند الله)

٧٠٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٩.

٧٠٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧١٧.

يأتيني به من الجنة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) رزقا واسعا بلا تبعة.»[٧٠٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "قرأ الجمهور (وكفلها زكريا) بتخفيف الفاء من كفلها أي: تولى كفالتها.

وقرأ حمزة وعاصم والكسائي وخلف (وكفَّلها) بتشديد الفاء أي: أن الله جعل زكريا كافلا لها.[٧٠٦]

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الله -عز وجل- قد ألزم زكريا بكفالة مريم فتولى كفالتها. قال القرطبي في تفسيره: "(وكفَّلها) بالتشديد فهو يتعدى إلى مفعولين، والتقدير: وكفلها ربها زكريا أي ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسَّره له."[٧٠٧]

٨ - ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ٣٩

القراءات:

١. قرأ حمزة (فناداه) بألف بعد الدال ممالة (إنَّ الله) بكسر الهمزة (يَبْشُرُك) بفتح الياء وفتح الشين وضمها من البشر وهو البشرى والبشارة.
٢. قرأ الكسائي (فناداه) بألف بعد الدال (أنَّ الله) بفتح الهمزة (يَبْشُرُك) بفتح الياء وفتح الشين وضمها.

٧٠٥ - تفسير الجلالين ص٥٤ باختصار.

٧٠٦ - تفسير التحرير والتنوير المجلد الثالث ج٣ ص٢٣٦.

٧٠٧ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٧٠.

٣. قرأ خلف (فناداه) بألف بعد الدال (أنَّ اللّه) بفتح الهمزة (يُبَشِّرُك) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من بشر المضعف على التكثير.
٤. قرأ ابن عامر (فنادته) بتاء ساكنة بعد الدال (إنَّ اللّه) بكسر الهمزة (يُبَشِّرك) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة.
٥. قرأ الباقون (فنادته) بتاء ساكنة بعد الدال (أنَّ اللّه) بفتحها (يُبَشِّرك) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة.[٧٠٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

النداء: رفع الصوت وظهوره، وقد يقال ذلك للصوت المجرد.[٧٠٩] أبشَرْت الرجل وبشَّرته وبشَرته: أخبرته بسارٍّ بسط بشرة وجهه، واستبشر: إذا وجد ما يبشرُه من الفرح.[٧١٠]

التفسير:

في هذه الآية البشارة لزكريا- عليه السلام -بولادة يحيى- عليه السلام -واصطفائه بالنبوة.

قال صاحب التفسير المنير: "فخاطبته الملائكة شفاها، والمخاطب في رأي الجمهور: هو جبريل عليه السلام، والأظهر في رأي القرطبي: ناداه جميع الملائكة، أي جاء النداء من قبلهم. وهو قائم يدعو الله ويصلي في محراب عبادته، وقالت له: إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى، وهو أول من يصدق بعيسى بن مريم- عليه السلام -، ويحيى سيد قومه، ومعصوم من الذنوب، ومانع نفسه من شهواتها، ونبي يوحى إليه -وهذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته، وهي أعلى من الأولى- وهو صالح ناشئ

٧٠٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٩-٢٤٠.
٧٠٩ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٦.
٧١٠ - انظر المصدر السابق ص١٢٥.

من أصلاب الصالحين: أنبياء الله الكرام- صلوات الله عليهم -.[711]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (فناداه)، (فنادته) فأثرهما يظهر من الناحية النحوية والبلاغية من حيث جواز التذكير والتأنيث مع جمع التكسير، وجواز مخاطبة الفرد بصيغة الجمع. فنقول: (فناداه) جمع الملائكة، و(فنادته) جماعة الملائكة.

قال القرطبي: "وأما فناداه فهو جائز على تذكير الجمع ونادته على تأنيث الجماعة. قال مكي: والملائكة ممن يعقل في التكسير فجرى في التأنيث مجرى ما لا يعقل، تقول: هي الرجال وهي الجذوع وهى الجمال وقالت الأعراب، ويقوى ذلك قوله (وإذ قالت الملائكة) وقد ذكر في موضع آخر فقال (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام ٩٣ ، وهذا إجماع وقال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) الرعد ٢٣ ، فتأنيث هذا الجمع وتذكيره حسنان. وقال السدي[712]: ناداه جبريل وحده كذا في قراءة ابن مسعود وفي التنزيل (ينزل الملائكة بالروح من أمره) النحل ٢ ، يعنى جبريل والروح الوحي وجائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع وجاء في التنزيل (الذين قال لهم الناس) آل عمران ١٧٣ ، يعني نعيم بن مسعود على ما يأتي وقيل ناداه جميع الملائكة وهو الأظهر أي جاء النداء من قبلهم.»[713] وقال الإمام الطبري: (فإن قال قائل وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل (فنادته الملائكة) والملائكة جمع لا واحد قيل ذلك جائز في كلام العرب بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال في الكلام

711 - التفسير المنير ج٣ ص٢١٨ باختصار.

712 - إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد، الإمام المفسر، الحجازي ثم الكوفي، الأعور السدي، ورد عنه أنه رأى أبا هريرة، والحسن بن علي، توفي سنة ١٢٧هـ ﴿انظر سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٤﴾.

713 - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٧٤.

خرج فلان على بغال البرد وإنما ركب بغلا واحدا وركب السفن وإنما ركب سفينة واحدة.»[٧١٤]

وأما بالنسبة لقراءتي (إنَّ الله)، (أنَّ الله) فقد قال ابن زنجلة: «فمن فتح فالمعنى نادته بأن الله يبشرك أي نادته بالبشارة. ومن كسر أراد قالت له: إن الله يبشرك، ويجوز أن تقول إنما كسره على الاستئناف.»[٧١٥]

وبالجمع بين القراءات: يتضح لنا أن جبريل عليه السلام ممثلا عن الملائكة قد بشره بيحيى قائلا له: (إن الله يبشرك بيحيى ...). الآية

وأما بالنسبة لقراءتي (يَبْشُرك)، (يُبَشِّرك) فلقد ذهب البعض إلى أنها لغات بمعنى واحد.

قال الأخفش[٧١٦]: «هي ثلاث لغات بمعنى واحد.»[٧١٧] وقال الطوسي: «وأما يبشرك فقال أبو عبيدة يَبْشُرك ويُبَشِّرك واحد، وقال الزجاج هذا من بشر يبشر إذا فرح.»[٧١٨] وكذلك قال الإمام مكي بن أبي طالب: «والتخفيف والتشديد لغتان مشهورتان، يقال: بَشَر يُبشر، وبشّر يبشّر مبشّرا وبشورا.»[٧١٩] وقال الإمام الطبري: «وأما ما روي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه.»[٧٢٠] ومع هذا فإن قراءة التشديد أفادت المبالغة والتأكيد على البشارة أكثر مما أفادته قراءة التخفيف.

---

٧١٤ - جامع البيان ج٣ ص٢٤٩.

٧١٥ - حجة القراءات ص١٦٣.

٧١٦ - سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، البلخي ثم البصري، لزم سيبويه حتى برع، توفي سنة ٢١٥هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٢٠٦﴾.

٧١٧ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٧٥.

٧١٨ - مجمع البيان ج٢ ص٢٢١.

٧١٩ - الكشف ج١ ص٣٤٤.

٧٢٠ - جامع البيان ج٣ ص٢٥٢ باختصار.

٩- ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ آل عمران: ٤٨

القراءات:

١. قرا المدنيان وعاصم ويعقوب (يُعَلِّمُه) بالياء.

٢. قرأ الباقون (نُعَلِّمُه) بالنون.[٧٢١]

التفسير:

قال الإمام الطبري في تأويل الآية: "وهذا ابتداء خبر من الله -عز وجل- لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة فقال كذلك الله يخلق منك ولدا من غير فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب وهو الخط الذي يخطه بيده، والحكمة وهي السنة التي نوحيها إليه في غير كتاب، والتوراة وهي التوراة التي أنزلت على موسى كانت فيهم من عهد موسى، والإنجيل إنجيل عيسى ولم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه. وإنما أخبرها بذلك فسماه لها لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحي إليه كتابا اسمه الإنجيل فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي -ﷺ- الذي سمعت بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي يسمى إنجيلا هو الولد الذي وهبه لها وبشرها به.[٧٢٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتي المعاني، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب في ذلك لاتفاق معنى القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يعلم عيسى الكتاب، وما ذكر أنه يعلمه."[٧٢٣] ومع هذا فقد أفادت قراءة (نعلمه) إظهار

---

٧٢١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.

٧٢٢ - جامع البيان ج٣ ص٢٧٤.

٧٢٣ - المصدر السابق ج٣ ص٢٧٣-٢٧٤.

العظمة مع ما فيها من التفات من الغيب إلى المخاطب وهو من الأساليب البلاغية في القرآن.

١٠- ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران: ٤٩

القراءات:

١. قرأ المدنيان (إنِّي) بكسر الهمزة.
٢. قرأ الباقون (أنِّي) بفتحها.
٣. قرأ أبو جعفر (كهيئة الطائر فأنفخ فيه فيكون طائراً).
٤. قرأ نافع ويعقوب (كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائراً).
٥. قرأ الباقون (كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً).[٧٢٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الطائر: كل ذي جناح يسبح في الهواء، يقال: طار يطير طيرانا، وجمع الطائر: طَيْرٌ، كراكب وركْب.[٧٢٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن معجزات عيسى- عليه السلام -التي أيده الله بها.

قال النسفي في تفسيره: «(ورسولا) أي ونجعله رسولا أو يكون في موضع الحال أي وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا (إلى بنى إسرائيل أنى) بأني (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدقي فيما أدعيه من النبوة

٧٢٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.
٧٢٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٢٨.

(أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أي أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فيكون طيراً) فيصير طيراً كسائر الطيور (بإذن الله) بأمره. قيل لم يخلق شيئا غير الخفاش (وأبرئ الأكمه) الذي ولد أعمى (والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) كرر بإذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إنَّ في ذلك) أي فيما سبق (لآية لكم إن كنتم مؤمنين).»[٧٢٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أني أخلق) على الفتح أنها بدل من قوله (آية) بمعنى أن هذه المذكورات هي آية ومعجزة من عند الله على صدقه.

وأما قراءة (إني أخلق) على الكسر، فهي إما على الاستئناف، أو أنها تفسير لكلمة (آية) .

وبالجمع بين القراءتين يترجح أن المقصود من قراءة الكسر: هو البيان والتفسير لا الاستئناف. قال مكي بن أبي طالب: "من فتح جعل الكلام متصلا، فأبدل (أن) من (آية) فصار التقدير: جئتكم بأني أخلق. ومن كسر جعل الكلام مستأنفا، مبتدأ به، فكسر (إن)، ويجوز أن تكون (إن) وما بعدها تفسيرا لما قبلها، فيكون في المعنى بمنزلة من فتح، وأبدل من (آية)."[٧٢٧]

وأما بالنسبة لقراءة الجمهور (كهيئة الطير فيكون طيرا) تفيد أن المخلوق كان على هيئة الطير. في حين أن قراءة أبي جعفر (كهيئة الطائر فيكون طائرا) فهي تفيد أن المخلوق كان طائرا واحدا لا أكثر.

---

٧٢٦ - تفسير النسفي ج١ ص١٥٨-١٥٩ باختصار.

٧٢٧ - الكشف ج١ ص٣٤٤-٣٤٥ بتصرف.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن المخلوق كان طيرا واحدا لا أكثر. وقد ذُكر أنه الخفاش. قال الألوسي في تفسيره: «والمشهور أنه لم يخلق غير الخفاش.»[٧٢٨]

١١- ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ آل عمران: ٥٧

القراءات:

١. قرأ حفص ورويس (فيوفيهم) بالياء.
٢. قرأ الباقون (فنوفيهم) بالنون.[٧٢٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوافي: الذي بلغ التمام. يقال: درهم واف، وكيل واف، وأوفى: إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.[٧٣٠]

التفسير:

هذه الآية والتي سبقتها (فأما الذين كفروا فأعذبهم..) تفصيل لما أجمل في قوله تعالى (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون). قال ابن عاشور في تفسيره: "وتوفية الأجور في الدنيا تظهر في أمور كثيرة: منها رضا الله عنهم، وبركاته معهم، والحياة الطيبة، وحسن الذكر. وجملة (لا يحب الظالمين) تذييل، وفيها اكتفاء: أي ويحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات."[٧٣١]

وقال الإمام الطبري: «وأما الذين آمنوا بك يا عيسى يقول صدقوك فأقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحق من عندي ودانوا بالإسلام الذي بعثتك

٧٢٨ - روح المعاني ج٣ ص١٦٨ ، وكذلك قال الطبري في تفسيره جامع البيان ج٣ ص٢٧٥-٢٧٦.
٧٢٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.
٧٣٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٨.
٧٣١ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٢٦٢.

به وعملوا بما فرضت من فرائضي على لسانك وشرعت من شرائعي وسننت من سنني، (فيوفيهم أجورهم) يقول فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يبخسون منه شيئا ولا ينقصونه. وأما قوله (والله لا يحب الظالمين) فإنه يعني والله لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيئا في غير موضعه.»[٧٣٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الضمير في القراءتين يرجع إلى فاعل واحد وهو الله إلا أن قراءة الجمهور (فنوفيهم) أفادت تعظيم المفعول. قال ابن عاشور: "وأسند فنوفيهم إلى نون العظمة تنبيها على عظمة مفعول هذا الفاعل؛ إذ العظيم يعطي عظيما."[٧٣٣]

وأما القراءة الأخرى (فيوفيهم) بياء الغائب على الالتفات وهو من الأساليب البلاغية في القرآن. قال الألوسي في تفسيره: «وقرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بياء الغيبة وزاد رويس ضم الهاء، وقرأ الباقون بالنون جريا على سنن العظمة والكبرياء، ولعل وجه الالتفات إلى الغيبة على القراءة الأولى الإيذان بأن توفية الأجر مما لا يقتضي لها نصب نفس لأنها من آثار الرحمة الواسعة، ولا كذلك العذاب.»[٧٣٤]

١٢- ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ٧٣

٧٣٢ - جامع البيان ج٣ ص٢٩٤ باختصار.

٧٣٣ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٢٦٢.

٧٣٤ - روح المعاني ج٣ ص١٨٥.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (آن يؤتى) بهمزتين ثانيتهما مسهلة بلا فصل لقصد التوبيخ.
٢. قرأ الباقون (أَن يؤتى) بهمزة مفتوحة.[٧٣٥]

التفسير:

هذه الآية استمرار لبيان ما كان يحيكه اليهود ويدبرونه من مكر وفساد بقصد فتنة المسلمين عن دينهم والتنبيه على أتباعهم بأن لا يؤمنوا الإيمان الحق إلا لدينهم. قال ابن كثير في تفسيره: "(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) أي لا تطمئنوا وتظهروا سروركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم، قال الله تعالى (قل إن الهدى هدى الله) أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد -ﷺ- من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الأمي في كتبكم التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين وقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أي يتخذونه حجة عليكم بما في أيديكم فتقوم به عليكم الدلالة وتتركب الحجة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) أي الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة (والله واسع عليم)."[٧٣٦]

---

٧٣٥ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٢٥.

٧٣٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٩٦-٤٩٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل قراءة معنى جديداً، حيث أفادت قراءة المد (آن) تأكيد الإنكار من اليهود بأن الله لا يؤتي أحدا مثل ما آتاهم. قال مكي بن أبي طالب في توجيهه لقراءة المد (آن يؤتى): "تأكيد الإنكار الذي قالوه، بأنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوا؛ لأن علماء اليهود قالت لعامتهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم آن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. أي: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم."[737] وقال ابن عاشور في تفسيره: «أنهم أرادوا إنكار أن يؤتى أحد النبوة كما أوتيها أنبياء بني إسرائيل، فيكون الكلام استفهاما إنكاريا حذفت منه أداة الاستفهام لدلالة السياق، ويؤيده قراءة ابن كثير (آن يؤتى أحد) بهمزتين.»[738]

وأما القراءة الأخرى (أن يؤتى) فلقد أفادت بيان علة الإنكار وهو أن لا يعلمه المسلمون كما قاله ابن كثير في معنى الآية.

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا أن إنكار طائفة اليهود على الأخرى لاعتقادهم أن لا أحد يمكن أن يؤتى مثلما أوتوا، وعليه فالواجب في حقهم عدم تعليمه للآخرين حتى لا يساووهم في العلم به وحتى لا يكون ذلك حجة عليهم.

١٣- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

القراءات:

٧٣٧ - الكشف ج٢ ص٣٤٧.

٧٣٨ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٢٨٢.

١. قرأ ابن عامر والكوفيون (تُعَلِّمون) بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة.
٢. قرأ الباقون (تَعْلَمون) بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففا.[٧٣٩]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما ينبغي أن يكون عليه العباد وخصوصا الأنبياء -عليهم السلام- الذين أكرمهم الله بالنبوة والرسالة من الالتزام بالحق الذي جاء من عند الله -ﷻ-، والدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبودية له وحده.

قال الطبري في تفسيره: "يعني بذلك جل ثناؤه وما ينبغي لأحد من البشر (أن يؤتيه الله الكتاب) يقول أن ينزل الله عليه كتابه (والحكم) يعني ويعلمه فصل الحكمة (والنبوة) يقول ويعطيه النبوة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) يعني ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة، ولكن إذا آتاه الله ذلك فإنما يدعوهم إلى العلم بالله ويحدوهم على معرفة شرائع دينه وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمي الناس الكتاب وبكونهم دارسيه."[٧٤٠]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة ابن عامر (تُعَلِّمون) مفسرة لقراءة الجمهور، بمعنى أن العَالم لا يستحق أن يوصف بأنه رباني حتى يُعلم الناسَ العلم، ويعمل بعلمه.

قال الألوسي في تفسيره: "والمطلوب أن لا ينفك العلم عن العمل إذ لا يعتد بأحدهما بدون الآخر."[٧٤١]

٧٣٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.
٧٤٠ - جامع البيان ج٣ ص٣٢٤.
٧٤١ - روح المعاني ج٣ ص٢٠٨

وقال الطوسي في تفسيره: «ومن قرأ بالتشديد أراد تعلمونه لسواكم فيفيد أنهم يَعلمون ويُعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين.»[٧٤٢]
وقال مكي بن أبي طالب: «فالتشديد يدل على العلم والتعليم، والتخفيف إنما يدل على العلم فقط.»[٧٤٣]
وفي القراءتين دعوة للعلم والتعليم، فلا يكون العالم ربانياً حتى يعلم ويربي الناس بأفعاله وأقواله، كما أمر به تعالى نبيه بقوله)وقل رب زدني علما(طه ١١٤ ، وقال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر ٩ ، وقال عليه الصلاة والسلام: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.[٧٤٤]

١٤- ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب (ولا يأمرَكم) بنصب الراء.
٢. قرأ الباقون (ولا يأمرُكم) بالرفع.[٧٤٥]

المعنى اللغوي للقراءات:

الأمر: الشأن، وجمعه أمور، ومصدرُ أمرته: إذا كلَّفته أن يفعل شيئاً.. والأمر: التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم افْعَل ولْيَفْعَل، أو كان ذلك بلفظ خبر.[٧٤٦]

٧٤٢ - مجمع البيان ج٢ ص٢٥٦ ، وبه قال الطبري في تفسيره جامع البيان ج٣ ص٣٢٧-٣٢٨.
٧٤٣ - الكشف ج٢ ص٣٥١ ، وانظر جامع البيان ج٣ ص٣٢٧-٣٢٨.
٧٤٤ - رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج٩ ص٧٤ – رقم ٥٠٢٧.
٧٤٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.
٧٤٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨.

التفسير:

هذه الآية معطوفة على الآية السابقة، فهي تنفي عن الأنبياء- عليهم السلام -الدعوة لاتخاذ غير الله الاها يعبد، سواء كان هذا الشريك نبي أو ملك. قال ابن كثير في تفسيره: "(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء ٢٥ ، وقال إخبارا عن الملائكة (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)»[٧٤٧] الأنبياء ٢٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الرفع (يأمرُكم) أن الضمير يعود على لفظ الجلالة أو على بشر المتقدم.

في حين أفادت قراءة النصب أن الضمير في (يأمرَكم) يعود على (بشر) المتقدم ذكره.

قال أبو حيان في توجيه قراءة الرفع: "والمعنى على هذه القراءة أنه لا يقع من بشر موصوف بما وصف به أن يجعل نفسه ربا فيعبد، ولا هو أيضا يأمر باتخاذ غيره من ملائكة وأنبياء أربابا، فانتفى أن يدعو لنفسه ولغيره، وإن كان الضمير يعود على الله فيكون إخبارا من الله أنه لم يأمر بذلك فانتفى أمر الله بذلك وأمر أنبيائه. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة (ولا يأمركم) بنصب الراء وخرجه أبو علي وغيره على أن يكون المعنى ولا له أن يأمركم

٧٤٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٠١-٥٠٢ باختصار.

فقدروا أن مضمرة بعد لا، فتكون لا مؤكدة معنى النفي السابق."[٧٤٨]
وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من نصبه أنه عطفه على (أن يؤتيه) ففي يأمركم ضمير (بشر) المتقدم ذكره، والمراد به النبي- r.-وحجة من رفع أنه قطعه مما قبله، ففيه ضمير اسم الله جل ذكره، والمعنى: أنه ابتدأ الكلام فقال: ولا يأمُركم الله أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا."[٧٤٩] وقال الألوسي في تفسيره: «قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على (يقول)، (ولا) إما مزيدة لتأكيد معنى النفي الشائع في الاستعمال سيما عند طول العهد وتخلل الفصل والمعنى ما كان لبشر أن يؤتيه الله تعالى ذلك ويرسله للدعوة إلى اختصاصه بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا (الملائكة والنبيين أربابا)، وإما غير زائدة. وقرأ باقي السبعة (ولا يأمركم) بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحالية.»[٧٥٠]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ولا ينبغي لله ولا للرسول أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا من دون الله كما قال ذلك أبو حيان.

١٥- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ آل عمران: ٨١

٧٤٨ - تفسير أبي حيان ج٢ ص٥٣٠ .

٧٤٩ - الكشف ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ باختصار.

٧٥٠ - روح المعاني ج٣ ص٢٠٨.

القراءات:

١. قرأ حمزة (لِما آتيتكم).
٢. قرأ المدنيان (لَما آتيناكم).
٣. قرأ الباقون (لَما آتيتكم).[٧٥١]

التفسير:

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته. قال الأمام الطبري: "وأولى الأقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبر من الله - عَزَّ وَجَلَّ - عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به وألزمهم دعاء أممهم إليه والإقرار به لأن ابتداء الآية خبر من الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم فقال هو كذا وهو كذا. وإنما قلنا إن ما أخبر الله أنه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك قد أخذت الأنبياء مواثيق أممها به لأنها أرسلت لتدعو عباد الله إلى الدينونة بما أمرت بالدينونة به في أنفسها من تصديق رسل الله. فتأويل الآية: واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به يقول لتصدقنه ولتنصرنه.»[٧٥٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أدى اختلاف القراءات إلى اختلاف المعاني، فكل قراءة أفادت معنى مغايرا للآخر.

---

٧٥١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤١.
٧٥٢ - جامع البيان ج٣ ص٣٣٣-٣٣٤.

فلقد ذكر ابن هشام "أن من معاني اللام الجارة: التعليل، ومثَّل لذلك بقراءة حمزة (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لِما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية، فقال في معناها: أي لأجل إتياني إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء محمد -ﷺ- مصدقا لما معكم لتؤمنن به، فما: مصدرية فيهما، واللام تعليلية، وتعلقت بالجواب المؤخر على الاتساع في الظرف. ويجوز كون (ما) موصولا اسميا.

وأما قراءة الباقين بالفتح: فاللام لام التوطئة، وما: شرطية، أو اللام للابتداء، وما، موصولة، أي: الذي آتيتكموه، وهي مفعولة على الأول، ومبتدأ على الثاني."[٧٥٣] وقال الطبرسي في تفسيره: «الوجه في قراءة حمزة لِما آتيتكم بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا، ويكون (ما) على هذا موصولة. وأما بالنسبة لقراءة (لَما آتيتكم) بفتح اللام فقال أبو علي: ومن فتح اللام فقال (لَما آتيتكم) فإن (ما) فيه تحتمل وجهين: الأول: أن تكون ما موصولة. والتقدير: للذي آتيتكموه أي أعطيتكموه. والثاني: أن تكون للجزاء. والتقدير: أي شيء آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن.»[٧٥٤]

وأما بالنسبة لقراءة (لَما آتيناكم) على الجمع فتفيد التعظيم زيادة على ما في قراءة التوحيد (آتيتكم).

وبالجمع بين القراءات يتبين عِظم ما جاء به النبيُّون، والشرف العظيم الذي منحهم الله إياه بحمل الرسالة، وعظم الأمانة التي كُلِّفوا بها، بإبلاغه للناس، ومن أجلِّها التصديق بخاتم النبيين والإيمان به.

---

٧٥٣ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / ابن هشام الأنصاري ص٢٧٦-٢٧٧ باختصار - تحقيق د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله - بيروت - دار الفكر - ط٦ - سنة ١٩٨٥م.

٧٥٤ - انظر مجمع البيان ج٢ ص٢٥٧-٢٥٨.

١٦-﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ آل عمران: ٨٣

القراءات:

١. قرأ حفص (يَبغون) بالغيب، (يُرجَعون) بالخطاب.
٢. قرأ يعقوب (يَبغون – يَرجِعون) بالغيب.
٣. قرأ أبو عمرو البصري (يَبغون) بالغيب، (تُرجَعون) بالخطاب.
١. قرأ الباقون (تَبغون – تُرجَعون) بالخطاب فيهما.[٧٥٥]

المعنى اللغوي للقراءات:

البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب، وابتغيت كذلك. والبغي على ضربين: أحدهما محمود: وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع، والثاني مذموم: وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه، وبغى الجرح: تجاوز الحدَّ في فساده، وبغت المرأة بِغاءً: إذا فَجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها.[٧٥٦]

التفسير:

لما بين سبحانه بطلان اليهودية وسائر الملل غير الإسلام بين عقيبه أن من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال (أفغير دين الله يبغون) أي أفبعد هذه الآيات والحجج يطلبون دينا غير دين الله.[٧٥٧] قال ابن كثير: «يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله الذي أنزل

---

٧٥٥ – المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج١ ص١٠٩، وانظر النشر ج٢ ص٢٤١.

٧٥٦ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٦.

٧٥٧ – مجمع البيان ج٢ ص٢٥٩.

به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي (له أسلم من في السماوات والأرض) أي استسلم له من فيهما (طوعا وكرها) كما قال تعالى (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) الرعد ١٥ ، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر مستسلم لله كرها فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع (وإليه يرجعون) أي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله.»[٧٥٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الغيب (يَبغون) إبراز ناحية بلاغية وهي استخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيب من أجل تحقير أهل الكتاب الذين يبغون غير دين الله. قال ابن عاشور: "وقرأه الجمهور (تَبغون) بتاء الخطاب فهو خطاب لأهل الكتاب جار على طريقة الخطاب في قوله آنفا (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة). وقرأه أبو عمرو وحفص ويعقوب: (يَبغون) بياء الغيبة فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة، إعراضا عن مخاطبتهم إلى مخاطبة المسلمين بالتعجيب من أهل الكتاب. وكله تفريع ذكر أحوال خلف أولئك الأمم كيف اتبعوا غير ما أخذ عليهم العهد به. والاستفهام حينئذ للتعجب."[٧٥٩]

وكذلك الحال بالنسبة لقراءة (تَرجِعون) و (يَرجِعون)، قال الألوسي في تفسيره: «(وإليه يُرجَعون) قرأ عاصم بياء الغيبة، والضمير لمن عاد إليه ضمير (يبغون) فان قُرأ بالخطاب فهو التفات. وقرأ الباقون بالخطاب، والضمير عائد لمن عاد إليه ضمير (يبغون) فعلى الغيبة فيه التفات أيضا .»[٧٦٠]

٧٥٨ – تفسير ابن كثير ج١ ص٥٠٣ باختصار.

٧٥٩ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص٣٠٠-٣٠١.

٧٦٠ – روح المعاني ج٣ ص٢١٤.

وأما بالنسبة لقراءة (يَرجِعون) و(يُرجَون) بفتح حرف المضارعة وضمه فقد تقدم الحديث عن مثله.[761]

١٧- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾
آل عمران: ١٠٩

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وكذا يعقوب وخلف (تَرجِع الأمور) بفتح التاء وكسر الجيم.
٢. قرأ الباقون (تُرجَع) بضم حرف المضارعة وفتح الجيم.[762]

التفسير:

يبين المولى عز وجل استحقاقه للعظمة والكبرياء من خلال ملكه للأشياء. قال الألوسي في تفسيره للآية: «أي له سبحانه وحده ما فيهما من المخلوقات ملكا وخلقا وتصرفا والتعبير بـ (ما) للتغليب أو للإيذان بأن غير العقلاء بالنسبة إلى عظمته كغيرهم (وإلى الله ترجع الأمور) أي أمورهم فيجازي كلا بما تقتضيه الحكمة من الثواب والعقاب وتقديم الجار للحصر أي إلى حكم الله تعالى وقضائه لا إلى غيره شركة أو استقلالا والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين، وقيل معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه والإظهار في مقام الإضمار لتربية المهابة.»[763]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تشير الآية إلى أن الأمور كلها ترجع إلى الله فالأمور الاختيارية ترجع، والأمور الاضطرارية ترجع كذلك. قال الشعراوي في تفسيره: «وفيه فرق

٧٦١ - راجع ص٦٩.
٧٦٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.
٧٦٣ - روح المعاني ج٤ ص٢٧.

بين (تَرجع الأمور) بفتح التاء، وبين (تُرجع الأمور) بضم التاء، فكأن الأمور مندفعة بذاتها، ومرة تُساق إلى الله. إن الراغب سيرجع إلى ربه بنفسه؛ لأنه ذاهب إلى الخير الذي ينتظره، أما غير الراغب والذي كان لا يرجو لقاء ربه فسَيُرجَع بالرغم عنه، تأتي قوة أخرى تُرجِعه، فمن لم يجيء رغبا يأتي رهباً.»[٧٦٤]

١٨- ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾
آل عمران: ١١٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (يفعلوا – يكفروه) بالغيب فيهما.
٢. اختلف عن الدوري عن أبي عمرو فيهما.
٣. قرأ الباقون (تفعلوا – تكفروه) بالخطاب فيهما.[٧٦٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سعة علم الله وعدله فهو سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا بل يثيب كلا بعمله. قال ابن كثير: «(وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء (والله عليم بالمتقين) أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا.»[٧٦٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (يفعلوا – يكفروه) أنه إخبار عن أهل الكتاب السابق ذكرهم.

٧٦٤ - تفسير الشعراوي ج٢ ص٨٩٣، أخبار اليوم.
٧٦٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤١.
٧٦٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٢٧-٥٢٨.

في حين أن قراءة (تفعلوا – تكفروه) أفادت معنى زائدا وهو أن الخطاب فيه للجميع فيندرج تحته أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين، قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور (تفعلوا) بالفوقية فهو وعد للحاضرين، ويعلم منه أن الصالحين السابقين مثلهم، بقرينة مقام الامتنان، ووقوعه عقب ذكرهم، فكأنه قيل: وما تفعلوا من خير ويفعلوا. ويجوز أن يكون التفاتا لخطاب أهل الكتاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف بياء الغيبة عائدا إلى أمة قائمة.»[٧٦٧]

وبالجمع بين القراءتين نرى أنهما تدلان على عموم الأجر على الخير، سواء على الغائبين أو المخاطبين.

١٩- ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠

القراءات:

١. قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر (لا يَضُرُّكم) بضم الضاد ورفع الراء وتشديدها.
٢. قرأ الباقون (لا يَضِرْكم) بكسر الضاد وجزم الراء مخففة.[٧٦٨]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن المنافقين، وعن شدة عداوتهم للمسلمين، فهم يحزنون إذا أصاب المسلمون خيرا ولو قليل، ويفرحون لمصائبهم.

قال الطبري في تفسيره: "قال تعالى (إن تمسسكم حسنة تسؤهم) إن

---

٧٦٧ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٥٩.

٧٦٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

تنالوا أيها المؤمنون سرورا بظهوركم على عدوكم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يسؤهم، وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدو لكم منكم، أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها. (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فإنه يعني بذلك جل ثناؤه وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين وغير ذلك من سائر ما نهاكم وتتقوا ربكم فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله لا يضركم كيدهم شيئا أي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم. ويعني بكيدهم غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق."[٧٦٩] وقال ابن كثير: «يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته ومن توكل عليه كفاه.»[٧٧٠]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب أكثر العلماء إلى أن القراءتين ترجعان لمعنى واحد باعتبار أنهما لغتان للعرب. قال مكي بن أبي طالب: «وهما لغتان: ضرّه يضرّه، وضاره يضيره.»[٧٧١] وقال الطبرسي في تفسيره: «من قرأ (لا يضرْكم) فهو من ضاره يضيره ضيراً. ومن قرأ (لا يضُرُكم) فهو من ضَرَّه يضُرُ ضراً،

٧٦٩ - جامع البيان ج٤ ص٦٧-٦٨ باختصار.

٧٧٠ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٣٠.

٧٧١ - الكشف ج١ ص٣٥٥.

والضير والضرُ بمعنى واحد .»[٧٧٢] إلا أن في التشديد معنى الكثرة، بخلاف قراءة التخفيف.

وعليه يصبح المعنى: إن تصبروا وتتقوا لا يصيبكم منهم ضرر لا كبير ولا صغير.

٢٠- ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٤

القراءات:

قرأ ابن عامر (منزَّلين) بتشديد الزاي.

قرأ الباقون (منزَلين) بتخفيفها .[٧٧٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، ونزل بكذا، وأنزله بمعنى.[٧٧٤]

التفسير:

تتحدث الآية عن معركة بدر وما وعد الله به المؤمنين من إنزال الملائكة تثبيتا للمؤمنين إن هم صبروا واتقوا. قال الطبري في تفسيره: "يعني تعالى ذكره (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) وذلك يوم بدر. ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم في أي يوم وعدوا ذلك. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر عن

٧٧٢ - مجمع البيان ج٢ ص٢٨٩.

٧٧٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٧٧٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٩.

نبيه محمد أنه قال للمؤمنين (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم. وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم. وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف. وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الأنفال ٩، فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا، وينال منهم ما نيل منهم.»[٧٧٥]

وقال ابن عاشور في تفسيره: «وظرف (إذ تقول للمؤمنين) زماني وهو متعلق بـ (نصركم) لأن الوعد بنصرة الملائكة للمؤمنين كان يوم بدر لا يوم أحد. وهذا قول جمهور المفسرين. وخص هذا الوقت بالذكر لأنه كان وقت ظهور هذه المعجزة، وهذه النعمة، فكان جديرا بالتذكير والامتنان. والمعنى: إذ تعد المؤمنين بإمداد الله بالملائكة، فما كان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم تلك المقالة إلا بوعد أوحاه الله إليه أن يقوله. والاستفهام في قوله (ألن يكفيكم) تقريري. ووصف الملائكة (بمنزَلين) للدلالة على أنهم ينزلون إلى الأرض في موقع القتال عناية بالمسلمين.»[٧٧٦]

---

٧٧٥ – جامع البيان ج٤ ص٧٦.

٧٧٦ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٧٢-٧٤ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد وهما لغتان. قال ابن عاشور في تفسيره: "وقرأ الجمهور (منْزَلين) بسكون النون وتخفيف الزاي، وقرأه ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاي وأنزل ونزّل بمعنى واحد."[٧٧٧]

وقال ابن زنجلة: «هما لغتان نزل وأنزل مثل كرم وأكرم.»[٧٧٨]

وذهب آخرون إلا أن قراءة التشديد تفيد التكثير. قال مكي بن أبي طالب: «هما لغتان، من شدد جعله من نزل، ومن خفف جعله من أنزل. وفي التشديد معنى التكرير.»[٧٧٩] وقال الألوسي في تفسيره: «وقرء (منزَّلين) بالتشديد للتكثير أو للتدريج.»[٧٨٠]

وبناء على قول مكي بن أبي طالب والألوسي يمكن اعتبار أن قراءة التضعيف تفيد إنزال الملائكة على مراحل، والتخفيف إنزالهم على مرحلة واحدة. أو أن التضعيف تفيد إنزالهم أكثر من مرة، والتخفيف إنزالهم مرة واحدة. وعلى كلا المعنيين ففيه التثبيت لقلوب المؤمنين.

٢١- ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٥

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم (مسوِّمين) بكسر الواو.
٢. قرأ الباقون (مسوَّمين) بفتحها.[٧٨١]

٧٧٧ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص٧٤.
٧٧٨ - حجة القراءات ص١٧٢.
٧٧٩ - الكشف ج١ ص٣٥٥.
٧٨٠ - روح المعاني ج٤ ص٤٤.
٧٨١ - انظر النشر ج٢ ص ٢٤٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

الوَسم: التأثير، والسمة: الأثر. يقال: وسمت الشيء وسما: إذا أثرت فيه بسمة.[782]

التفسير:

تتحدث الآية عن وعد الله للمؤمنين إن هم صبروا واتقوا أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين. قال القرطبي في تفسيره: "(بلى) وتم الكلام (إن تصبروا) شرط أي على لقاء العدو (وتتقوا) عطف عليه أي معصيته والجواب (يمددكم) ومعنى (من فورهم) من وجههم هذا وقيل من غضبهم. قوله تعالى (مسومين) بفتح الواو اسم مفعول وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ونافع أي معلمين بعلامات و(مسومين) بكسر الواو اسم فاعل وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعاصم فيحتمل من المعنى ماتقدم أي قد أعلموا أنفسهم بعلامة وأعلموا خيلهم."[783]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل قراءة معنى مغايرا للأخرى. قال الطبرسي في تفسيره: "وقوله (مسوِّمين) بالكسر أي معلمين أعلموا أنفسهم. و(مسوَّمين) بالفتح سوَّمهم الله أي أعلمهم."[784] وقال الإمام الطبري في تفسيره: (واختلف القراء في قراءة قوله (مسومين) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة (مسوَّمين) بفتح الواو بمعنى أن الله سومها. وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة (مسوِّمين) بكسر الواو بمعنى أن الملائكة سومت لنفسها.»[785] وقال ابن زنجلة: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (مسوِّمين) بكسر الواو

782 - مفردات ألفاظ القرآن ص871.

783 - الجامع لأحكام القرآن ج4 ص195-196 باختصار.

784 - مجمع البيان ج2 ص295.

785 - جامع البيان ج4 ص81-82.

أي معلمين أخذ من السُومة وهي العلامة وحجتهم ما جاء في التفسير قال مجاهد: كانوا سوموا نواصي خيولهم بالصوف الأبيض فهم على هذا التفسير مسوِّمون لأنهم فاعلون. ووردت الأخبار بأن الملائكة نزلت على رسول الله -ﷺ- معتمين بعمائم صفر فأضافوا الاعتمام إليهم ولم يقل معممين فيكونوا مفعولين وتكون القراءة بفتح الواو.[786]

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الملائكة قد نزلت معلمة من الله بعمائم صفر وأنها أي الملائكة قد قامت بوسم خيلها بالصوف الأبيض كما ورد ذلك في الأخبار.[787]

٢٢-﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ آل عمران: ١٣٣

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر (سارعوا) بغير واو قبل السين وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام.
٢. قرأ الباقون (وسارعوا) بالواو وكذلك هي في مصاحفهم.[788]

التفسير:

يحث المولى عز وجل عباده المؤمنين أن يبادروا إلى نيل مرضاة الله وجنته الواسعة التي أعدها الله لعباده المتقين الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر. قال الشوكاني في تفسيره: «أي عرضها كعرض السماوات والأرض ومثله الآية الأخرى (عرضها كعرض

٧٨٦ - حجة القراءات ص١٧٣.
٧٨٧ - انظر جامع البيان ج٤ ص٨٢-٨٣.
٧٨٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

السماء والأرض) الحديد ٢١ ، وقد اختلف في معنى ذلك فذهب الجمهور إلى أنها تقرن السماوات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض فذلك عرض الجنة ونبه بالعرض على الطول لأن الغالب أن الطول يكون أكثر من العرض، وقيل إن هذا الكلام جاء على نهج كلام العرب من الاستعارة دون الحقيقة وذلك أنها لما كانت الجنة من الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسن التعبير عنها بعرض السماوات والأرض مبالغة لأنهما أوسع مخلوقات الله سبحانه فيما يعلمه عباده ولم يقصد بذلك التحديد .»[٧٨٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي بن أبي طالب: "(وسارعوا) قرأه نافع وابن عامر بغير واو، على الاستئناف والقطع، وكذا هو في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام بغير واو، وهو مع الاستئناف ملتبس بما قبله ؛ لأن الضمائر غير مختلفة والمأمورين غير مختلفين. وقرأ الباقون بالواو، على العطف على ما قبله، من قوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وسارعوا، وهو عطف جملة على جملة، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة، وأهل البصرة بالواو."[٧٩٠]

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «تتنزل جملة (سارعوا) منزلة البيان، أو بدل الاشتمال، لجملة (وأطيعوا الله والرسول)؛ لأن طاعة الله والرسول مسارعة إلى المغفرة والجنة فلذلك فصلت. ولكون الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصالحة، جاز عطف الجملة على جملة الأمر بالطاعات، فلذلك قرأ بقية العشرة (وسارعوا) بالعطف.

---

٧٨٩ - فتح القدير ج١ ص٤٨٤.

٧٩٠ - الكشف ج١ ص٣٥٦.

وفي هذه الآية ما ينبئنا بأنه يجوز الفصل والوصل في بعض الجمل باعتبارين.»[٧٩١]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن المسارعة إلى نيل مغفرة الله وجنته لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله.

٢٣-﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٠

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (قُرْح) بضم القاف في الموضعين.
٢. قرأ الباقون (قَرْح) بفتحهما.[٧٩٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

القَرح: الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج، والقُرح: أثرها من داخل كالبثرة ونحوها وقد يقال: القَرح للجراحة والقُرح للألم.[٧٩٣]

التفسير:

هذه الآية فيها تسلية للنبي -ﷺ- ومن معه من المؤمنين مبينا لهم أن ما أصابهم يوم أحد من جراحات وآلام وهزيمة قد أصاب أعدائهم من المشركين مثلها يوم بدر، وقد جرت سنة الله في ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم. قال الإمام الطبري في تفسيره: "إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب

٧٩١ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص٨٨ .

٧٩٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٧٩٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٦٥ .

محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أيام بدر وأحد ويعني بقوله (نداولها بين الناس) نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعني بالناس المسلمين والمشركين، وذلك أن الله -ﷻ- أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم.»[794] وقال الإمام البغوي في تفسيره: «(وليعلم الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) ليُري الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ويكرم أقواما بالشهادة.»[795]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في معنى القرح بالفتح والضم: ففي حين ذهب بعض العلماء إلى أنهما لغتان بمعنى واحد ذهب بعضهم الآخر إلى أن بينهما تغاير وهذا هو الصحيح. قال القرطبي في تفسيره: "القرح: الجرح، والضم والفتح فيه لغتان عن الكسائي والأخفش مثل عَقر وعُقر. الفراء: هو بالفتح الجرح وبالضم ألمه."[796] وقال مكي ابن أبي طالب: «وأكثر الناس على أن القراءتين بمعنى الجراحات بلغتين كـ: الضَعف والضُعف، والكَره والكُره، وقال الأخفش: هما مصدران لـ: قَرِح قَرحا وقُرحا»[797] زاد ابن عطية عن الأخفش قوله: «ومن قال (القَرح) بالفتح الجراحات بأعيانها، و (القرح) بضم القاف ألم الجراحات قُبل ذلك منه إذا أتى برواية ؛ لأن هذا مما لا يعلم بقياس، وقال بهذا التفسير الطبري.»[798]

٧٩٤ - جامع البيان ج٤ ص١٠٤.

٧٩٥ - معالم التنزيل ج٢ ص١١١.

٧٩٦ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢١٧.

٧٩٧ - الكشف ج١ ص٣٥٦.

٧٩٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص٥١٣.

وبالرجوع إلى تفسير الطبري نجده يرد هذا القول ويضعفه فيقول: «اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة (إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قَرح مثله) كلاهما بفتح القاف بمعنى إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد-ﷺ- فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح: قتل وجراح مثله. وقرأ عامة قراء الكوفة (إن يمسسكم قُرح فقد مس القوم قُرح مثله). وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قَرح مثله) بفتح القاف في الحرفين لإجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح. وكان بعض أهل العربية يزعم أن القَرح والقُرح لغتان بمعنى واحد والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا."[٧٩٩]

وبالجمع بين القراءات: نرى أن في الآية تسلية لهم وتخفيف عما أصابهم من قتل وجراح وألم في أحد، وأن العدو قد تكبد من القتل والألم مثلهم، كما قال تعالى في آية أخرى (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون) النساء ١٠٤ . قال الألوسي في تفسيره: «والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، وأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله تعالى مالا يرجون.»[٨٠٠]

٢٤- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦

٧٩٩ - جامع البيان ج٤ ص١٠٣.

٨٠٠ - روح المعاني ج٤ ص٦٧.

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير والبصريان (قُتِلَ) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف.

٢. قرأ الباقون (قاتل) بفتح القاف والتاء وألف بينهما.[٨٠١]

التفسير:

قال تعالى مسليا للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير) قيل معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير وهذا القول هو اختيار ابن جرير. (قاتل معه ربيون كثير) أي علماء كثير وقيل: علماء صبر أي أبرار أتقياء وقيل: هم الذين يعبدون الرب عز وجل[٨٠٢]، (فما وهنوا) أي فما جبنوا (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب (وما استكانوا) قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم (والله يحب الصابرين).[٨٠٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (قاتل) أن الأنبياء السابقين وأتباعهم قاتلوا الكفار وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله، ولكن هذه القراءة لم تحدد نوع الابتلاء الذي أصابهم.

وأما القراءة الأخرى (قُتِل) فقد أظهرت أن الأنبياء السابقين قد ابتلوا وأتباعهم بالقتل فما أضعف ذلك من بقي من أتباع الرسل عن مواصلة مسيرة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله. وفي هذا تعريض بالصحابة

٨٠١ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٨٠٢ – انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٤٤-٥٤٥.

٨٠٣ – معالم التنزيل ج٢ ص١١٧.

رضوان الله عليم فما كان ينبغي عليهم أن ينخذلوا بعد سماعهم نبأ مقتل النبي صلى الله عيه وسلم. قال ابن زنجلة: من قرأ «(وكأين من نبي قُتِل) بضم القاف وكسر التاء أي: وكم من نبي قتل قبل محمد ومعه ربيون كثير وحجتهم أن ذلك أنزل معاتبة لمن أدبر عن القتال يوم أحد إذ صاح الصائح قتل محمد -ﷺ- فلما تراجعوا كان اعتذارهم أن قالوا: سمعنا قتل محمد فأنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم) ثم قال بعد ذلك (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير) أي جموع كثير فما تضعضع الجموع وما وهنوا لكن قاتلوا وصبروا فكذلك أنتم كان يجب عليكم ألا تهنوا لو قتل نبيكم فكيف ولم يقتل.»[٨٠٤] وقال القرطبي في تفسيره: «الوجه الثاني أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون وجه الكلام قتل بعض من كان معه. تقول العرب قتلنا بني تميم وبني سليم وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله فما وهنوا راجعا إلى من بقي منهم قلت وهذا القول أشبه بنزول الآية وأنسب فإن النبي -ﷺ- لم يقتل وقتل معه جماعة من أصحابه. وقرأ الكوفيون وابن عامر (قاتل) وهي قراءة ابن مسعود واختارها أبو عبيد وقال إن الله إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فقاتل أعم وأمدح.»[٨٠٥]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن في الآية تعريض بالمؤمنين الذين انخذلوا عن رسول الله -ﷺ- في أحد، فإن من سبقهم من أتباع الأنبياء قد ابتلوا وأصيبوا بمثل ما أصابهم وقاتلوا وقتل بعضهم فلم يضعف ذلك من عزيمة من بقي بل صبروا في المعركة، وهذا هو الواجب في حق من جاء بعدهم.

٨٠٤ – حجة القراءات ص١٧٥.

٨٠٥ – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٢٩-٢٣٠.

٢٥- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران: ١٥٤

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (تغشى) بالتأنيث.

٢. قرأ الباقون (يغشى) بالتذكير.

٣. قرأ البصريان (كلُّه) بالرفع.

٤. قرأ الباقون (كلَّه).[٨٠٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغشاوة: ما يغطى به الشيء.[٨٠٧]

قال صاحب القاموس: «غشاية: غطاء. وغشّى الله على بصره تغشية. استغشى ثوبه: تغطى به كيلا لا يسمع ولا يرى.»[٨٠٨]

التفسير:

يتحدث المولى -عَزَّ وَجَلَّ- عما أكرم به عباده المؤمنين بعد الغم الذي أصابهم بسبب الهزيمة حيث أنزل عليهم الأمن وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وهم أهل الصدق واليقين، وأما الطائفة الأخرى وهم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما يهمهم إلا هم أنفسهم

٨٠٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٨٠٧ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٧.

٨٠٨ - القاموس المحيط ج٢ ص١٧٢٧ باختصار.

وخلاصها، لا هم الدين ولاهم رسول الله -ﷺ-، والمسلمين رضوان الله عليهم. (يظنون بالله غير الحق) أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحب أن يظن به وهو أن لا ينصر -ﷺ- (ظن الجاهلية) أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل إن الأمر) أي النصر والغلبة (كله لله) ولأوليائه المؤمنين، كله تأكيد للأمر (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) خوفا من السيف (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا) أي لو كان الأمر كما قال محمد أن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة (قل لو كنتم في بيوتكم) أي من علم الله منه أنه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) مصارعهم (وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها.[٨٠٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام البغوي في تفسيره: «(تغشى) بالتاء رداً إلى الأمنة، (يغشى) بالياء رداً إلى النعاس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا يَنام.»[٨١٠] وحيث أن النعاس بدل من الأمنة كما قال القرطبي: الأمنة والأمن سواء وقيل: الأمنة

٨٠٩ – تفسير النسفي ج١ ص١٨٨-١٨٩ باختصار.

٨١٠ – معالم التنزيل ج٢ ص١٢١.

إنما تكون مع أسباب الخوف والأمن مع عدمه وهي منصوبة بـ (أنزل) ونعاسا بدل منها.[811]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الأمن والنعاس كلاهما قد غشي هذه الطائفة، فكانت الأمنة نعاسا، وكان النعاس أمنة، وكلاهما قد غشي هذه الطائفة وليس أحدهما. قال الإمام الطبري في تفسيره: «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراء الأمصار غير مختلفتين في معنى ولا غيره؛ لأن الأمنة في هذا الموضع هي النعاس والنعاس هو الأمنة.»[812]

أما بالنسبة لقراءة (كلُه) بالرفع فعلى الابتداء. قال صاحب مغني اللبيب في بيان أوجه كلّ: «الثالث: أن تضاف إلى ضمير ملفوظ به، وحكمها ألا يعمل فيها غالبا إلا الابتداء، نحو (إنّ الأمرَ كلُه لله) فيمن رفع كلاً.»[813]

ومن قرأ (كلَّه) بالنصب كما تقول: إن الأمر أجمع لله فهو توكيد وهو بمعنى أجمع في الإحاطة والعموم.[814] وقال الألوسي في تفسيره: «وقرأ أبو عمرو ويعقوب (كلُه) بالرفع على الابتداء، والجار متعلق بمحذوف وقع خبرا له، والجملة خبر (إن). وأما على قراءة النصب فـ (كلّ) توكيد لاسم (إن) و (لله) خبرها.»[815]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الأمرَ كلَّ الأمر ثابت لله وحده لا يشاركه فيه أحد.

---

٨١١ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٤١.

٨١٢ - جامع البيان ج٤ ص١٣٩.

٨١٣ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص٢٥٨.

٨١٤ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٤٢.

٨١٥ - روح المعاني ج٤ ص٩٥.

٢٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٦

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف (يعملون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (تعملون) بالخطاب.[٨١٦]

التفسير:

يحذر المولى -ﷻ- عباده المؤمنين من محاكاة المنافقين الذين يثبطون المؤمنين عن القتال والجهاد في سبيل الله من خلال إثارة الشبهات حول من مات أو قتل في سفر أو تجارة زاعمين أن بقاءهم في بيوتهم كان يمكن أن يجنبهم الموت أو القتل، فكانت العاقبة الحسرة والندامة في قلوبهم. قال الطبرسي: «قالوا ذلك ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وفرحوا ونالوا العز والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم، واللام على هذا في (ليجعل) لام العاقبة.»[٨١٧] ثم بين لهم المولى عز وجل أن الإحياء والإماتة بإذن الله لا تتوقف على سبب، فالأمر كله يرجع إلى الله العالم بكل شيء وسيجازي كلا بعمله.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الخطاب (تعملون) تحذير المؤمنين من مغبة متابعة المنافقين في أراجيفهم وادعاءاتهم الباطلة.

في حين أن قراءة الغيب (يعملون) أفادت تحذير المنافقين من مغبة تصرفاتهم وعاقبتها الوخيمة إن هم أصروا على نفاقهم، وتثبيطهم للمؤمنين.

٨١٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٨١٧ - مجمع البيان ج٢ ص٣٢٧.

وبالجمع بين القراءتين نرى أن الآية فيها تحذير للجميع من كل ما يمكنه أن يثبط المجاهدين عن القتال والجهاد في سبيل الله. قال الألوسي في تفسيره: «(والله بما تعملون بصير) ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية، أو تهديد للمؤمنين على أن يماثلوا الكفار؛ لأن رؤية الله تعالى كعلمه تستعمل في القرآن للمجازاة على المرئي كالمعلوم، والمؤمنون وإن لم يماثلوهم فيما ذكر لكن ندمهم على الخروج من المدينة يقتضيه. وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم (يعملون) بالياء وضمير الجمع حينئذ للكفار.»[818]

٢٧- ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٧

القراءات:

١. قرأ حفص (يَجْمَعون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تَجْمَعون) بالخطاب.[819]

المعنى اللغوي للقراءات:

الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع.[820]

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- في هذه الآية أن القتل في سبيل الله في أرض المعركة أو الموت لمن قصد الجهاد ومحاربة الكفار يوجب مغفرة الذنوب والفوز بالجنة وأن ذلك خير من حطام الدنيا الزائل. قال الطبرسي في تفسيره:

٨١٨ - روح المعاني ج٤ ص١٠٢.
٨١٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.
٨٢٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٠١.

«(ولئن قتلتم) أيها المؤمنون (في سبيل الله) أي في الجهاد (أو متم) قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم الصفح عن الذنوب والرحمة والثواب والجنة.»[٨٢١]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي بن أبي طالب: «(مما يجمعون) قرأه حفص بالياء، على أنه حمله على لفظ الغيبة، على معنى: لمغفرة من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم، ممن ترك القتال في سبيل الله لجمع الدنيا، ولم يقاتل معكم. وقرأ الباقون بالتاء، ردوه على الخطاب الذي قبله، في قوله (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) على معنى: لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من أعراض الدنيا لو بقيتم.»[٨٢٢]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن مغفرة الله ورحمته خير مما يجمعه الناس كلهم من حطام هذه الدنيا الزائل، وهو كقوله تعالى (قل بفضل وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يونس ٥٨.

٢٨- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ آل عمران: ١٦١

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين.
٢. قرأ الباقون (يُغَل) بضم الياء وفتح العين.[٨٢٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغلل أصله: تدرع الشيء وتوسطه، والغُلول: تدرُّع الخيانة، والغل: العداوة،

٨٢١ - مجمع البيان ج٢ ص٣٢٧.
٨٢٢ - الكشف ج١ ص٣٦٢.
٨٢٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.

وأغل: أي صار ذا إغلال أي خيانة، وغل يغل: إذا خان. وأغللت فلانا: نسبته إلى الغلول قال تعالى (وما كان لنبي أن يغل) وقُرء (يُغل) أي ينسب إلى الخيانة من أغللته.[824]

التفسير:

يحذر المولى -عز وجل- في هذه الآية الكريمة من اتهام أي نبي من أنبيائه بالغلول، وهي السرقة من الغنيمة قبل القسمة؛ لأن من أخذ شيئا من الغنيمة قبل قسمتها يعاقبه المولى عز وجل بالفضيحة يوم القيامة بحمل ما غله على ظهره، ثم تجازى كل نفس بما كسبت إن خيرا فخير وإن شرا فشر لأنه سبحانه لا يظلم أحدا. قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «الأظهر أنه عطف على مجموع الكلام عطف الغرض على الغرض، وموقعه عقب جملة (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) الآية، لأنها أفادت أن النصر بيد الله والخذل بيده، وذلك يستلزم التحريض على طلب مرضاته ليكون لطيفا بمن يرضونه. وإذ كانت هذه النصائح والمواعظ موجهة إليهم ليعملوا بها فيما يستقبل من غزواتهم، نُبهوا إلى شيء يستخف به الجيش في الغزوات، وهو الغلول ليعلموا أن ذلك لا يرضي الله تعالى فيحذره ويكونوا مما هو أدعى لغضب الله أشد حذرا. فهذه مناسبة التحذير من الغلول ويعضد ذلك أن سبب هزيمتهم يوم أحد هو تعجلهم في أخذ الغنائم.»[825]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين أي ما ينبغي لنبي أن يجور في القسم ولكن يعدل ويعطي كل ذي حق حقه.

824 - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦١٠ .

825 - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٥٤.

وأما على قراءة (يُغَل) بضم الياء وفتح الغين أي ما كان لنبي أن يغله أصحابه أي يخونوه ثم أسقط الأصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله ما كان لنبي أن يُخان، وقال آخرون معنى ذلك وما كان لنبي أن يتهم بالغلول قال الفراء يغل أي يسرق ويخون أي ينسب إلى الغلول يقال أغللته أي نسبته إلى الغلول وقال آخرون (ما كان لنبي أن يغل) أي يلفى غالا : أي خائنا كما يقال أحمدت الرجل إذا وجدته محمودا.[٨٢٦]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: أنه لا ينبغي لنبي أن يخون في الغنائم فلا يعدل في قسمتها ولا أن يُتهم بذلك لعظم قدر النبي وفضله عند الله، بل لا يجوز أن تقع هذه الكبيرة في جيشه ومن أصحابه حيث تعظم الجريمة لشرف النبي -ﷺ- ومنزلته العالية عند الله.

٢٩- ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٨

القراءات:

١. روى هشام عن ابن عامر من طريق الداجواني (ما قُتِّلوا) بتشديد التاء، واختلف عن الحلواني عنه.
٢. قرأ الباقون (ما قُتِلوا) بالتخفيف.

قال ابن الجزري «وروينا عن ابن عامر أنه قال: ما كان من القتل في سبيل الله فهو بالتشديد.»[٨٢٧]

التفسير:

يخبر المولى-عز وجل- عن بعض صفات المنافقين من حيث تخذيل المسلمين

٨٢٦ – انظر حجة القراءات ص ١٨١.
٨٢٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.

والتثبيط من عزائمهم وبث الشبهات من خلال قولهم في شأن إخوانهم المقتولين من الخزرج وهي أخوة نسب ومجاورة، أو للأحياء من المنافقين[828]، لو أطاعونا في عدم الخروج ما أصابهم القتل، فرد الله عليهم شبهتهم مبينا عجزهم عن دفع الموت عن أنفسهم إن كانوا صادقين في دعواهم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أضافت قراءة التشديد (ما قُتِّلوا) التفظيع والمبالغة في القتل الذي حصل لقتلى أحد. زيادة عن القراءة الأخرى والتي تفيد مجرد القتل. قال ابن عاشور في تفسيره: «وقرأه هشام عن ابن عامر بتشديد التاء من التقتيل للمبالغة في القتل. وهو يفيد تفظيعهم ما أصاب إخوانهم من القتل طعنا في طاعتهم للنبي- ﷺ -.»[829] وقال مكي بن أبي طالب: «ويلاحظ أن قراءة التشديد تفيد التكثير.»[830]

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا مدى مكر المنافقين حيث استغلوا ما وقع لبعض الصحابة من قتل وتمثيل في إشاعة الأراجيف والشبهات حولهم، وأنه كان من الأفضل لهم القعود ليسلموا من القتل.

٣٠-﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (قُتِّلوا) بالتشديد.
٢. قرأ الباقون (قُتِلوا) بالتخفيف.[831]

٨٢٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص٥٣٩ - ٥٤٠.
٨٢٩ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٦٤.
٨٣٠ - الكشف ج١ ص٣١٤.
٨٣١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.

٣. اختلف في (تحسبن) فهشام من طريق الداجوني بالغيب واختلف عنه من طريق الحلواني.

٤. الباقون (يحسبن) بالخطاب.[٨٣٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، ويقارب ذلك الظن، ولكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلّب أحدهما على الآخر.[٨٣٣]

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- حال من قتل في سبيل الله فهم ليسوا أموات كسائر الأموات بل هم أحياء يحيون حياة خاصة فيها قرب من الله مع ما ينعمون به من رزق يأتيهم من الجنة. قال ابن كثير في تفسيره: «يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.»[٨٣٤] وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وقد أثبت القرآن للمجاهدين موتا ظاهرا بقوله (قُتلوا) ونفى عنهم الموت الحقيقي بقوله (بل أحياء عند ربهم يرزقون) فعلمنا أنهم وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح، حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلة. بل هي حية بمعنى تحقق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم، ومسرتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله (عند ربهم) دليلا على أن حياتهم خاصة بهم، ليست هي الحياة المتعارفة في هذا العالم،

٨٣٢ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٣١-٢٣٢.

٨٣٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٤.

٨٣٤ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٦٥.

أعني حياة الأجسام وجريان الدم في العروق، ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس، وكذلك الرزق يجب أن يكون ملائما لحياة الأرواح وهو رزق النعيم في الجنة.»[٨٣٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اعتبر بعض العلماء أن قراءة التشديد (قُتِّلوا) تفيد كثرة القتلى. قال مكي بن أبي طالب: "قرأه ابن عامر بالتشديد على التكثير لأن المقتولين كُثُر والتشديد للتكثير."[٨٣٦] وقال ابن عاشور في تفسيره: «وقرأه ابن عامر – بتشديد التاء – أي قُتِّلوا قتلا كثيرا.»[٨٣٧] وقال الألوسي في تفسيره: «وقرأ ابن عامر (قتّلوا) بالتشديد لكثرة المقتولين.»[٨٣٨] والأولى اعتبار قراءة التشديد (قتّلوا) تفيد المبالغة في القتل والتمثيل بالمقتولين. وأما القراءة الأخرى (قتِلوا) بالتخفيف فتفيد مجرد القتل وقع معه تمثيل أم لم يقع.

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن هذا الفضل العظيم من الله -عَزَّوَجَلَّ- يناله كل من قتل في سبيل الله سواء قتل ومثل به كما حصل لبعض قتلى أحد كحمزة بن عبد المطلب أو قتل من غير تمثيل، وهذا إنما يدل على عظم الشهادة في سبيل الله.

وأما بالنسبة لقراءة (ولا يحسبن) بياء الغيب ففيها حث على الجهاد والاستشهاد من خلال بيان ما أعد الله للمجاهدين في سبيل الله في الآخرة، باعتبار أن الفاعل (الذين قتلوا) و(أمواتا) مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف، والمعنى: أي ولا يحسبن الشهداء أنفسهم أمواتاً.

٨٣٥ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٥٩–١٦٠.

٨٣٦ – الكشف ج١ ص٣١٤.

٨٣٧ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٦٥.

٨٣٨ – روح المعاني ج٤ ص١٢٢.

وأما على قراءة (ولا تحسبن) بتاء الخطاب ففيها مواساة لأولياء الشهيد، فلا يبكوا على قتلاهم ولا يحزنوا كما ورد في قصة جابر بن عبد الله[٨٣٩] باعتبار أن (الذين) مفعول أول، (أمواتا) مفعول ثان، أي: ولا تحسبن يا محمد أو يا مخاطب الشهداء أمواتا.[٨٤٠] قال الزمخشري في تفسيره: «(ولا تحسبنَّ) الخطاب لرسول اللهr - - أو لكل أحد. وقُرء بالياء على: ولا يحسبن رسول الله -ﷺ- أو لا يحسبنَّ حاسب.»[٨٤١]

ويجوز أن يكون المراد من قراءة الغيب الكفار أو المنافقون، ويصبح المعنى: ولا يحسبن الكافرون أو المنافقون الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا.

وبالجمع بين القراءتين نرى أن في الآية حثٌّ على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله من خلال طمأنة المجاهدين بما أعد الله لهم من النعيم المقيم، ومواساة لأهلهم وذويهم فلا يحزنوا على شهدائهم، وردٌّ على المنافقين المرجفين الذين يسعون لبث الأراجيف والشبهات حول الشهداء.

٣١-﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ آل عمران: ١٧١

القراءات:

١. قرأ الكسائي (وإنَّ الله) بكسر الهمزة.
٢. قرأ الآخرون (وأنَّ الله) بفتح الهمزة.[٨٤٢]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما أعده الله للشهداء في الآخرة من النعيم المقيم.

---

٨٣٩ - انظر في الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٦٨ .

٨٤٠ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج١ ص١٢٣.

٨٤١ - الكشاف ج١ ص٤٣٠.

٨٤٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

قال القرطبي في تفسيره: "(يستبشرون بنعمة من الله) أي بجنة من الله ويقال بمغفرة من الله (وفضل) هذا لزيادة البيان. والفضل داخل في النعمة، وفيه دليل على اتساعها وأنها ليست كنعم الدنيا. وقيل جاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد."[٨٤٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال القرطبي في تفسيره: «(وأن الله) فمن قرأ بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء.»[٨٤٤] وقال ابن عاشور في تفسيره: «قرأ الجمهور بفتح همزة (أن) على أنه عطف على (نعمة من الله وفضل) والمقصود من ذلك تفخيم ما حصل لهم من الاستبشار وانشراح الأنفس بأن جمع لهم المسرة الجثمانية الجزئية والمسرة العقلية الكلية. وقرأه الكسائي بكسر همزة (إن) على أنه عطف على جملة (يستبشرون) في معنى التنزيل فهو غير داخل فيما استبشر به الشهداء. ويجوز أن تكون الجملة على هذا الوجه ابتداء كلام فتكون الواو للاستئناف.»[٨٤٥]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الشهداء على موعد دائم مع البشرى فهي مستمرة زيادة في نعيمهم.

٣٢- ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٦

٨٤٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٧٥ ، وانظر جامع البيان ج٤ ص١٧٥.

٨٤٤ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٧٦ ، وانظر التفسير الوجيز ج١ ص٥٤١.

٨٤٥ - تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٢٧٦.

القراءات:

١. قرأ نافع (يُحزِنك) حيث وقع بضم الياء وكسر الزاي إلا حرف الأنبياء (لا يَحزُنهم).

٢. قرأ الباقون (يَحزُنك) بفتح الياء وضم الزاي.[٨٤٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحَزَن والحزونة: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشَّنت بصدره: إذا حزنْتُه، يقال: حَزِنَ، يَحْزَن، وحَزَنتُه وأَحزنْتُه.[٨٤٧]

التفسير:

يقول -ﷻ- ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فإنهم لن يضروا الله بمسارعتهم في الكفر شيئا كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعته، كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارته، يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة لهم عذاب عظيم في الآخرة وذلك عذاب النار.[٨٤٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين هي علاقة لغوية باعتبار أنَّ (يَحزُن) و(يُحزِن) لغتان. قال مكي بن أبي طالب: «وهما لغتان، حكى سيبويه: أحزنت الرجل، إذا جعلته حزينا، فضُمَّت الياء في المستقبل، لأنه رباعي. ويقال: حَزِن الرجل

٨٤٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

٨٤٧ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣١.

٨٤٨ - انظر جامع البيان ج٤ ص١٨٤-١٨٥.

يَحزَن، لغة. وحزَّن يحزّن، لغة ومنه قوله تعالى)ولا هم يحزنون (البقرة ٣٨ ، ويقال حزنته، جعلت فيه حزنا، كما تقول كحلته، إذا جعلت فيه كحلا.»[٨٤٩] وقال القرطبي: «وهما لغتان: حزنني الأمر يحزنني وأحزنني أيضا وهي لغة قليلة.»[٨٥٠]

٣٣- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٨

القراءات:

١. قرأ حمزة (ولا تحسبن) بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (ولا يحسبن) بالغيب.[٨٥١]

التفسير:

يخبر المولى -عَجَلَّ- رسوله الكريم عن حكمة الإملاء للكافرين بإطالة أعمارهم أحيانا أو ظفرهم في بعض المعارك أحيانا أخرى كما حصل في غزوة أحد بأن هذا الإملاء لهم لا خير فيه لأنه من باب الاستدراج وليس التكريم ليزدادوا آثاما ومعاصي فتزداد عقوبتهم، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم. قال القرطبي في تفسيره: «(ولا يحسبن الذين كفروا أنما[٨٥٢] نملي لهم خير لأنفسهم) الإملاء طول العمر ورغد العيش والمعنى: لا يحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين فإن الله قادر على إهلاكهم وإنما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصي لا لأنه خير لهم، ويقال أنما نملي لهم

٨٤٩ - الكشف ج١ ص٣٦٥.
٨٥٠ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٨٤-٢٨٥.
٨٥١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.
٨٥٢ - كتبت (إنما) بالكسر وهذا خطأ فلا توجد في هذا الموضع قراءة بالكسر ولعله تصحيف.

بما أصابوا من الظفر يوم أحد لم يكن ذلك خيرا لأنفسهم وإنما كان ذلك ليزدادوا عقوبة.»[853]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (لا يحسبن) بالغيب التهديد والوعيد للكافرين من أجل التنغيص عليهم.

قال مكي بن أبي طالب: «ووجه من قرأ بالياء أنه أسند الفعل إلى (الذين كفروا) فهم الفاعلون، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن الذي نملي لهم خير لأنفسهم، وإن شئت كان التقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم. ووجه القراءة بالتاء أنه جعل الفعل خطابا للنبي -ﷺ- فهو الفاعل، (الذين كفروا) مفعول أول لـ (يحسب)،(أنما) وما بعدها بدل من (الذين) في موضع نصب فيسد مسد مفعولين. والتقدير: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا أن الذي نمليه لهم خير لأنفسهم.»[854]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن فيهما وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين، فيصبح المعنى: يا محمد -ﷺ- لتطمئن وليطمئن من معك من المؤمنين ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد من جراح وآلام، وليعلم الكافرون أن انتصارهم في جولة أو ما يحصلون عليه في هذه الحياة الدنيا من النعم الزائلة ما هو إلا استدراج لهم حتى إذا أخذناهم لم نفلتهم.

٣٤-﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٩

٨٥٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٨٦-٢٨٧.

٨٥٤ - الكشف ج١ ص٣٦٦ باختصار، وانظر تفسير التحرير والتنوير ج٤ ص١٧٤-١٧٧، مجمع البيان ج٢ ص٣٤٨.

القراءات:

١. قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف (يُميِّز) بضم الياء الأولى وتشديد الياء الأخرى.

٢. قرأ الباقون (يَميز) بالفتح والتخفيف.[٨٥٥]

المعنى اللغوي للقراءات:

الميز والتمييز: الفصل بين المتشابهات، يقال: مازه يميزه ميزا، وميزه تمييزا.[٨٥٦]

التفسير:

يبين المولى -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية الكريمة عن سنة من سننه في الكون ألا وهي الابتلاء من أجل تمحيص المؤمنين فيظهر الصادق من الكاذب. قال ابن كثير في تفسيره: «(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أي لابد أن يعقد شيئا من المحنة يظهر فيه وليه ويفضح به عدو يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر يعني بذلك يوم أحد الذي أمتحن الله به المؤمنين فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله -ﷺ- وهتك به أستار المنافقين فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله-ﷺ-.»[٨٥٧] ثم بين تعالى أنه لا يطلع عباده على معرفة الغيب إنما يخص بمعرفة بعضها من اختارهم من أنبيائه ورسله، والواجب في حق العباد أن يطيعوا الله ورسوله فيما شرع لهم لما في ذلك من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

٨٥٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

٨٥٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٣.

٨٥٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٧٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب البعض إلى أن القراءتين من باب اللغات، إلا أن قراءة التشديد تفيد التكثير.

قال مكي بن أبي طالب: «هما لغتان يُقال: ماز يميز، مثل كال يكيل، وميَّز يميِّز، مثل قتَّل يقتِّل، وفي التشديد معنى التكثير.»[٨٥٨] وقال ابن زنجلة: «والتشديد إنما يدخل في الكلام للتكثير. قال أبو عمرو: لا يكون بالتشديد إلا كثيرا من كثير، فأما واحد من واحد فـ (يميز) على معنى يعزل. وتأويل الكلام: حتى يميز جنس الخبيث من جنس الطيب.»[٨٥٩]

وربما كان الصواب أن في اختلاف القراءتين بيان لأنواع التمييز، فهناك حالات يكون التمييز فيها واضحا: كالكفر والإيمان، وهذه تناسبها قراءة التخفيف، وهناك حالات تحتاج إلى دقة وشدة في الامتحان: كتمييز صف المنافقين عن المؤمنين الصادقين، وهذه تناسبها قراءة التشديد، كما هو الحال في امتحان الدراسة ولله المثل الأعلى. ولهذا نجد أن الإمام الطبري يذكر اختلاف العلماء حول معنى الآية فيقول في تفسيره: «(حتى يميز الخبيث من الطيب) يعني بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر للكفر، من الطيب، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان بالمحن والاختبار، كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم. وقال آخرون معنى ذلك حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد.»[٨٦٠]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هذا، وذلك

٨٥٨- الكشف ج١ ص٣٦٩.

٨٥٩- حجة القراءات ص١٨٢ باختصار.

٨٦٠- جامع البيان ج٤ ص١٨٧ باختصار.

بالمحن والشدائد، وكذلك بتمييز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد.

٣٥- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٠

القراءات:

١. قرأ حمزة (ولا يَحْسَبن) بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (ولا تَحْسَبن) بالغيب.
٣. قرأ ابن كثير والبصريان (يَعْملون) بالغيب.
٤. قرأ الباقون (تَعْملون) بالخطاب.[٨٦١]

التفسير:

يحذر المولى -عز وجل- من آفة البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله ومنع الزكاة المفروضة بأن عاقبة ذلك وخيمة في الدنيا والآخرة. قال ابن عاشور في تفسيره: «(ولا يحسبن الذين يبخلون ...) الآية عطف على (ولا يحسبن الذين كفروا) لأن الظاهر أن هذا نزل في شأن المنافقين، فإنهم يبخلون ويأمرون الناس بالبخل كما حكى الله عنهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) النساء ٣٧ ، وكانوا يقولون (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) المنافقون ٧ ، وغير ذلك، ولا يجوز بحال أن يكون نازلا في شأن بعض المسلمين ؛ لأن المسلمين يومئذ مبرؤون من هذا الفعل ومن هذا الحسبان.»[٨٦٢] فلا يحسبن من يبخلون عن الإنفاق في سبيل الله وعن أداء الزكاة المفروضة أن هذا البخل هو خير لهم، بل هو شر لهم لما ينتظرهم

---

٨٦١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤-٢٤٥.

٨٦٢ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٨٠-١٨١.

من العقوبة في الدنيا بمحق البركة منها وفي الآخرة بالعذاب الأليم حين يمثل لهم هذا المال بثعبان. قال -ﷺ-: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه- يعني بشدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك.»[٨٦٣] وقال الطبرسي في تفسيره: «وقد تضمنت الآية الحث على الإنفاق والمنع من الإمساك من قبل أن الأموال إذا كانت بمعرض الزوال إما بالموت أو غيره من الآفات، فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بإنفاقه ولا يحرص على إمساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه.»[٨٦٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أدى اختلاف القراءتين (ولا يحسبن) بالغيب، (ولا تحسبن) بالخطاب، على تحديد الفاعل في الجملة، وبالتالي الاختلاف في المعنى. قال القرطبي في تفسيره: "(ولا يحسبن الذين) الذين في موضع رفع، والمفعول الأول محذوف. والمعنى: لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم، وإنما حذف لدلالة يبخلون على البخل. وأما قراءة حمزة (ولا تحسبن) فالتقدير فيها: لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم."[٨٦٥] والخطاب في قراءة (ولا تحسبن) للنبي-ﷺ- أو للسامعين. وقال ابن زنجلة «(ولا تحسبن) بالتاء خطاب للنبي- ﷺ -.»[٨٦٦]

وأما بالنسبة لقراءة (يعملون) بالغيب، (تعملون) بالخطاب، ففي كل منهما وعد ووعيد، وعد للمنفقين ووعيد للمانعين. قال ابن عاشور في تفسيره:

---

٨٦٣ – فتح الباري – كتاب التفسير – سورة آل عمران ، باب: ١٤-(ولا يحسبن الذين يبخلون ..) ج٨ ص٢٣٠ – رقم ٤٥٦٥.

٨٦٤ – مجمع البيان ج٢ ص٣٥٣.

٨٦٥ – انظر الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٩٠.

٨٦٦ – حجة القراءات ص١٨٣ ، وانظر مجمع البيان ج٢ ص٣٥٢.

«وهو عليم بما يعمل الناس من بخل وصدقة، فالآية موعظة ووعيد ووعد لأن المقصود لازم قوله (خبير).»[٨٦٧]

وعلى قراءة حمزة (ولا يحسبن ... بما تعملون) يكون في الكلام التفات. قال الألوسي في تفسيره: «(والله بما تعملون) من المنع والبخل (خبير) فيجازيكم على ذلك، وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والالتفات إلى الخطاب للمبالغة في الوعيد ؛ لأن تهديد العظيم بالمواجهة أشد .»[٨٦٨]

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: اعلم يا محمد -ﷺ- وأعلم الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله بعاقبة بخلهم، وما أعده الله لهم يوم القيامة من عقاب، حيث يجازى المحسن على إحسانه والمسيء بإساءته.

قال الإمام الطبري في تفسيره: «وإنما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم في الحين الذي لا يملكون شيئا وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه. ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازي كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالإحسان والمسيء على ما يرى تعالى ذكره.»[٨٦٩]

٣٦- ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾

آل عمران: ١٨١

٨٦٧ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٨٣.

٨٦٨ - روح المعاني ج٤ ص١٤٠.

٨٦٩ - جامع البيان ج٤ ص١٩٣-١٩٤.

القراءات:

١. قرأ حمزة: (سيُكتَب) بالياء وضمها، ما قالوا (وقتلُهم) برفع اللام، الأنبياء بغير حق (ويقول) بالياء.

٢. قرأ الباقون: (سنَكتُب) بالنون وفتحها وضم التاء، ما قالوا (وقتلَهم) بالنصب، الأنبياء بغير حق (ونقول) بالنون[٨٧٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكَتْبُ: ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وفي التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ.[٨٧١]

قال ابن منظور: «الكتاب معروف، والجمع كُتُب وكُتْب. كَتَب الشيء يكتُبه كَتْبا وكِتابا وكِتابةً، وكَتبه: خَطَّه.»[٨٧٢]

التفسير:

بعد أن حث المولى -عز وجل- على الإنفاق قال بعض اليهود (إن الله فقير ونحن أغنياء) فجاء التهديد والوعيد من قبل الله لهم على هذه الفعلة الشنيعة مع ما سبقها من قتل للأنبياء، قال ابن كثير في تفسيره: «وقوله (سنكتب ما قالوا) تهديد ووعيد ولهذا قرنه تعالى بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أي هذا قولهم في الله وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا.»[٨٧٣]

٨٧٠ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٥.

٨٧١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٩٨.

٨٧٢ - لسان العرب ج٦ ص٣٨١٦.

٨٧٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٧٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة (سنكتب) بنون العظمة بإسناد الفعل إلى ما سُمي فاعله مفسرة للقراءة الأخرى (سيُكتب) والتي أسند فيها الفعل إلى ما لم يسم فاعله، مع ما فيها من المبالغة في التهديد والوعيد بحيث يتولى الله -عز وجل- محاسبتهم لعظم ما ارتكبوه وشناعة ما قالوه، وسوء الأدب مع الله ووصفه بما لا يليق بالبشر فكيف بخالق البشر الغني المعطي سبحانه.

كما أفادت قراءة (سنكتب) الالتفات. وهو من الأساليب البلاغية في القرآن قال د. محمد سالم محيسن: «وقرأ الباقون (سنكتب) بنون العظمة، وضم التاء، مبنيا للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره نحن وهو يعود على الله تعالى، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.»[٨٧٤]

٣٧- ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٤

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (وبِالزُبر) بزيادة باء بعد الواو.
٢. اختلف عن هشام في (وبالكتاب) بين إثبات الباء وحذفها.
٣. قرأ الباقون (والزُبر والكتاب) بالحذف فيهما وكذا هو في مصاحفهم.[٨٧٥]

التفسير:

الخطاب للرسول -ﷺ- وذلك على سبيل التسلية لمّا ظهر كذبهم على الله بذكر العهد الذي افتروه، وكان في ضمنه تكذيبه، إذ علقوا الإيمان به على شيء مقترح منهم على سبيل التعنت، ولم يجبهم الله لذلك فسلى الرسول -ﷺ-

٨٧٤ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ج١ ص٣٨٣-٣٨٤.

٨٧٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٥-٢٤٦.

بأن هذا دأبهم وسبق منهم تكذيبهم لرسل جاؤوا بما يوجب الإيمان من ظهور المعجزات الواضحة الدلالة على صدقهم، وبالكتب السماوية النيرة المزيلة لظلم الشبه.[٨٧٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفاد إعادة الباء التأكيد زيادة في إقامة الحجة عليهم. قال ابن عطية في تفسيره: «وقرأ ابن عامر (وبالزبر) بإعادة الباء، وسقوطها على قراءة الجمهور متجه ؛ لأن الواو شركت الزبر في الباء الأولى فاستغنى عن إعادة الباء، وإعادتها أيضا متجه لأجل التأكيد.»[٨٧٧] وكذلك قال أبو حيان في تفسيره: «وإعادة حرف الجر في العطف هو على سبيل التأكيد»[٨٧٨] وكذلك قال مكي بن أبي طالب: «أعاد الحرف للتأكيد.»[٨٧٩]

٣٨- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

آل عمران: ١٨٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (لَيُبَيِّننه للناس ولا يكتمونه).
٢. قرأ الباقون (لَتُبَيِّننه للناس ولا تكتمونه).[٨٨٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

البينة:الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة. والبيان الكشف عن الشيء.[٨٨١]

---

٨٧٦ – تفسير البحر المحيط ج٣ ص١٣٨.
٨٧٧ – المحرر الوجيز ج١ ص٥٤٩.
٨٧٨ – تفسير البحر المحيط ج٣ ص١٣٨.
٨٧٩ – الكشف ج١ ص٣٧٠.
٨٨٠ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٦.
٨٨١ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٧.

التفسير:

يبين المولى عز وجل ما أخذه على أهل الكتاب من العهود والمواثيق ببيان ما جاء في كتبهم وخاصة ما جاء في صفة النبي- ﷺ -، فكتموه طمعا في حطام الدنيا الزائل فبئس هذا الذي اشتروه. قال ابن كثير في تفسيره: «هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد- ﷺ - وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعوه فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفقتهم، وبيست البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي- ﷺ - أنه قال: من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار[٨٨٢] .»[٨٨٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وجملة (لتبيننه للناس) بيان للميثاق، فهو حكاية اليمين حين اقترحت عليهم، ولذلك جاءت بصيغة خطابهم بالمحلوف عليه كما قرأ بذلك الجمهور، وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ليبيننه بياء الغيب على طريقة الحكاية بالمعنى، حيث كان المأخوذ عليهم هذا العهد غائبين في وقت الإخبار عنهم. وللعرب في مثل هذه الحكايات وجوه: باعتبار كلام الحاكي، وكلام المحكي عنه.»[٨٨٤]

٨٨٢ - رواه الترمذي في سننه - كتاب العلم - باب ما جاء في كتمان العلم - رقم الحديث ٢٦٤٩. وقال حديث حسن

٨٨٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٧٩.

٨٨٤ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٩١.

ولقد أفادت القراءة بالتاء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) توكيد الأمر الذي أخذ عليهم. قال مكي بن أبي طالب: «وفي القراءة بالتاء معنى توكيد الأمر لأن التاء للمواجهة، فتقديره: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب، فقال لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه.»[٨٨٥]

٣٩- ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٨

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا يحسبَن، فلا يحسبُنهم) بالغيب فيهما وفتح الباء الأولى وضمها في الثاني.
٢. قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (لا تحسبَن، فلا تحسبَنهم) بتاء الخطاب فيهما، وفتح الباء فيهما معا.
٣. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (لا يحسبَن، فلا تحسبَنهم) بياء الغيب في الأول، وتاء الخطاب في الثاني وفتح الموحدة فيهما.[٨٨٦]

التفسير:

في هذه الآية تحذير لمن كتم شيئا مما أوجب الله تبليغه وأحب أن يحمد على ذلك كما كانت اليهود تفعل مع رسول الله -ﷺ- كما جاء في سبب نزول الآية: لما دعا النبي -ﷺ- يهوداً وسألهم عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم.[٨٨٧] قال الإمام الطبري في تفسيره: «فتأويل الآية: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وأنك

٨٨٥ - الكشف ج١ ص٣٧١.

٨٨٦ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٣٣-٢٣٤، النشر ج٢ ص٢٤٦.

٨٨٧ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج٨ ص٢٣٣ - كتاب التفسير - باب (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) ح ٤٥٦٨

لي رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم في كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك ومخالفتهم أمري ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم. وقوله (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لأعدائه في الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه.»[888]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يلاحظ أن من قرأ (لا تحسبَن، فلا تحسبَنهم) بالخطاب في الموضعين أن الفاعل فيهما واحد وهو الرسول-ﷺ-. وتكون (فلا تحسبنهم) تأكيد لـ (لا تحسبَن) .

وعلى قراءة (لا يحسبَن، فلا يحسبُنهم) أن الفاعل فيهما واحد أيضا وهم اليهود. وتكون (فلا يحسبن) تأكيد للقراءة الأولى (لا يحسبن).

وأما على قراءة (لا يحسبَن، فلا تحسبَنهم) فالفاعل في الأولى هم اليهود، وأما الفاعل في الثانية فهو الرسول-ﷺ-. قال القرطبي في تفسيره: «(والذين) فاعل بـ (يحسبن) بالياء، وهي قراءة نافع وابن عامر وابن كثير وأبي عمرو أي: لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب. وقيل المفعول الأول محذوف وهو أنفسهم والثاني (بمفازة). وقرأ الكوفيون

888 - جامع البيان ج٤ ص٢٠٨-٢٠٩.

(تحسبن) بالتاء على الخطاب للنبي -ﷺ- أي: لا تحسبن يا محمد-ﷺ- الفارحين بمفازة من العذاب. وأما القراءات الأخرى (فلا يحسبُنهم) و (فلا يحسبنَهم) فهي للتأكيد، وقوله (فلا تحسبَنَّهم) بالتاء وفتح الباء إعادة تأكيد، ومفعوله الأول الهاء والميم، والمفعول الثاني محذوف: أي كذلك. وقرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين أي: فلا يحسبن أنفسهم (بمفازة) المفعول الثاني، ويكون فلا يحسبنهم تأكيدا.»[٨٨٩]

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وقد جاء تركيب الآية على نظم بديع إذ حُذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول لدلالة ما يدل عليه وهو مفعول (فلا تحسبنهم)، والتقدير: لا يحسبن الذين يفرحون الخ أنفسهم. وأعيد فعل الحسبان في قوله (فلا تحسبنهم) مسندا إلى المخاطب على طريقة الاعتراض بالفاء وأتى بعده بالمفعول الثاني: وهو (بمفازة من العذاب) فتنازعه كلا الفعلين. وعلى قراءة الجمهور (لا تحسبن الذين يفرحون) بتاء الخطاب يكون خطابا لغير معين؛ ليعم كل مخاطب، ويكون قوله (فلا تحسبنهم) اعتراضا بالفاء أيضا والخطاب للنبي -ﷺ- مع ما في حذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول، وهو محل الفائدة، من تشويق السامع إلى سماع المنهي عن حسابه. وقرأ الجمهور (فلا تحسبَنهم) بفتح الباء الموحدة إلى أن الفعل لخطاب الواحد، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بضم الباء الموحدة على أنه لخطاب الجمع. وحيث إنهما قرءا أوله بياء الغيبة، فضم الباء يجعل فاعل (يحسبن) ومفعوله متحدين أي لا يحسبون أنفسهم، واتحاد الفاعل والمفعول للفعل الواحد من خصائص أفعال الظن

٨٨٩ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٣٠٧ باختصار ، وانظر حجة القراءات ص ١٨٦-١٨٧ ، مجمع البيان ج٢ ص٣٦٠-٣٦١ ، الكشف ج١ ص٣٧١-٣٧٢.

كما هنا وألحقت بها أفعال قليلة وهي: وَجد، وعَدِم، وفَقَدَ.»[890]

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: لا تحسبن يا محمد ومن معك من المؤمنين ولا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب، ولهم عذاب أليم. ففي الآية وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

٤٠- ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ آل عمران: ١٩٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وقُتِلوا وقاتلوا) بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف.
٢. قرأ ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقُتِّلوا) بتقديم (قاتلوا) وتشديد التاء من (قُتِّلوا).
٣. قرأ الباقون (وقاتلوا وقتِلوا) بالتخفيف).[891]

التفسير:

هذه الآية تعقيب على الآية السابقة والمتضمنة لدعوة المؤمنين لربهم أن يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة مع الأبرار فجاءت الاستجابة من الله لهم متضمنة لأجَل الأعمال وما أعد الله لأهلها من الثواب العظيم. قال ابن كثير في تفسيره: «(أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) هذا تفسير للإجابة أي قال لهم مخبرا أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه

٨٩٠ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٩٤-١٩٥

٨٩١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٦

بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله (بعضكم من بعض) أي جميعكم في ثوابي سواء (فالذين هاجروا) أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران (وأخرجوا من ديارهم) أي ضايقهم المشركون بالأذى حتى الجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال (وأوذوا في سبيلي) أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده (وقاتلوا وقتلوا) وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ثوابا من عند الله) أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلا كثيرا. (والله عنده حسن الثواب) أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا.»[٨٩٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت هذه الآية لتبين الفئة التي استجاب الله دعائها، وماهية الأعمال التي قامت بها، ومنها الجهاد في سبيل الله، إلا أن القراءة بتقديم (قاتلوا) على (قتلوا) أفادت أن الإجابة خاصة بمن قاتل في سبيل الله حتى قُتل في المعركة دون من لم يقتل. وجاءت القراءة بالتشديد لتبين المبالغة والشدة في القتل والتقطيع الذي حل بهم.

وأما القراءة الأخرى بتقديم (قُتلوا) على (قاتلوا) فتفيد أن الإجابة لمن صبر وقاتل الأعداء على الرغم مما حل بإخوانه، فلم يضعفوا ولم يجبنوا بل واصلوا القتال والجهاد في سبيل الله، قال الطبرسي في تفسيره: «وأما

٨٩٢ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٨٦-٥٨٧ باختصار.

تقديم (قُتلوا) على (قاتلوا) فلأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولا في المعنى وإن كان مؤخرا في اللفظ ويمكن أن الوجه فيه أن يكون لما قُتِل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله.)»[٨٩٣] آل عمران ١٤٦.

وبالجمع بين القراءات يتبين: أن من الذين استجاب الله لهم دعائهم المجاهدون في سبيل الله. سواء كانوا من الذين استشهدوا في المعركة أو كانوا من الذين ثبتوا على قتال الأعداء على الرغم مما حل بإخوانهم من قتل وتمزيق حتى ولو لم ينالوا الشهادة في سبيل الله فهم جميعا داخلون في وعد الله تعالى لهم بتكفير السيئات والفوز بالجنات.

ولكنَّ للدكتور/ فضل حسن عباس رأيا آخر له وجاهته أحببت أن أذكره تتمة للفائدة إذ يقول: « قد أشكلت قراءة (وقُتِلوا وقاتلوا) على كثير من العلماء إذ كيف يمكن أن يُقتَل ثم يَقتُل؟

وللعلماء أكثر من توجيه، فقد ذهب ابن جرير ومن بعده مكي بن أبي طالب إلى أن الضمير في الفعلين ليس مرجعه واحد، فالذين قتلوا وأكرموا بالشهادة في سبيل الله ليسوا هم الذين قاتلوا، بل هم آخرون رأوا إخوانهم قتلوا في سبيل الله فلم يحدث ذلك في نفوسهم جزعا ولا هلعا، فكروا على الأعداء ونالوا منهم. ومع وجاهة هذا التوجيه الذي ارتضاه شيخ المفسرين ابن جرير وشيخ القراء مكي، إلا أنه لا يتسق مع جمال المعنى ودقة النظم في كتاب الله لأن فيه تفكيكا للضمائر المتجاورة المتقاربة، والتوجيه الذي نختاره هو أن تقديم قراءة المبني للمفعول في كلتا السورتين سورة آل عمران وسورة براءة فيه إشارة بيانية وهو وصف أولئك المؤمنين بالمسارعة للشهادة في سبيل الله. وعلى هذا تكون القراءة الأولى وهي ما

٨٩٣ - مجمع البيان ج٢ ص٣٦٦.

بني الفعل فيها للفاعل دالة على جرأة المسلمين وقوتهم، وانهزام عدوهم واندحاره أمامهم. وتدل القراءة الثانية على رغبة المسلمين في الشهادة ومسارعتهم للفوز بها . كل من القراءتين إذن تعطي معنى وتبين وصفا من أوصاف هؤلاء المؤمنين رضي الله عنهم: فتقديم الفعل المبني لفاعل فيه بيان شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم، وتقديم قراءة المبني للمفعول فيها بيان حبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها .»[٨٩٤]

٤١- ﴿ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٨

القراءات :

١. قرأ أبو جعفر (لكنَّ)بتشديد النون.
٢. قرأ الباقون (لكنِ) بالتخفيف.[٨٩٥]

التفسير:

بعد أن ذكر المولى -عز وجل- في الآيات السابقة ما أعده للكافرين من العذاب بقوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) بين هنا ما أعده للمؤمنين من النعيم المقيم من جنات تجري من تحت بيوتها وأشجارها الأنهار أعدها الله لعباده الموحدين. قال الإمام الطبري في تفسيره: «(لكن الذين اتقوا ربهم) لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به، واجتناب ما نهاهم عنه، (لهم جنات) يعني بساتين (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) يقول باقين فيها أبدا (نزلا من عند الله) يعني إنزالا من الله إياهم فيها

٨٩٤ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣١-٣٢ باختصار.

٨٩٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٧.

أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) وقوله (من عند الله) يعني من قبل الله ومن كرامة الله إياهم وعطاياه لهم، وقوله (وما عند الله خير للأبرار) يقول وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للأبرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فإن الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وما عند الله خير من كرامته للأبرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل.»[٨٩٦]

وقال العلامة الألوسي في تفسيره: «(لكن) للاستدراك عند النحاة، وهو رفع توهم ناشئ من السابق، وعند علماء المعاني لقصر القلب ورد اعتقاد المخاطب. وتوجيه الآية على الأول: أنه لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في التجارة وتصرفهم في البلاد لأجلها جاز أن يتوهم متوهم أن التجارة من حيث هي مقتضية لذلك، فأستدرك أن المتقين وإن أخذوا في التجارة لا يضرهم ذلك وأن لهم ما وعدوا به، أو يقال إنه تعالى لما جعل تمتع المتقلبين قليلا مع سعة حالهم أوهم ذلك أن المسلمين الذين لا يزالون في الجهد والجوع في متاع في كمال القلة فدفع بأن تمتعهم للاتقاء وللاجتناب عن الدنيا، ولا تمتع من الدنيا فوقه لأنه وسيلة إلى نعمة عظيمة أبدية هي الخلود في الجنات. وعلى الثاني رد لاعتقاد الكفرة أنهم متمتعون من الحياة والمؤمنون في خسران عظيم.»[٨٩٧]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

التأكيد يلزم في حالات، ولا يلزم في كل الحالات، فهو يلزم للمنكر أكثر من المعترف المُسَلِّم الموقن وعليه، فقد جاءت قراءة (لكنِ) للاستدراك بدون تأكيد ؛ لأنها مخففة، والأصل فيها التشديد، وكأن الأمر لا يحتاج إلى

٨٩٦ - جامع البيان ج٤ ص٢١٧-٢١٨ باختصار.

٨٩٧ - روح المعاني ج٤ ص١٧٢.

تأكيد، فقد تعامل مع المخاطب على هذا الأساس .

وأما القراءة الأخرى (لكنً) فقد أنزلت المخاطب منزلة المتشكك، فأكد به الخبر، فهو من باب تلوين الأسلوب والتعامل مع المخاطب على أي حال كان، وهذا من أعظم أساليب القرآن العظيم. والله أعلم.





الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي أنعم علي بإتمام هذا العمل المتواضع سائلاً المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن لا يحرمني أجره يوم الدين وبعد:

فهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال بحثي المتواضع:

أولا: أهم النتائج

١. إن دراسة القراءات القرآنية وتفسير القرآن بها يعتبر من أجل الدراسات وأشرفها؛ لتعلقها بكلام الله -عَزَّوَجَلَّ- .

٢. إن الأحرف السبعة هي أصلٌ للقراءات القرآنية باتفاق.

٣. القراءات القرآنية تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز المتعددة لكتاب الله عز وجل؛ باعتبار أن كلَّ قراءة تسد مسد آية، وهو ما يمكن وصفه بأنه إعجاز بالإيجاز، وهذا يندرج تحت الإعجاز البياني للقرآن.

٤. يمكن الاحتجاج بالقراءات الشاذة في التفسير باعتبار أنها من تفسيرات الصحابة، دون الجزم بقرآنيتها؛ لأن القرآن لا يثبت بها.

٥. القراءات القرآنية الصحيحة هي الحكم على ما وضعه علماء النحو من أصول وقواعد وأقيسة وليس العكس، ولا يجوز ردها بأي حال.

٦. القراءات القرآنية الصحيحة سنة متبعة أساسها التلقي والرواية يجب الأخذ بها والرجوع إليها خصوصا عند التفسير؛ لأن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن باعتبار أن القراءات القرآنية جزء منه.

٧. للقراءات القرآنية آثار متعددة ومتنوعة، منها الأثر البلاغي، ومنها الأثر البياني، ومنها الأثر النحوي، ومنها الأثر الفقهي، وغيرها من

آثار تدل على عظمة القرآن وعظمة من أنزله - ﷻ -.

ثانيا: أهم التوصيات:

١. أوصي طلبة العلم بحفظ القراءات القرآنية من خلال التلقي عن المشايخ المتقنين، المتصل سندهم إلى رسول الله - ﷺ - لما في ذلك من حفظ لكلام الله-ﷻ- ما أمكن.

٢. كما أوصي طلبة العلم بالاهتمام بدراسة القراءات القرآنية وعلومها، وقرائها المعروفين.

٣. الاهتمام بالجانب التفسيري للقراءات القرآنية، وأثرها على المعاني البيانية والفقهية والنحوية والبلاغية وغيرها؛ من أجل ترغيب الناس بهذا العلم الجليل.

٤. أوصي أساتذتي في كلية أصول الدين في قسم التفسير وعلوم القرآن بزيادة الدراسة لما فات من القراءات؛ لما في ذلك من أهمية علمية بالغة.

٥. أوصي بإكمال هذه الرسالة من خلال وضع تفسير لباقي سور القرآن الكريم من خلال القراءات القرآنية الصحيحة.

٦. وأوصي أخيراً بإبراز دور القراءات الشاذة وأهميتها من خلال التعرض لما صح منها وإن لم يبلغ درجة المتواتر، والاستفادة منها في مجال التفسير باعتبار أنها أقوالٌ صحيحةٌ لمن نسبت إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر

١- الإبانة عن معاني القراءات-أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي:تحقيق: د. محي الدين رمضان –بيروت –دار المأمون للتراث – ط١ - ١٣٩٩هـ

٢- إتحاف فضلاء البشر - شهاب الدين أحمد الدمياطي الشهير بالبناء: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٩هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث - القاهرة

٤- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية – د. عبد العال سالم مكرم: مؤسسة علي جراح الصباح - الكويت

٥- أحكام القرآن - لابن العربي – تحقيق علي محمد البجاوي: دار المعرفة - بيروت

٦- الإحكام في أصول الأحكام – للآمدي: دار الحديث – القاهرة

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي –بيروت– ط١ – ١٤١٧هـ

٨- إعجاز القرآن الكريم – د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس: عمان – المكتبة الوطنية – ١٩٩١م

٩- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي –دار العلم للملايين – ط٨ – ١٩٨٩م

١٠- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي: تحقيق الشيخ زكريا عبد المجيد النوني ، الدكتور أحمد النجولي الجمل - دار الكتب العلمية: بيروت – ط١ – ١٤١٣هـ

١١- البداية والنهاية–لأبي الفداء الحافظ ابن كثير:دار الفكر–ط٢ –١٤١٨هـ

١٢- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث – القاهرة

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا

١٤- التبيان في إعراب القرآن - لأبي البقاء العكبري: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٩هـ

١٥- التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور: دار سحنون للنشر - تونس .

١٦- تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي: دار الفكر – بيروت

١٧- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز - لأبي السعود : تحقيق عبد القادر أحمد عطا – دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ

١٨- تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الإمام البيضاوي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط٢ – ١٣٨٨ هـ

١٩- تفسير الجلالين - دار الكتب العلمية - بيروت

٢٠- تفسير الشعراوي - محمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم

٢١- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير الدمشقي: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – دار الفيحاء – دمشق – ط١ – ١٤١٤هـ

٢٢- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي: دار الفكر–ط٣– ١٤٠٥هـ

٢٣- التفسير المنير–وهبة الزحيلي:دار الفكر المعاصر–بيروت–ط١ -١٤١١هـ

٢٤- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: دار النفائس – الأردن – ط١ - ١٤١٨هـ

٢٥- تفسير النسفي – لأبي البركات النسفي: دار الكتاب العربي – بيروت

٢٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم – د. محمد سيد طنطاوي: مطبعة السعادة – القاهرة – ١٣٩٧هـ
٢٧- التفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبي مكتبة وهبة: القاهرة – ط٥ – ١٤١٣هـ
٢٨- تقريب التهذيب - الحافظ بن حجر العسقلاني: راجعه صدقي العطار – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ
٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط١ – ١٤٢١هـ
٣٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابن جرير الطبري: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨هـ
٣١- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي: الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٧م
٣٢- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ - ١٤١٧ هـ
٣٣- حجة القراءات - لأبي زرعة بن زنجلة: تحقيق سعيد الأفغاني - ط٤ – ١٤٠٤هـ
٣٤- الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: دار الكتب العلمية، – بيروت – ط١ – ١٤١١هـ
٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين الألوسي: دار إحياء التراث العربي -بيروت
٣٦- زاد المسير في علم التفسير - لأبي الفرج جمال الدين الجوزي: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٤هـ

٣٧- سنن الترمذي – تحقيق صدقي محمد العطار ومحمد عرفان حسونة – دار الفكر–١٩٩٤م

٣٨- سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ

٣٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: دار الفكر –بيروت

٤٠- صحيح مسلم – رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – ١٩٨٠م

٤١- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي – بيروت - ط٣

٤٢- صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني: دار القرآن الكريم – بيروت - ط٢ – ١٤٠١هـ

٤٣- طبقات المفسرين – أحمد الأدنروي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ١٩٩٧م.

٤٤- طبقات المفسرين – للداوودي: ج١ ص٢٥١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ –١٤٠٣هـ.

٤٥- غاية النهاية في طبقات القراء – محمد بن الجزري: دار الكتب العلمية – ط٣ – ١٤٠٢هـ

٤٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني: دار المعرفة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

٤٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني – اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش – دار المعرفة – بيروت – ط٣ – ١٤١٧هـ

٤٨- القاموس المحيط – الفيروزآبادي: تحقيق صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ

٤٩- القراءات أحكامها ومصدرها – د. شعبان إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي – ط٢ – ١٤١٤هـ

٥٠- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية – د. فضل حسن عباس: دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع ١٩٨٧م

٥١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي جار الله الزمخشري: ضبطه محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ - ١٤١٥هـ

٥٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: العلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحلجي خليفة – دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ

٥٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع – مكي بن أبي طالب: تحقيق د. محي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة –بيروت –ط٢ – ١٤٠١هـ

٥٤- لسان العرب – مكتبة ابن تيمية - دار المعارف – القاهرة

٥٥- مجمع البيان في تفسير القرآن – الطبرسي: وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ - ١٤١٨هـ

٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي: تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت - ط١ – ١٤١٣هـ

٥٧- المستنير في تخريج القراءات المتواترة – د. محمد سالم محيسن: دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة – ط١ – ١٣٩٦هـ

٥٨- مسند الإمام محمد بن حنبل: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٣هـ.

٥٩- معالم التنزيل – أبي محمد الحسين البغوي: حققه محمد عبد الله النمر وآخران – دار طيبة - ط٢ – ١٤١٤هـ

٦٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن – للسيوطي: دار الكتب العلمية – تحقيق: أحمد شمس الدين – ط١ – ١٩٨٨م

٦١- معجم البلدان – ياقوت الحموي – تحقيق فريد عبد العزيز الجندي – ج١ ص١٩١ - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٠م.

٦٢- معجم مقاييس اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس: ج٤ ص٥٠٤ – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الجيل الجيل - بيروت

٦٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - ابن هشام الأنصاري: تحقيق د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله – بيروت - دار الفكر- ط٦ – ١٩٨٥م

٦٤- المغني في توجيه القراءات العشر – د. محمد سالم محيسن: دار الجيل – بيروت – ط٢ – ١٤٠٨هـ

٦٥- مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصبهاني: تحقيق صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ

٦٦- المقتطف من عيون التفاسير – مصطفى الخيري المنصوري: تحقيق محمد علي الصابوني – دار السلام – القاهرة – ط١ – ١٤١٧هـ

٦٧- من فقه القراءات – د. إسماعيل أحمد الطحان: ص٤٤ – حولية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – جامعة قطر - العدد الحادي عشر – ١٤١٤هـ

٦٨- مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني: المكتبة التدمرية –دار إحياء التراث العربي- تحقيق: الشيخ أمين سليم الكردي – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

٦٩- منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري: مكتبة القدس – ط١ – ١٤١٦هـ

٧٠- منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره – رسالة ماجستير / إعداد د. عبد الرحمن يوسف الجمل، بإشراف د. فضل حسن عباس – مقدمة لكية الشريعة في الجامعة الأردنية – ١٤١٢هـ

٧١- النشر في القراءات العشر – محمد بن الجزري: تصحيح علي محمد الضباع – دار الفكر - بيروت

٧٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن البقاعي: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه هبد الرزاق غالب مهدي - ج١ ص١٤ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ

٧٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: تحقيق يوسف محمد البقاعي – دار الفكر – ط١ – ١٤٠٦هـ

٧٤- النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز - أبو الحسن الرماني: تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر – ط٣



فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
شكر وتقدير	١١
المقدمة:	١٣
التمهيد: القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز	٢١
الفصل الأول: مقدمات للتفسير	٢٧
المبحث الأول: التفسير و التأويل	٢٩
المطلب الأول: معنى التفسير	٢٩
المطلب الثاني: معنى التأويل	٣١
المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير	٣٣
المبحث الثاني: الأحرف السبعة	٤٠
المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف	٤٠
المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها	٤٢
المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف	٤٧
المبحث الثالث: القراءات القرآنية	٤٩
المطلب الأول: معنى القراءة القرآنية	٤٩
المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن	٥٠
المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها	٢٥
أولا: نشأة القراءات وأقسامها	٢٥
ثانيا: حكم الاحتجاج بها	٥٩
المطلب الرابع: التعريف بالقراء العشر ورواتهم	٦٢
الفصل الثاني: أثر القراءات في المعاني	٧١

المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات	٧٣
المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات	٧٩
المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات	٨٧
أولا : اختلاف الأحرف	٧٨
ثانيا : الاختلاف في الضمائر	٨٨
ثالثا : الاختلاف من حيث التقديم والتأخير	٩٠
رابعا : الذكر والحذف	٩٣
خامسا : الاختلاف من حيث الحركات والإعراب	٩٤
المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات	٩٦
المسألة الأولى: طهر الحائض بين انقطاع الدم والاغتسال	٩٦
المسألة الثانية: فرض الرجلين بين الغسل والمسح	٩٨
المسألة الثالثة: عقد الأيمان بين المرة والتكرار	١٠٠
الفصل الثالث: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران	١٠٥
المبحث الأول: سورة الفاتحة	١٠٨
المبحث الثاني: سورة البقرة	١١١
المبحث الثالث: سورة آل عمران	٢٦٤
الخاتمة	٣٤٥
أولاً : أهم النتائج	٣٤٥
ثانياً : أهم التوصيات	٣٤٦
فهرس المصادر	٣٤٧
فهرس الموضوعات	٣٥٥